



ICAS
JAKARTA
LIBRARY

قضايا اسلامية معاصرة

957

القسط والعدل

تأليف نخبة من العلماء

محمد حكيمى

محمد رضا حكيمى

على حكيمى

دار الفکر

للطباعة والنشر والتوزيع



حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى

١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م

دارالهادي للطباعة والنشر والتوزيع



هاتف: ٥٥٠٤٨٧/٠١ - فاكس: ٥٤١١٩٩ - ص.ب: ٢٨٦/٢٥ غبيري - بيروت - لبنان
Tel.: 03/896329 - 01/550487 - Fax: 541199 - P. O. Box: 286/25 Ghobeiry - Beirut - Lebanon
E-Mail: daralhadi@daralhadi.com - URL: <http://www.daralhadi.com>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المحرر

قيام الناس بالقسط هو الهدف الأعظم للرسالات الإلهية، كما نص على ذلك القرآن بقوله: ﴿لقد أرسلنا رُسُلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾، بمعنى أن القرآن جعل القسط معياراً تُمحَّصُ عبْرهُ التعاليم والأقوال والأفعال، التي تُصنَّف في دعوات الأنبياء، فلا يمكن أن يُنسب شيء إلى تلك الرسالات الكريمة ما لم يكن تجسيداً حياً للقسط والعدل. أما الذين جاءوا فيما بعد وحاولوا أن يُسبِّغُوا على سلوكهم وتأويلاتهم صفة الهدى النبوي، فلا يمكن قبول هذه التأويلات بأية حال، إن كانت تتضمن نفياً للقسط والعدل.

لقد ظلت الرسالات الإلهية على الدوام تحرص على اشاعة قضية العدل، وتثقف الناس عليها، وتجسدها بمصاديق ونماذج عملية، من خلال سلوك الأنبياء والصديقين، بنحو لا يقبل التشويه ولا التزوير. لكن الابتعاد عن معين الوحي، وتمرد الكثير من الناس على هُدي السماء، قاد المجتمعات إلى أن تغرق في بحر من الظلم والطغيان، فانتُهكت حقوق الإنسان، وأهدرت حرياته، وجرى تصنيف الناس - لاعتبارات عرقية وغيرها - إلى طبقات مختلفة. ففي الهند، مثلاً، اعتبرت البرهمنية المجتمع أربع طبقات، حسب

الـ(منوشاستر) الذي يمثل القانون المدني والسياسي للبرهمنية، يحتل (البراهمة) الطبقة الأولى، وهم طبقة الكهنة ورجال الدين، وقد منحهم هذا القانون امتيازات وحقوقاً ألحقتهم بالآلهة! إذ ورد فيه : أن البراهمة هم صفوة الله! وهم ملوك الخلق، وإن ما في العالم هو ملك لهم! فانهم أفضل الخلائق، وسادة الأرض، ولهم أن يأخذوا من مال عبيدهم ما شاؤوا، وأن البرهمني الذي يحفظ (رك ويد) أي كتابهم المقدس، فإنه رجلٌ مغفور له، ولو أباد العوالم الثلاثة بذنوبه وأعماله!^١ أما الطبقة الثانية فهي (شترى) أي رجال الحرب. والطبقة الثالثة: (ويش) رجال الزراعة والتجارة. والطبقة الرابعة (شودر) أو المنبوذون أي رجال الخدمة . وينص القانون البرهمي على أن المنبوذين أخط من البهائم وأرذل من الكلاب! وإن من سعادتهم القيام بخدمة البراهمة، وليس لهم أجر وثواب بغير ذلك، وليس لهم أن يقتنوا مالاً أو يدخروا كنزاً، فإن ذلك يؤذي البراهمة، وإذا مدّ أحد المنبوذين إلى برهمني يداً أو عصاً ليبطش به قُطعت يده، وإذا همّ أحد المنبوذين أن يجالس برهمنياً فعلى الملك أن يكوي إسته وينفيه من البلاد! وأما إذا مسه بيدٌ أو سبّه فيُقلع لسانه، وإذا ادعى أنه يُعلمه سقي زيتاً فائراً!^٢

هذه صورة من التعسف في حقوق الإنسان يمكن أن نعثر على ما يماثلها أو يقاربها في مجتمعات عديدة، تُعطي لطائفة من البشر مكانة متميزة، فيما تسحق بقية الناس وتعدّهم كالبهائم .

١ - أبو الحسن الندوي . ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين . ص ٧٢ - ٧٤ .

٢ - المصدر نفسه. ص ٧٤ - ٧٥ .

من هنا شدّد الوحي على إلغاء أيّ نوع من أنواع تمايز الناس وتفوق بعضهم على الآخر، على أساس نقاء الدم أو سواه، ووضع قيماً بديلة للتفاضل، اقتصر فيها على ما يُمثّل قيمة حقيقية لا يرثها الانسان، وإنما يظفر بها عبّر سعيه وكدحه الى الله تعالى . فأضحى المتقي هو الأكرم ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾^١، لأن التقوى قيمة روحية يكتسبها الانسان من خلال عبادة الله . وهكذا تفوّق العالم على الجاهل ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^٢، فالعلم نور وظيفته انتزاع الانسان من ظلمات الجهل والخرافة، مضافاً الى تفضيل المجاهد ومنحه أجراً عظيماً ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^٣ باعتبار أنّ الجهاد ذروة وسائل تحرير الانسان من الطواغيت، اذا ما تعذر تحريره بالوسائل السلمية.

فالتقوى والعلم والجهاد هي مقومات مجتمع القسط والعدل، ومن دونها لا يقوم الناس بالقسط، وهذا ما يشير اليه القرآن ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾^٤ حين يجعل القسط روحاً كليةً منبئةً في سائر الأحكام والتشريعات الإلهية، مما يعني ان تفريغ أي حكم أو توجيه في الإسلام من ذلك القسط يساوي تجريده من محتواه، واحالته الى قشور واهية تتقنع بقناع الإسلام ولكنها لا تنتسب اليه، لأن روح الإسلام هي القسط والعدل. ولا تكتسب الفكرة قيمتها في الإسلام من كونها فكرةً نظريةً مجردةً وإنما

١ - الحجرات / ١٣ .

٢ - الزمر / ٩ .

٣ - النساء / ٩٥ .

٤ - الأعراف / ٢٩ .

تصبح فكرة مُلزمة حين تنتقل الى فكرة مجسدة فتتجلى في الواقع ابتداءً في سلوك الأنبياء والصفوة من أتباعهم . وهذا ما نراه بوضوح في حياة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فقد تجلى الإسلام في حياته ومواقفه، فلم تعد هناك أي مسافة بين الأقوال والأفعال، بل اندمجت اقواله بأفعاله، وصارت حياته مرآة للقسط.

يروى ابن أبي الحديد عن أبي يوسف المدائني، ان طائفة من أصحاب علي عليه السلام مشوا اليه، فقالوا : يا أمير المؤمنين أعطِ هذه الأموال، وفضل هؤلاء الأشراف من العرب وقريش على الموالي والعجم، واستمل مَنْ تخافُ خلافة من الناس وفراره . وانما قالوا له ذلك لما كان معاوية يصنع في المال، فقال لهم : أتأمرونني أن أطلب النصر بالجور؟! لا والله لا أفعل ما طلعت شمس، وما لاح في السماء نجم، والله! لو كان المال لي لواسيتُ بينهم، فكيف وانما هي اموالهم^١.

وذكر الشعبي، قال : دخلت الرحبة بالكوفة - وأنا غلام - في غلمان، فإذا أنا بعلي عليه السلام قائماً على صُبرتين من ذهب وفضة، ومعه مخفقة، وهو يطرد الناس بمخفقته، ثم يرجع الى المال فيقسمه بين الناس، حتى لم يبقَ منه شيء، ثم انصرف ولم يحمل الى بيته قليلاً ولا كثيراً . فرجعت الى أبي فقلت له : لقد رأيت اليوم خَيْرَ الناس أو أحمق الناس، قال: مَنْ هو يا بُني، فقلت : علي بن أبي طالب أمير المؤمنين، رأيتَه يصنع كذا، فقصصت

١ - ابن أبي الحديد . شرح نهج البلاغة، ج ٢: ص ٢٠٣ .

عليه، فبكى، وقال : يا بُني، بل رأيتَ خيرَ الناس.^١

وروى هارون بن سعيد، قال : قال عبد الله بن جعفر بن أبي طالب لعلي عليه السلام : يا أمير المؤمنين، لو أمرت لي بمعونة أو نفقة! فوالله مالي نفقة إلا أن أبيع دابتي، فقال : لا والله، ما أجِد لك شيئاً إلا أن تأمر عمك أن يسرق فيعطيك.^٢

وقال علي بن رافع - وكان على مال أمير المؤمنين عليه السلام - : أخذت مني ابنته عقد لؤلؤ، عارية مضمونة مردودة بعد ثلاثة أيام من أيام الأضحى، فرآه عليها، فعرفه، وقال لي : أأتخون المسلمين؟! فقصصت عليه، وقلت له : قد ضمنته من مالي، فقال : رُدّه من يومك هذا، وإياك أن تعود لمثل هذا فتتالك عقوبتي. ثم قال : لو كانت ابنتي أخذت هذا العقد على غير عارية مضمونة لكانت إذاً أول هاشمية قطعت يدها على سرقة، فقالت ابنته في ذلك مقالاً، فقال : يا بنت علي بن أبي طالب، لا تذهبن بنفسك عن الحق أكل نساء المهاجرين تتزيّن في هذا العيد بمثل هذا؟!^٣

ان اصطفاء أي موقف في حياتنا وتصنيفه في حقل القسط، إنما يقاس بدرجة انتمائه لسلوك علي عليه السلام ومواقفه، فما اقتدى بها وطابقها يندرج في القسط، وما خالفها فهو نقيض القسط، وان تأولها وفسرها طبقاً لما يريده؛ لأن مواقفه عليه السلام صريحة ناطقة لا تقبل التزوير .

١ - ن . م : ج ٢ : ص ١٩٨ .

٢ - ن . م : ج ٢ : ص ٢٠٠ .

٣ - ابن شهر آشوب : مناقب آل أبي طالب . ج ٢ : ص ١٠٨ .

ويتناول هذا الكتاب قضية القسط والعدل من منظور الكتاب الكريم والسنة الشريفة، بأسلوب مبتكر، حيث يلتقط ما له صلة بالموضوع من آيات وروايات، باستقراء موسّع، ثم يصنّفها موضوعياً تحت رؤوس موضوعات فرعية كثيرة. وفي خاتمة المطاف ينتزع دلالاتها المشتركة، وما تشي به من مفاهيم عامة. اما مؤلفو الكتاب، فهم الأستاذ الشيخ محمد رضا حكيمي، الذي صدر له في هذه السلسلة (المدرسة التفكيكية)، مع أخويه الشيخ محمد حكيمي والشيخ علي حكيمي.

ويجيء اصدار هذا الكتاب في سلسلة قضايا اسلامية معاصرة، بهدف إحياء أهم قيمة من القيم الربانية، وتذكير مَنْ بيده الأمر والمال بأنّ (الرعية لا يصلحها إلاّ العدل) وان (العدل حياة الأحكام) حسب تعبير الامام علي عليه السلام.

وما توفيقني إلاّ بالله عليه توكلت واليه انيب.

عبدالجبار الرفاعي

الفصل الاول

المساواة

مبدأ المساواة في الإسلام

لم نعتقد هذا الفصل لان ندعو الى تجسيد المساواة الإسلامية، بجميع أشكالها وشؤونها في المجتمعات، فإن ذلك لا يكون إلا في زمان اكتمال البشر وتبلور فطرته، وانعتاق عقله، وانصياعه الى عمود القسط المُشع، بظهور (المصلح الفاطمي)، الذي يُحيي أحكام القرآن الكريم، ويجدد معالم التربية الإسلامية ويستن بسنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ويسير بسيرته، ويعمل على هديه - كما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أحاديث المسلمين عامة.

بيد أننا عقدنا هذا الفصل للتدليل على ان الدين الذي يتبنى (المساواة) قاعدة أصلية لقسمٍ عظيم من صلاته الاقتصادية، وتوزيعه المالي، وسلوكه المعاشي، لا يعترف البتة بالفروق النادرة، والتضاد المعيشي الفاحش بين شريحة وجماهير.. واليك البيان:

الكتاب:

(١) ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل

لتعارفوا، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ...^١

(٢) ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رُؤُوسًا مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا، فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ، سَوَاءً لِلنَّاسِ لِيَوْمٍ﴾^٢

(٣) ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ، فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ، فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ، أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾^٣

(٤) ﴿فَلِذَلِكَ فَادُعْ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ: آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ، وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ...﴾^٤

الحديث:

أ - ان الله تعالى يدعو الى المساواة

(١) الإمام الصادق عليه السلام - في (الحديث القدسي): قال الله عز وجل: (افترضتُ على عبادي عَشْرَ فرائضَ، إذا عَرَفوها امكَنَتْهُمْ ملكوتي وأبَحَّتْهم جناني. أولها معرفتي.. والعاشرة ان يكون هو وأخوه في الدين والدنيا شرعاً سواء).^٥

١ - سورة الحجرات (٤٩): ١٣.

٢ - سورة فصلت (٤١): ١٠.

٣ - سورة النحل (١٦): ٧١.

٤ - سورة الشورى (٤٢): ١٥.

٥ - سفينة البحار ٢ / ١٧٩.

* تأمل في عطف كلمة (الدنيا) على (الدين) في هذا الحديث القدسي.
فالدعوة الى (تبنّي مبدأ المساواة) وتركيزه بين المسلمين، دعوة نابعة من
صميم دين الله تعالى ودعوته:

ب - إن أولياء الله تعالى يدعون الى المساواة، او واقع التسوية في العهود
الإسلامية.

١ - في العهد النبوي:

(٢) النبي صلى الله عليه وآله وسلم: إنّ الناس من عهد آدم الى يومنا هذا
مثل أسنان المشط، لا فضل للعربي على العجمي، ولا للأحمر على الأسود،
إلاّ بالتقوى.^١

(٣) النبي صلى الله عليه وآله وسلم: يا علي! سيّد الأعمال ثلاث خصال:
انصافك الناس من نفسك، ومساواة الأخ في الله، وذكر الله على كل حال.^٢

(٤) النبي صلى الله عليه وآله وسلم: إنما انتم من رجل وامرأة، كجمام
الصاع، ليس لأحدٍ على أحدٍ فضلٌ إلاّ بالتقوى.^٣

(٥) الإمام علي عليه السلام: ... أليسَ كان رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم يَقسِم بالسوية بين المسلمين؟^٤

(٦) الإمام الصادق عليه السلام: أتت الموالي أمير المؤمنين عليه السلام

١ - الاختصاص / ٣٣٧.

٢ - تحف العقول / ١٤.

٣ - مجمع البيان ٩ / ١٣٨.

٤ - المناقب ٢ / ١٠٨.

فقالوا: نشكو اليك هؤلاء العرب، ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يُعطينا معهم العطايا بالسوية..^١

٢- في العهد العلوي:

(٧) النبي صلى الله عليه وآله وسلم - في ذكر مواصفات الامام علي بن ابي طالب: انه أولكم إيماناً معي، وأوفاكم بعهد الله، وأقومكم بأمر الله، وأعدلكم في الرعية، وأقسمكم بالسوية..^٢

(٨) النبي صلى الله عليه وآله وسلم: يا علي! أنت أولهم إيماناً بالله، وأوفاهم بعهد الله، وأقومهم بأمر الله، وأقسمهم بالسوية..^٣

إفَاتُ نَظَر:

نشاهد النبي الهادي صلى الله عليه وآله وسلم في مقام كهذا - في مجتمعات الصحابة - يعدّ مواصفات الامام علي عليه السلام ومزاياه العظيمة التي تؤهله للإمامة الكبرى، وصايةً عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فيعدّ من غررها القسم بالسوية. أفليس هذا من أدلّ الدلائل على تبني الإسلام لمبدأ المساواة كأصل؟

(٩) الامام علي عليه السلام:.. من استقبل قبلتنا، واكل ذبيحتنا، وآمن

١ - الكافي ٥ / ٣١٨ - ٣١٩.

٢ - الغدير ٢ / ٥٧.

٣ - المراجعات / ١٦٠، الطبعة العشرون، القاهرة (١٣٩٩).

بنبينا، وشهد شهادتنا، ودخل في ديننا، أجرينا عليه حكم القرآن، وحدود الاسلام؛ ليس لأحد على أحد فضلٌ إلا بالتقوى.. لم يجعل الله - تبارك وتعالى - الدنيا للمتقين ثواباً، وما عند الله خير للأبرار.^١

إِلفاتُ نظر:

يدلّ هذا التعليم العلوي بالصراحة على ان من حكم القرآن وحدود الإسلام، رعاية المساواة وشجب الميزات وانكار أي فضل لأحد على أحد، إلا ما كان من التقوى، وهو لا يستتبع أمراً مادياً واثرةً دنيوية، كما صرح به الامام في كلامه.

(١٠) الامام علي عليه السلام - فيما جرى بينه وبين أخيه عقيل بن ابي طالب... ما انا وانت فيه (يعني في بيت المال وبالنسبة اليه)، إلا بمنزلة رجلٍ من المسلمين..^٢

(١١) الامام علي عليه السلام - في بيان عمله الحاسم بسنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وردّه المستحدثات اليها... واعطيتُ كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يُعطي بالسّوية، ولم اجعلها دُولَةً بين الأغنياء..^٣

(١٢) الامام علي عليه السلام - لما عُوتب على تصديره الناس أسوّةً في العطاء، من غير تفضيل أولي السابقات والشرف: أتأمروني ان أطلب النصر

١ - الكافي ٨ / ٣٦١.

٢ - المناقب ٢ / ١٠٨ - ١٠٩.

٣ - الكافي ٨ / ٦٠ - ٦١.

بالجور فيمن وليت عليه؟ والله ما اطور به ما سمر سمير، وما أم نجم في السماء نجماً. ولو كان المال لي لسويت بينهم، فكيف وإنما المال مال الله..^١

(١٣) الامام علي عليه السلام - ان قنبراً قدّم الى امير المؤمنين عليه السلام جامات من ذهب وفضة في الرحبة، وقال: (انك لا تترك شيئاً إلا قسمته فخبأت لك هذا). فسل سيفه وقال: (ويحك! لقد احببت ان تدخل بيتي ناراً!). ثم استعرضها بسيفه فضربها حتى انتثرت من بين اناء مقطوع بضعة وثلاثين، وقال: (علي بالعرفاء!)، فجأؤوا فقال: (هذا بالحصص...)^٢.

(١٤) الامام علي عليه السلام - مما قاله لابنته (ام كلثوم)، حينما أخذت من بيت المال عقد لؤلؤ - عارية مضمونة مردودة بعد ثلاثة ايام - في ايام الاضحى ورآه عليها:.. يا بنت علي بن ابي طالب! لا تذهبن بنفسك عن الحق، أكل نساء المهاجرين تتزين في هذا العيد بمثل هذا؟^٣.

(١٥) الامام علي عليه السلام - في قوم من أهل المدينة لحقوا بمعاوية بن ابي سفيان: إنما هم اهل دنيا، مقبلون عليها ومهطعون اليها، قد عرفوا العدل ورأوه، وسمعوه ووعوه، وعلموا ان الناس عندنا في الحق اسوة، فهربوا الى الاثرة، فبعداً لهم وسحقاً..^٤

(١٦) الامام علي عليه السلام - فيما رواه الامام الصادق: لما ولي علي

١- نهج البلاغة / ٣٨٩ - ٣٩٠: عبده ال / ١٠.

٢- المناقب / ٢ / ١٠٨ و ١١٠ - ١١١.

٣- ن. م.

٤- نهج البلاغة / ١٠٧٢: عبده ٣ / ١٤٤.

عليه السلام، صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال: اني والله لا ازراكم من فيئكم درهماً، ما قام لي عذقٌ بيثرب، فليصدقكم انفسكم، افتروني مانعاً نفسي ومعطيكم؟ قال: فقام اليه عقيل - كرم الله وجهه - فقال له: والله لتجعلني واسود بالمدينة سواء؟ فقال: اجلس! اما كان هاهنا أحدٌ يتكلم غيرك؟ وما فضلك عليه إلا بسابقة أو بتقوى؟^١

(١٧) الامام علي عليه السلام - قال للصحابيين، طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام، لما طلبا منه الفرق والتفضيل: سابقتكما اقرب أم سابقتي؟ قالوا: سابقتك. قال: فقرابتكما أم قرابتي؟ قالوا: قرابتك. قال: فعناؤكما اعظم ام عناي؟ قالوا: عناؤك. قال: فوالله، ما أنا وأجيري هذا إلا بمنزلة واحدة. وأوماً بيده الى الأجير.^٢

٢ - خطٌ ذهبيٌّ في جبين التاريخ:

(١٨) الامام علي عليه السلام: ايها الناس! ان آدم لم يلد عبداً ولا أمةً، وان الناس كلهم احرارٌ. ولكن الله خول بعضكم بعضاً، فمن كان له بلاءٌ فصبر في الخير، فلا يمن به على الله عز وجل. إلا! وقد حضر شيءٌ ونحن مسوون فيه بين الاسود والاحمر. فقال مروان لطلحة والزبير: ما أراد بهذا غيركما.. فأعطى كل واحد ثلاثة دنانير، وأعطى رجلاً من الانصار ثلاثة دنانير، وجاء بعد غلامٌ اسود، فأعطاه ثلاثة دنانير.

١ - الكافي ٨ / ١٨٢.

٢ - المناقب ٢ / ١٠٨؛ ومن طبعة / ١١١.

فقال الانصاري: يا امير المؤمنين! هذا غلامٌ بالأمس، تجعلني واياه سواء؟ فقال: اني نظرت الى كتاب الله، فلم اجد لولد إسماعيل على ولد اسحاق فضلاً^١.

تنبيهان هامان:

١- يُستفاد من هذا التعليم بوضوح، ان الذين خدموا الدين بعملٍ، وجاهدوا في سبيله بجهد، ودفعوا له نفقات، او سُجنوا في طريق الدفاع عنه وما الى ذلك، ولم يَمْنُوا بما فعلوا على الدين واهله، ولم يتوقعوا لذلك جزاءً مادياً من مال، أو جاه، أو تدخُّل في الحكم، أو نفوذ في التقنين، أو تغلُّب على الترشيح والتصويت في أوانهما، أو تقدُّم في تشكيل حزبٍ و منظمات، أو نشر صحفٍ ومجلات، أو شق طريق الى منافع و دخول، أو حضور مُنحاز في البرامج الاقتصادية وما الى ذلك، حيث ان امامنا علي بن ابي طالب عليه السلام يقول: (فمن كان له بلاءٌ فصرَّ في الخير، فلا يمنَّ به على الله عزَّ وجلَّ). فمن كان معتقداً به فليفعل هكذا.. وسيأتي ايضاً قول أمير المؤمنين عليه السلام هذا: (.. أتمنّون على الله ورسوله بإسلامكم؟ بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان، إن كنتم صادقين).

٢- لا يستدل الامام عليه السلام في جواب الانصاري الذي اعترض عليه لتسويته بينه وبين غلامه.. بان هذه اموال بيت المال توزَّع جرايات.. ولا

فرق فيها بين الافراد، لا، لا يستدل بهذا الكلام، بل يستدل على التسوية بـ(أصل قرآني)، يعني عدم الفرق بين انسان وانسان في دين القرآن، إسماعيلياً كان او إسحاقياً؛ وما ذكر ذلك إلا مثلاً، يعني لا فرق بين الاناسي من أي أب وأم كانوا، ومن أية جنسية ولون وقوم وارض. فالملاك هو الانسانية العامة والوحدة في الخلق والخالق - كما ورد في احاديث اخرى. ومن هذه التعاليم العظيمة البناءة، يدرك ان الاسلام الأصيل - الذي لم تتطرق اليه ايدي بغاء الاثرة والتفضيل - يستهدف مساواة ابناء الانسان - وهم من أب واحد وأم واحدة وخلقهم إله واحد - كمبدأ واصل. ولقد وردت في تعاليم النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة الهادين عليهم السلام ارشادات كثيرة الى تبني ذلك الأصل الانساني والاسلامي العظيم. ولقد جاءت نبذة منها في هذا الفصل، ممامر وسيأتي. فعلى المسلمين - وخصوصاً الفقهاء واصحاب الاجتهاد والافتاء - ان يعمدوا الى تلکم التعاليم الإلهية، ولا يجعلوها خلف الظهر، ولا يركنوا الى المستأثرين، حتى ينجحوا في صنع مجتمع تلوح عليه آثار الإسلام، وتنعكس فيه تعاليم آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

٤ - شعاع إلهي على قمة الاعصار:

(١٩) الامام علي عليه السلام - اورد بن ابي الحديد، في شرح (نهج البلاغة) انه لم يكن (علي) يُفضّل شريفاً على مشروف، ولا عربياً على عجمي، ولا يُصانع الرؤساء وامراء القبائل - كما يصنع الملوك - ولا يستميل احداً الى نفسه. وكان معاوية بخلاف ذلك. فترك الناس علياً

والتحقوا بمعاوية. فشكا علي عليه السلام الى الأشتر تخاذل أصحابه وفرار بعضهم الى معاوية، فقال الأشتر: يا أمير المؤمنين... أنت تأخذهم بالعدل، وتعمل فيهم بالحق، وتنصف الوضيع من الشريف، فليس للشريف عندك فضل منزلة على الوضيع، فضجت طائفة ممن معك من الحق إذ عُمُوا به، واغتموا من العدل إذ صاروا فيه.. فقال:.. فقد علم الله انهم لم يفارقونا من جور، ولا لجأوا إذ فارقونا الى عدل..^١

(٢٠) الامام علي عليه السلام: ان امرأتين أتتا علياً عليه السلام عند القسمة، احدهما من العرب والأخرى من الموالي، فأعطى كل واحدة خمسة وعشرين درهماً وكُراً من الطعام. فقالت العربية: يا أمير المؤمنين: اني امرأة من العرب وهذه امرأة من العجم؟ فقال علي عليه السلام: والله لا أجد لبني اسماعيل في هذا الفيء فضلاً على بني اسحاق..^٢

(٢١) الامام علي عليه السلام - قال عاصم بن ضمرة: ان علياً عليه السلام قَسَمَ قسماً، فسوى بين الناس..^٣

٥ - تعاليم وهدايات:

- من التعليم السجادي

(٢٢) الامام السجّاد عليه السلام - قال جابر الجعفي: قلت لعلي بن

١ - شرح نهج البلاغة ٢ / ١٩٧ - ١٩٨. راجع ايضاً (الغارات) ١ / ٥٢ - ٥٣.

٢ - الوسائل ١١ / ٨١.

٣ - الوسائل ١١ / ٨١.

الحسين عليهما السلام: يا بن رسول الله! ما حقُّ المؤمن على اخيه المؤمن؟ قال: يفرح لفرحه اذا فرح.. ولا يغتم لشيء من حطام الدنيا الفانية إلاّ واساه حتى يجريان في الخير والشر، في قرن واحد.^١

- من التعليم الباقرى

(٢٣) الامام الباقر عليه السلام - ابو حمزة (الثمالى) قال: سألت أبا جعفر عليه السلام: ما حقّ الامام على الناس؟ قال: (حقه عليهم ان يسمعوا له ويُطيعوا). قلت: فما حقهم عليه؟^٢ قال: (يقسم بينهم بالسوية، ويعدل في الرعية..).^٣

* وهذا التعليم - وقد وردت بصدده أحاديث متعددة - يرشدنا الى تجسيد العدلين: الاقتصادي والقضائي.

- من التعليم الصادقى:

(٢٤) الامام الصادق عليه السلام: أهل الاسلام هم ابناء الاسلام، أُسوي بينهم في العطاء؛ وفضائلهم بينهم وبين الله، احملهم كبني رجل واحد، لا يفضل احدٌ منهم لفضله وصلاحه في الميراث على الآخر ضعيف منقوص. قال: وهذا هو فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بُدوّ امره. وقد قال غيرنا: اقدمهم في العطاء بما قد فضلهم الله بسوابقهم في

١ - المستدرک ٢ / ٦٣.

٢ - جاء ضبط هذه اللفظة في مطبوع (الكافي) بصيغة الجمع (عليهم)؛ ولعله من سهو الناسخين، أو الطابعين.

٣ - الكافي ١ / ٤٠٥.

* وهذا التعليم يدلّ بدوره على تبني الاسلام لمبدأ المساواة، في العطاء الحكومي وغيره، حيث فيه الميراث. وهذا هو الاصل. وكذلك يدل على ان متبعي السيرة العلوية في الاسلام، لا يثبتون للسوابق المعنوية تأثيراً في القضايا المادية؛ لأن هذا خروج عن مسلك (التوحيد) الذي يجعل تلك الأجور أخروية يعطيها الله تعالى.

تنبيه:

نشاهد الامام جعفرأ الصادق عليه السلام (المعلم المعصوم، والمرشد الالهي، والحجة الكبرى، الذي لا ينطق إلاّ عن مراد الله المحض، ولا تمثل تعاليمه إلاّ حقائق القرآن وتعاليم الوحي السماوي)، يقول: (أهل الاسلام هم ابناء الاسلام..). أبعد هذا التعليم والتوجيه - وما ورد بصدد الموضوع نفسه من أحاديث متعددة ذات تعابير موجهة، والقرآن الوارد بحق الأخوة الايمانية - كيف يقرأ ايّ مسلم نابه - فضلاً عن علماء المسلمين وافاضلهم - تلك الفروق الباهضة والساحقة، بين هؤلاء الابناء في شتى نواحي المعيشة والحياة..؟

هذه الاموال الطائلة، والاملاك العقارية، والقصور الكبيرة ذات الآلاف من الامتار، مع ما أعدت فيها من المروج والبساتين والمسابع والحمامات المختلفة والقاعات وغرف النوم والزينة والمدافئ والمكيفات والموائد والسمط الملونة والثلاجات والبرادات والبسط والفرش والأزياء وسائر الرفاهيات

الحديثة والخيالية هنا وهناك وما اليها لحفنة..

وتلك الأكواخ البائسة المليئة بالنكد والمعاناة والعوز والمرض والشقاء والجوع والالام والدنس وما اليها لحففات..

هذه الاوقات الفارغة، في حياة هادئة، التي تملؤها الراحة والرفاه المادي ورحلات النزهة في المدائن الفخمة والفنادق الممتازة والسواحل للنزهة وما اليها..

وتلك الاوقات التعسة التي يستولي عليها القلق والعدم وضغوطات العمل المرهق، وما تستتبعه كثرة ساعات العمل وطوارئ وعدم العطلة الكافية وما اليها..

ولا تنسَ الحياة الريفية وما يكتنفها.. من انواع التعس والشقاء والعوز وعدم الامكانيات الاولى و.. فضلاً عن الرفاهية.. وحياة من يبحث عن العمل ولا يجد، ومن لا سبيل له الى ظِلَّةِ رأسٍ ولمَاظَةِ عيش، ومن اليهم..

أهؤلاء الطوائف كلها ابناء الاسلام، ويعيشون كأبناء رجلٍ واحد، كما يريدُه الامام الصادق عليه السلام؟

أهؤلاء يكون كبيرهم بمنزلة الوالد، وصغيرهم بمنزلة الولد، وتربهم بمنزلة الأخ، كما يريدُه الامام السجاد عليه السلام؟^١

أهؤلاء اعضاء جسدٍ واحد، اذا اشتكى تداعى له سائر الجسد، كما يريد الامام الباقر عليه السلام.^٢

١ - فيما قاله لمحمد بن مسلم الزهري؛ راجع: البحار ٧١ / ٢٣٠، عن (تفسير الامام

العسكري).

٢ - البحار ٧٤ / ٢٣٤، من حديث الامام الباقر عليه السلام؛ الكافي ٢ / ١٦٦،

أهؤلاء أخوة بررة، كما يدعوهم القرآن الكريم؟ وهل نحن مع هذه الحالة نُقيم (القرآن) ونكون (امة مقتصدة)، ام ننضوي الى اليهود الذين قال الله تعالى عنهم: (وكثيرٌ منهم ساءَ ما يعملون)؟^١

أهكذا نغضُّ الطرف عن هذه الجنايات الهائلة بحق الانسان والانسانية والاسلام والاسلامية، ونُري للناس ان الاسلام يقرها أو لا يَجِبُها؟
أهكذا نسوق النابهن الى الفشل واليأس، والمعذبين والكادحين الى الخيبة والسقوط والشباب الحساسين الى الوقوع في شرك المدارس الالحادية والافكار المضللة او المميعة، ونحسب اننا نُحسن صنْعاً؟

او هل يُقر الاسلام هذه الاثرات الجهنمية والواقعيات اللانسانية المعتدية باسم كذا وكذا..؟ ان كان هذا فماذا يكون محل تلك التعاليم: (أهلُ الاسلام هم ابناء الاسلام..؟) و.. و.. وماذا يكون محل القسط والعدل القرآنيين؟

وهل بعد ذلك، يُعد من النصفة والانسانية والدين، ان يتهموا الذين يدافعون عن المحرومين وحقوقهم وكرامتهم - تبعاً للانبياء والأوصياء عليهم السلام - ويرفضون تلك الفروق النائية عن الموازين الإلهية، باليسارية وامثالها، حتى يصير ذلك سبباً لتشجيع هؤلاء الطواغيت الاقتصاديين، الذين هم مصيبة المجتمع الاسلامي، على حد تعبير مولانا الامام علي بن الحسين السجاد عليه السلام.^٢

والبحار ٧٢ / ٢٣٣، من حديث الامام الصادق عليه السلام.

١ - سورة المائدة (٥): ٦٦.

٢ - في قوله عليه السلام: (يا ايها المؤمنون! مصيبتكم الطواغيت من اهل الرغبة في

غفرانك اللهم ربنا واليك المصير..

(٢٥) الامام الصادق عليه السلام: الناس سواء كأسنان المشط.^١

(٢٦) الامام الصادق عليه السلام - حماد بن عثمان قال: اصاب اهل

المدينة قحط.. وكان عند ابي عبد الله عليه السلام طعام جيد قد اشتراه اول

السنة، فقال لبعض مواليه: (اشتر لنا شعيراً، فاخبطه بهذا الطعام أو بعه؛

فإننا نكره ان نأكل جيداً ويأكل الناس رديئاً).^٢

(٢٧) الامام الصادق عليه السلام - قال ابو بصير: سألت أبا عبد الله

عليه السلام عن رجل له ثمانمئة درهم، وهو رجل خفاف، وله عيال كثير،

أله ان يأخذ من الزكاة؟ فقال: (يا ابا محمد! أيربح في دراهمه ما يقوت به

عياله ويفضل؟). قال: نعم! قال: (ان كان يفضل عن القوت مقدار نصف

القوت فلا يأخذ من الزكاة. وان كان اقل من نصف القوت أخذ من

الزكاة..). قال: قلت: كيف يصنع؟ قال: (يوسع بها على عياله في طعامهم

وكسوتهم ويبقي منها شيئاً يناوله غيرهم، وما اخذ من الزكاة فضّه على

عياله حتى يلحقهم بالناس).^٣

(٢٨) الامام الصادق عليه السلام - عن معلّى بن خنيس قال: خرج ابو

عبد الله عليه السلام في ليلةٍ قد رشّت - وهو يريد ظلّة بني ساعدة -

الدنيا..) - (امالي المفيد / ١١٧) راجع ايضاً الفصل ٧ من الباب ١١ من كتاب: الحياة.

١ - تحف العقول / ٢٧١.

٢ - الوسائل ١٢ / ٣٢١.

٣ - كنية ابي بصير الثانية.

٤ - الوسائل ٦ / ١٥٩.

فَاتَّبَعْتُهُ فَإِذَا هُوَ قَدْ سَقَطَ مِنْهُ شَيْءٌ فَقَالَ: (بِسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ رَدِّهِ عَلَيْنَا). قَالَ: فَاتَّيْتُهُ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ: (أَنْتَ مُعَلَى؟) قُلْتُ: نَعَمْ جُعِلْتُ فِدَاكَ، فَقَالَ لِي: (الْتَمَسْ بِيَدِكَ فَمَا وَجَدْتَ مِنْ شَيْءٍ فَادْفَعْهُ إِلَيَّ)، فَإِذَا أَنَا بِخَبْزٍ مُنْتَشِرٍ (مُنْتَشِرٌ) كَثِيرٍ، فَجُعِلْتُ أَدْفَعُ إِلَيْهِ مَا وَجَدْتُهُ؛ فَإِذَا أَنَا بِجِرَابٍ أَعْجَزَ عَنْ حَمْلِهِ مِنْ خَبْزٍ. فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ أَحْمِلْهُ عَلَيَّ رَأْسِي. فَقَالَ (لَا، أَنَا أَوْلَى بِهِ مِنْكَ، وَلَكِنْ امْضُ مَعِي) قَالَ: فَاتَيْنَا ظِلَّةَ بَنِي سَاعِدَةَ، فَإِذَا نَحْنُ بِقَوْمٍ نِيَامُ، فَجَعَلَ يَدْسُ الرِّغِيفَ وَالرِّغِيفِينَ،^١ حَتَّى أَتَى عَلَى آخِرِهِمْ، ثُمَّ انْصَرَفْنَا. فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، يَعْرِفُ هَؤُلَاءِ الْحَقَّ؟ فَقَالَ: (لَوْ عَرَفُوهُ لَوَاسَيْنَاهُمْ بِالذُّقَّةِ)، وَالدُّقَّةُ هِيَ الْمَلْحُ.^٢

- من التعليم الكاظمي

٢٩) الإمام الكاظم عليه السلام - روي أنه مرَّ برجلٍ من أهل السواد، دميم المنظر، فسَلَّمَ عليه ونزل عنده وحادثه طويلاً، ثم عرض عليه نفسه في القيام بحاجةٍ إن عرضت له؛ فقليل له؛ فقليل له؛ يا ابن رسول الله! اتنزل إلى هذا، ثم تسأله عن حوائجه، وهو إليك أحوج؟ فقال: عبد من عبيد الله، وأخ في كتاب الله، وجارٌّ في بلاد الله، يجمعنا وإياه خير الآباء آدم عليه السلام وأفضل الأديان الإسلام، ولعل الدهر يردُّ من حاجاتنا إليه.^٣

١ - في ثواب الاعمال (٧٩) هنا زيادة (تحت ثوب كل واحد منهم).

٢ - الوسائل ٦ / ٢٧٨ - ٢٧٩ و ٢٨٤.

٣ - تحف العقول / ٣٠٥.

- من التعليم الرضوي

(٣٠) الامام الرضا عليه السلام: ... ومواساتهم (الاخوان)، ومساواتهم، في كل ما يجوز فيه المساواة والمواساة..^١

(٣١) الامام الرضا عليه السلام - عن عبد الله بن الصلت، عن رجل من أهل بلخ، قال: كنت مع الرضا عليه السلام في سفره الى خراسان، فدعا يوماً بمائدة له، فجمع عليها مواليه من السودان وغيرهم. فقلت: جعلت فداك! لو عزلت لهؤلاء مائدة؟ فقال: (مه! ان الرب - تبارك وتعالى - واحد، والام واحدة، والاب واحد، والجزاء بالاعمال).^٢

(٣٢) الامام الرضا عليه السلام - عن محمد بن سنان ان ابا الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام كتب اليه فيما كتب، من جواب مسأله: ان علة الزكاة من اجل قوت الفقراء، وتحسين اموال الاغنياء؛ لان الله تعالى كلف اهل الصحة القيام بشأن اهل الزمانة من البلوى.. والحث لهم على المساواة، وتقوية الفقراء، والمعونة لهم على امر الدين.^٣

* يُستفاد من هذا التعليم القيم امور:

١- ان قوت الفقراء ومعيشتهم في اموال الاغنياء، فالفقراء شركاؤهم في تلك الاموال - كما ورد في احاديث عديدة أخرى - فما دام الفقر موجوداً في الناس، يُعدّ الاغنياء ظالمين غاصبين.

١ - البحار ٧٤ / ٢٢٧.

٢ - الكافي ٨ / ٢٣٠.

٣ - علل الشرائع / ٣٦٩.

٢- ان تحصيل اموال الاغنياء يتوقف على ادائهم ما فيها من الحقوق الظاهرة والباطنة، حتى تُزاح المسكنة والفقر عن عرصات المجتمع؛ فلا قداسة لتلك الاموال اذا لم تؤد حقوقها جميعاً.

٣- ان الفقر الذي يُسدّ بالزكاة، هو الفقر الطبيعي، الناشئ من الامراض والعاهات والتصادم وما الى ذلك، لا الفقر الاجتماعي المفروض.

٤- ان اداء الزكاة مقدّمة لتبني مبدأ المساواة والوصول اليه وبخوع المجتمع الاسلامي به.

٥) ان امر الدين والقيام به وباحكامه، يتوقف على المعونة المادية، فالذين يمنعون الفقراء والمحرومين من حقوقهم ليس فسادهم منحصرأ فيما يُصيب المستضعفين من الجهة المادية فحسب، بل يضرّون بهم من الجهة الدينية والروحية ايضاً ويضرّون بالدين ويُضعفون قواعده الاجتماعية.

٦- في العهد المهدوي:

(٣٣) النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أبشركم بالمهدي، يُبعث في امتي على اختلاف من الناس.. يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض، يَقسم المال صحاحاً. فقال له رجل: وما صحاحاً؟ قال: (التسوية بين الناس).^١

١ - مُسند احمد بن حنبل ٣ / ٣٧؛ البحار ٥١ / ٨١ و٩٢؛ كشف الغمة ٣ / ٢٦١

(من طبعة دار الكتاب الاسلامي، بيروت، في ثلاثة مجلدات)؛ منتخب الاثر / ١٤٧.

ح - معلّم وّضّاح (١)

(٣٤) النبي صلى الله عليه وآله وسلم - فيما وصف صلى الله عليه وآله وسلم، به الامام علياً عليه السلام: انتَ الامام لامتي، وانت القائم بالقسط في رعيتي...^١

* يُستنبط من ملاحظة ما جاء في هذا الكلام النبوي بحق الامام علي بن ابي طالب عليه السلام، من انه القائم بالقسط في الامة، وما جاء في احاديث نبوية متعددة أخرى، من انه الأقسام بالسوية، اصل اسلامي هام. وهو ان القيام له وشيخ صلة بتبني مبدأ المساواة. والامر كذلك. وبما ان الهدف الغائي للدين هو قيام الناس بالقسط - كما صرّح به في القرآن الكريم - يتضح ان تبني مبدأ المساواة من الاصول الاصلية للدين لتجسيد غاياته المختلفة في المجتمع والحياة.

د - معلّم وّضّاح (٢)

(٣٥) النبي صلى الله عليه وآله وسلم: يَقْسِمُ (المهدي) المال بالسوية.^٢
* لقد جاء في احاديث نبوية متعددة مشهورة بين المسلمين: ان المهدي عليه السلام اذا قام يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً؛ وجاء عن الامام الباقر عليه السلام: انه يهدم ما كان قبله - كما صنع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - ويستأنف الاسلام جديداً؛^٣ وعن

١ - المراجعات / ١٩٢.

٢ - كشف الغمة ٣ / ٢٦٤.

٣ - البحار ٥٢ / ٣٥٢ - ٣٥٣، عن (الغيبة) للنعمان.

الامام الصادق عليه السلام: انه يسير في الناس بسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويعمل فيهم عمله.^١ ولقد قرأت نماذج من الأحاديث التي تقول ان المهدي عليه السلام يُسَوِّي بين الناس، ويقسم المال صحاحاً (بالسوية)، ويُركِّز مبدأ المساواة الاقتصادية.

وان مقتضى الجمع بين هذه الاخبار والأحاديث وفقهاها هو ان الواقع المطلوب للاسلام الاصيل هو المساواة.

وهذا الاصل هو الذي يُهمله المسلمون ولا يعتدون به فيحييه القائم المنتظر عليه السلام ويستأنف به الاسلام جديداً، كأن ما كان قبله باسم (الاسلام) لم يكن من الاسلام.

هـ- الوضع المطلوب للنظام الاقتصادي في الاسلام

(٣٦) الامام علي عليه السلام: لو اقتبستم العلم من معدنه.. وسلكتم الحق من نهجه.. اضاء لكم الاسلام، فاكلتم رغداً، وما عال فيكم عائل.^٢

(٣٧) الامام الباقر عليه السلام:.. يُسَوِّي (المهدي) بين الناس، حتى لا ترى محتاجاً الى الزكاة.^٣

* الذي يُستفاد من صريح هذه التعاليم، هو ان الاسلام يشاء للمجتمع الانساني ان يأكل الناس جميعاً رغداً، وان لا يكون فيهم عائل، وان لا يُرى فيهم محتاج. وحيث نجد ان التكاثر والفقر هما الداهيتان العظيمتان في

١ - كشف الغمة ٣ / ٢٥٤.

٢ - الكافي ٨ / ٣٢.

٣ - البحار ٥٢ / ٣٩.

تاريخ الانسان، نشاهد الاسلام يسعى لازاحتها عن عرصات الحياة البشرية، بإقامة القسط والتوازن، ودعم مبدأ المساواة.

و - ايقاظ ديني وتربوي واجتماعي واصلاحي هام:

(٣٨) الامام علي عليه السلام: ألا! وايماء رجل من المهاجرين والانصار، من اصحاب رسول الله، يرى ان الفضل له على من سواه لصحبته، فإن له الفضل النير غداً عند الله، وثوابه واجره على الله. وايماء رجل استجاب لله وللرسول، فصدق ملتنا ودخل في ديننا واستقبل قبلتنا، فقد استوجب حقوق الاسلام وحدوده.

فانتم عباد الله، والمال مال الله، يُقسم بينكم بالسوية، لا فضل فيه لأحد على أحد، وللمتقين عند الله غداً أحسن الجزاء وافضل الثواب. لم يجعل الله الدنيا للمتقين اجراً ولا ثواباً، ما عند الله خير للأبرار. واذا كان غد - ان شاء الله - فاغدوا علينا!.. فلما كان الغد غدا وغدا الناس، فقبض المال فقال لعبيد الله بن ابي رافع - كاتبه - ابدأ بالمهاجرين فنادهم، واعط كل رجل ممن حضر ثلاثة دنانير، ثم ثن بالانصار، فافعل معهم مثل ذلك، ثم من لم يحضر من الناس كلهم، الاحمر والاسود، فاصنع به ذلك.. (ولما كلمه جمع في تصديره الناس اسوة في العطاء وعدم رعايته السيرة السياسية التي يسير عليها الساسة والملوك والحكام في امثال هذه الموارد، قال:

هذا كتاب الله بين اظهرنا وعهد رسول الله وسيرته فينا، لا يجهل ذلك إلا جاهل عاند عن الحق منكر. قال الله تعالى ﴿يا ايها الناس! اننا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله

اتقاكم*، ثم صاح باعلى صوته: (اطيعوا الله واطيعوا الرسول! فان توليتم فان الله لا يحب الكافرين). ثم قال: يا معشر المهاجرين والانصار! اتمنّون على الله ورسوله بإسلامكم؟ بل الله يمنّ عليكم ان هداكم للإيمان ان كنتم صادقين..^١

إلفاتُ نظر:

انظروا الى هذه اللوحة الرائعة العظيمة، واللحظة العملاقة في التاريخ الانساني، مما سنحت في الخلافة الاسلامية العلوية:

قد اشرقت شمس الكوفة وارسلت انوارها الذهبية على البلدة بنخيلها وانهارها ودورها وسُككها.. وغدا الناس وبرزوا ذاهبين الى بيت مالهم، واثقين مطمئنين، لا يطمع قويٌّ في حيف ولا ييأس ضعيفٌ من عدل.. وعلي بن ابي طالب - عملاق العدالة والحق وحارس الكرامة الانسانية وحامي التعساء الوحيد - قائم.. وابن ابي رافع يقسم المال بين الناس ويُعطي كل واحد منهم ثلاثة دنانير.. الأحمر والأسود.. الشريف والوضيع.. الحر والعبد، العالم والجاهل، الرئيس والمرؤوس..

وتُشاهد هناك - في مُزدحم الجماهير - ضمن صفوف الناس، ان قد حضر اولو السابقات والشرف والسادة والكُبراء، وأعظم رجال المسلمين، وصناديد قريش من المهاجرين الذين اسلموا.. وكذلك شجعان المسلمين وامراء جيوشهم المشاهير، وعلمائهم وفضلاؤهم.. ما ترى في خلق الرحمن

١ - البحار ٨ / ٣٩٣ - ٣٩٤ (طبعة الكمباني)؛ راجع ايضاً: الكافي ٨ / ٣٦٠-٣٦٢.

من تفاوت، حيث تبصر الناس جنباً الى جنب حتى غلام سهل بن حنيف الانصاري.. كل يأتي ويأخذ سهمه المساوي للآخرين: ثلاثة دنانير، وترى الناس كأسنان المشط، وفضائلهم بينهم وبين الله..^١ لا مزية هناك ولا فرق، وأثرة ولا مُحاباة، ولا يُكرم الشريف لشرفه، ولا يُهان الوضيع لخموله.. بل الكل يُنظر اليهم بعين واحدة، نظرة تخلق للانسانية قيماً لا يأتي عليها مرُّ الحقب والاعوام..

وشمس الكوفة تشرق على هذه القطعة من الأرض، التي تتقدس فيها العدالة.. وتمتزج أشعتها بأشعة شمس العدالة الكلية، فتبقى مُشرقة خالدة الى ان يرث الله الأرض وما عليها... فما اجلّه من يوم. وما اعظمه من صباح! فلماذا لا يُعيد التاريخ أياماً مثله، الم يقولوا ان التاريخ يُعيد نفسه؟ فلماذا لا يُعيد، لماذا؟..

ويُستفاد من هذه التربية العلوية البناءة امور نشير الى نبذة منها:

١ - لا يجوز لمن آزر المبدأ الحق وقوّاه، ان يطلب على ذلك اجوراً مادية. فهناك في الناس أشخاص يتوقفون لأن يؤازروا دعوةً صالحة، او ثورةً ناجحة، باموالهم واوقاتهم وامكانياتهم، ولكن ليس لهم عند النجاح ودخول الناس فيها ان يتطلبوا لذلك مزايا مادية، مُعلنة أو غير مُعلنة؛ لأنّه نقضٌ لأهداف الدعوة وغايات الثورة (من اقامة العدل وبسط القسط)، واستغلال القيم على حساب الجماهير.

١ - على حد تعبير الامام الصادق عليه السلام، كما مرّ في الحديث ٢٤، من الفصل.

٢ - ان المؤازرة المذكورة، لا تستتبع اجراً مادياً، ولا تُوجب أثراً وفاقاً، وان كانت في صحبة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وخدمته، فضلاً عن غيرها.

٣ - ان اجر الاعمال بيد الله تعالى، وما عنده خير للابرار، وللمجاهدين الصامدين الصادقين الفضل النير غداً عند الله، ولم يجعل الله الدنيا للمتقين اجراً ولا ثواباً.

٤ - ان مؤازري الحق والدين، لا يطلبون الأجور المادية ان كانت مؤازرتهم وقعت عن تقوى وصدق.

٥ - لا يجوز لمن يؤمن بالحق ويتبعه ويسعى له، ان يمنّ على الله وعلى أهل الحق وتابعيه والعاملين به، بل لله المنّة عليه، حيث فهمه الحق ويسرّ له الاهتداء اليه والايمان به، والعمل لمؤازريه.

٦ - ان رعاية المساواة وتبنيها الحاسم، والصمود لتطبيقها امرٌ قرآني يدعو اليه كتاب الله وسنة نبيه وسيرته.

ز- الفقه القديم يؤكد على تبني (مبدأ المساواة)

من المشجّع على الدعوة الى تبني مبدأ المساواة وتجسيدها في الناس، ما نُشاهده في كلام فقهاءنا القدامى من التنصيص عليه، اضافةً الى الكثير الوارد في التعاليم الإسلامية. قال القاضي عبد العزيز بن البراج الطرابلسي: (وينبغي للإمام ان يسوي بين المسلمين في القسمة، ولا يُفَضَّل احداً منهم على احد، لشرفٍ فيه، أو زهدٍ، أو علمٍ، على من هو ليس

كذلك).^١

ونجد الفقه القديم، أقرب الى روح تعاليم الإسلام، وأشدّ وشجاً بالذي علّمه الأئمة الطاهرون عليهم السلام فكان أدعى الى النزعات الشعبية وأقوى على تلبية الجماهير في متطلباتها. وذلك لأمر:
منها: قرب عهدهم بعصر المعصومين عليهم السلام وانصهارهم بتلك الأجواء.

ومنها: معنوياتهم الغالبة من الزهد والتورع والالتزام.
ومنها: بساطة المنظمات والمؤسسات الدينية وحياتها، وقلة النفقات اللازمة، فكانوا لا يحتاجون لأن يركنوا الى الذين ظلموا الناس من الأغنياء والمتكاثرين، فابتعدوا عن الجماهير وحاجاتها وآلامها..

ح - الثورات الدائمة تتبنى (مبدأ المساواة).

ولما يتمتع (مبدأ المساواة) به، من أصالة إسلامية، نُشاهد ان التّغييرين من الثوار المسلمين ينوّهون به، في طليعة ثوراتهم التي تزخر بمياه الحياة القرآنية، وتنطلق عن بذل الدم الطاهر لاستخلاص الناس من الظلم والعدوان وتحسينهم ضد الحاجة والفقر، في توضّحات كبيرة تشكّل سلسلة مآسي الطيبين، وتصبغ الفجرين لأن يبقى صُراخاً خالداً على صفحات الدهر، في سبيل تلكم المبادئ السامية.

قالوا: (لما كانت بيعة الحسين بن علي، صاحب فخ^١، قال: أبايكم على:

١ - لأهمية هذه الأمور المذكورة قد اشرنا اليها في الكلام على الحديث ١٨، من هذا

الفصل ايضاً.

[أ] - كتاب الله،

[ب] - وسنة رسول الله،

[ج] - وعلى ان يُطاع الله ولا يُعصى،

[د] - وأدعوكم الى الرضا من آل محمد،

[هـ] - وعلى ان نعمل فيكم بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله

وسلم،

[و] - والعدل في الرعية،

[ز] - والقسم بالسوية،

[ح] - وعلى ان تُقيموا معنا وتُجاهدوا عدونا،

[ط] - فإن نحن وفيناكم وفيتم لنا،

[ي] - وإن نحن لم نف لكم فلا بيعة لنا عليكم..^٢

ومن أهم ما جاء في هذا الخطاب، الفقرتان الأخيرتان، حيث تُقيّدان طاعة

الناس للثائر القرآني بوفائه بجميع ما وعد به الناس وإلا فلا.

والحسين بن علي الحسني هذا، من أعظم المؤمنين المجاهدين ضد

الطاغوتيه والظلم. ولقد أثنى عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل

أوانه بأكثر من ستين ومئة عام؛ ولقد نوّه بذكره الامام الصادق عليه

السلام وصلى في مشهده قبل شهادته؛ وقال عنه الامام موسى بن جعفر

١ - فحّ، بالفتح فالتشديد، بئر قرب مكة المكرمة يُسمى الموضع بها؛ قاتل جمع من

الربيين - من الثوار العلويين - الجبابرة العباسيين هناك، واستشهدوا في سبيل

مبادئهم القرآنية. وكانت الواقعة في سنة ١٦٩، من الهجرة القادسة، والمكان يُسمى

اليوم (الشهداء).

٢ - مقاتل الطالبين / ٢٩٩، الطبعة الثانية، النجف الأشرف (١٣٨٥هـ).

الكاظم عليه السلام بعد مقتله: (..مضى والله مسلماً صالحاً، صَوَّاماً قَوَّاماً،
 آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر..)^١
 وروى ابو الفرج الأصفهاني باسناده، بصدد سخائه ورعايته
 المحتاجين، انه قال علي بن الحسين الحضرمي: (سمعتُ الحسن بن هذيل
 يقول: (بعتُ لحسين بن علي صاحب فخ، حائطاً بأربعين ألف دينار،
 فنثرها على بابه، فما دخل على أهل بيته منها حبة؛ كان يُعطيني كفاً كفاً
 فأذهب به الى فقراء أهل المدينة).

ط - مثال أعلى:

(٣٩) الامام علي عليه السلام: يا بنت علي بن ابي طالب! لا تذهبي
 بنفسك عن الحق أكل نساء المهاجرين تتزين في العيد بمثل هذا؟^٢
 * هذا كلامُ قاله الإمام لإحدى بناته، لما أخذت عقد لؤلؤٍ من بيت المال،
 عارية مضمونة مردودة بعد ثلاثة أيام - في أيام الأضحى - فرآه عليها فرفعه.
 وما أعظمه من صمود في الحق والعدل! وما أرقاه من اتجاه في جعل
 الناس أسوة! حيث لا يرضى بأن يرى على ابنته ما لا يرى على غيرها، من
 سائر البنات والنساء.
 فيا تاريخ! أليس لك ان تُعيد مثل تلكم الأيام؟..

١ - مقاتل الطالبين / ٣٠٢؛ راجع ايضاً: (الكافي) ١/ ٣٦٦؛ (البحار) ٤٨ / ١٦٠؛

(سفينة البحار) ١ - ١ / ٢٧٥؛ (بطل فخ)، للشيخ محمد هادي الأميني النجفي.

٢ - المناقب ٢ / ١٠٨.

ي - أصلان تربويان عظيمان:

الأصل الأول: المساواة في التعليم

٤٠) الامام الصادق عليه السلام - عن حسان المعلم قال: سألت ابا عبدالله عليه السلام عن التعليم؟ فقال: (لا تأخذ على التعليم اجراً)^١ قلت: فالشعر والرسائل وما أشبه ذلك أشارك عليه؟ قال: (نعم، بعد ان يكون الصبيان عندك سواءً في التعليم، لا تُفضل بعضهم على بعض)^٢.

* يُرشدنا المعلم الإلهي، في هذا التعليم، الى امرٍ تربوي عظيم، تبتني عليه سعادة المجتمعات وصيانة قدر الانسان وكرامته. وهذا الأمر يرجع الى تربية الناشئة من أول مراحل التربية والتعليم. وذلك لأن الفواصل المالية والفروق المعيشية والمظاهر الترفية، تتجلى للانسان أول ما تتجلى في المدارس الابتدائية، من جهة تفاوت الأطفال في اللباس والغذاء وأدوات المكتب والرفاه المعيشي وما الى ذلك. فمن هنا يضع المعلم الالهي الاصبع على هذا المقطع الحساس بما له من دور بناء، فيشترط على حسان المعلم لجواز شغله، ان يكون الصبيان عنده سواء في التعليم، من غير ان يفضل بعضهم على بعض، لاية جهة كانت، وان يحطم كل ما هنالك من فرق مالي وترفي في حياته وحياة عائلاتهم، وما يُبدونه من تغطرس أو تفاخر أو تسام، حتى يتغلغل أصل المساواة والنظر الى الاناسي بعين واحدة في

١ - يُقصد بهذا النهي، أخذ الأجرة على تعليم ما هو الواجب.

٢ - الوسائل ١٢ / ١١٢.

نفوس الناشئة بادئ بدء، وحتى تجف جذور النظرة الفارقة - غير الانسانية وغير الاسلامية - من أرض نفوسهم وأفكارهم، ويصبح ذلك مقياساً رئيساً لحياتهم الاجتماعية وسلوكهم الاسلامي في المستقبل. ويجب ان يُتخذ هذا التعليم دستوراً حاسماً في كل مراكز التربية والتعليم، ولدى المدرسين والأساتذة، وأن يجعله المبرمجون ركناً للمنهاج التربوي. وعلى هذا الأساس، يجب ان لا يكون في المجتمع الاسلامي مدارس ممتازة، يردها صبيان وناشئة ولا يردها غيرهم.. إلا ما إذا كان من جهة الاستعداد والطاقة الزائدة في التعلم والتدرب..

الأصل الثاني: المساكين ولزوم تعليمهم وتثقيفهم:

(٤١) الامام الصادق عليه السلام:.. من العلماء من يرى ان يضع العلم عند ذوي الثروة والشرف، ولا يرى له في المساكين وضعاً؛ فذاك في الدرك الثالث من النار.^١

* يرشدنا هذا الحديث الى ان تعليم المساكين وتثقيفهم امرٌ لازم. وهذا التعليم وأمثاله ناظر الى الوضع القائم لا المطلوب - كما أشرنا اليه ايضاً - وهذا من عظام انسانيات الاسلام وارشاداته البناءة والمنقذة، حيث ان المساكين اذا عُلِّموا وتُثِّقوا يهتدون الطريق الى احقاق حقوقهم واعادة كرامتهم وإلحاق نفوسهم وذويهم بمستوى الآخرين؛ إذ التثقيف يمكنهم من الحضور النشط والعضوية الفعالة في المجتمعات والأحزاب وما الى ذلك. وكل ذلك من حقوقهم.

رؤية تحليلية لمبدأ المساواة في الإسلام

إذا لاحظنا واقع المساواة في تقسيم الأموال عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وعند أمير المؤمنين عليه السلام وعند الإمام المهدي القائم عليه السلام، الذي بشر به النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وقال: (انه سيخرج فيملاً الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً)، وهو الذي يؤسس الحكم القرآني الفعلي، ونظرنا فيما جاء من تعاليم الأئمة الطاهرين عليهم السلام بهذا الصدد ببيانات مؤكدة، نعلم بوضوح، ان مبدأ التسوية في القضايا المالية مبدأ جوهري في الدين وتعاليمه. وبما ان الدين الحق السماوي، إنما يدعو الى دعم نظام شامل وحكم رصين، اذاً لا يصح ان نقول ان هذا النظام يُسوي في الاموال العامة الى حد يكسر رغبةً واحداً سبع كسرات، ولا يعتمد في سائر الأموال والممتلكات - التي تدور عليها رعى حياة الناس - الى أي تجاوب مع هذا المبدأ، ولا يرى أي حد كمي للملكية وای ميزان للفروق المالية والمعيشية بين الناس. ان هذا الزعم لا يمكن ان يُصار اليه؛ لانه يؤدي، أولاً الى:

١ - خور النظام الديني في تعاليمه وعدم انسجامه وتشابكه.

٢ - تقويض اركان المجتمع وتوتر الصلات الانسانية فيه.

اجل، ان الدين إنما يعمل بالتسوية ويسوي بين الناس ويحملهم سواء، ويدعو الى المبدأ الإلهي والإنساني القويم؛ لأن يقوم القسط في الناس ويقوم الناس به. وهل قيام القسط ينحصر بقسم محدود من الأموال وبحفنة محدودة ممن يمت الى الحكم والى بيت ماله، ولا يعدوها الى سائر الموارد

ولو بصورة أخف، وإن الناس في المجتمع أحرار لأن يمتلكوا ما يشاءون، وبمقدار ما يشاءون، وإن تهاووا في دركات الاقتصاد التكاثري الحر وجحيم الاستهلاك الترفي والاسراف، واحترقوا في نيران الأثرة؟ لا، هذا امر لا يصير اليه اي مذهب اقتصادي واجتماعي ملتزم - ولو كان التزامه ضئيلاً - فضلاً عن الإسلام، لأن ذلك يورث انهيار الدين، وخذلان الحكم، وتهافت التعاليم، وفشل الغايات، وهدم اركان المدنية والاجتماع، وتخلّف الجماهير، وسقوط البلاد، وفناء الاسلام والمسلمين.

الأصول الرئيسية التي تدعو الى (المساواة):

ان للمساواة في التصور الاسلامي جذوراً راسخة وقواعد اساسية واصولاً بنائية، ينبغي ان نلفت اليها الانظار، وهي:

١ - أصل التوحيد.

٢ - اصل تساوي الناس في الخلق، من أب وأمٍّ واحد.

٣ - اصل كرامة الانسان.

٤ - أصل الأخوة الايمانية.

٥ - اصل محدودية الانسان التكوينية في استغلال المواهب.

٦ - اصل رفض التكاثر (الاقتصاد الحر)

٧ - اصل البنوة الاسلامية.^١

٨ - اصل شجب الاثرة والمحابة.

١ - هذا الاصل مُتَّخَذ من كلام الامام الصادق عليه السلام: (أهل الاسلام هم ابناء

الاسلام.. احملهم كبني رجل واحد) - لاحظ تمام الحديث برقم ٢٤.

- ٩ - اصل تعميم المواهب المعيشية.
- ١٠ - اصل قوامية المال وتساويها للكل.
- ١١ - اصل محدودية الامتلاك.
- ١٢ - أصل محدودية الاستهلاك.
- ١٣ - اصل الانفاق.
- ١٤ - اصل الاقتصاد في المعيشة.
- ١٥ - اصل العدل (التوازن الاقتصادي للجماهير).
- ١٦ - اصل الاحسان (الانسجام المعيشي).
- ١٧ - اصل اسناد الفضل والميزة الى التقوى.
- ١٨ - اصل رابطة العدل والتسوية.
- ١٩ - اصل رفض الاسراف والتبذير والتقتير.
- ٢٠ - اصل كفاح الفقر واستئصاله.
- ٢١ - اصل شجب الاستضعاف والاستكبار.
- ٢٢ - اصل تمويل الفقير لكي يلحق عياله بالناس.

واليك ايضا مقتضياً لكل من هذه الاصول:

١- اصل التوحيد:

ان قائمة الدين وقاعدة تعاليمه واحكامه هي التوحيد، والايمان باله واحد أحد، خلق الخلائق وبرأ النفوس، فهو إله الكل وخالق الكل ورازق الكل، ومقدّر الارزاق والمعاش للكل، والكل عبده والمرتزقون من موائد نعمه وفضله. وهو يحب الكل محبة المؤثر للأثر والخالق للمخلوقين والرب للمربوبين.

وان هذا المعتقد والايمان، لا يكتمل إلا بان يسري في صلات الانسان الاجتماعية وملتقى كل انسان مع السائرين في عرصة هذه الحياة. وان من اهم مظاهر المعتقد التوحيدي ومجالاته العملية في المجتمع الاسلامي، هو تساوي الناس في المستويات المعيشية، خضوعاً لله واعترافاً بكبريائه؛ وطلباً لمرضاته، وعدم تفريق بين خلقه شجباً للاستكبار، وعملاً بكتابه. ومن هنا قال الامام الصادق عليه السلام: (كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقسم لحظاته بين اصحابه، فينظر الى ذا وينظر الى ذا بالسوية)^١. وقال امير المؤمنين عليه السلام: (.. وان تكونوا عندي في الحق سواءً)^٢، و(علموا ان الناس عندنا في الحق اسوة)^٣. ولقد قال رجل للامام الصادق عليه السلام في كلام جرى بينهما وقد سأله عن مسائل: (.. فتقول ان ولد آدم كلهم سواء في الأصل، لا يتفاضلون إلا بالتقوى؟) قال نعم، اني وجدت أصل الخلق التراب، والاب آدم، والام حواء، خلقهم إله واحد وهم عبيده..^٤ وقال الامام ابو الحسن الرضا عليه السلام، في جواب من يشير عليه بان يعتزل مائدة السودان من جمعه: (مه! ان الرب - تبارك وتعالى - واحد، والام واحدة، والاب واحد..^٥).

١ - الوسائل ٨ / ٤٩٩.

٢ - نهج البلاغة / ٩٨٢؛ عبده ٣ / ٨٩.

٣ - نهج البلاغة / ١٠٧٢؛ عبده ٣ / ١٤٥.

٤ - الاحتجاج ٢ / ٨٣.

٥ - الكافي ٨ / ٢٣٠.

فنُشاهد من هذين التعليمين - وهما متعاضدان بتعاليم وأحاديث أخرى وبالآيات القرآنية - ان الامامين، الصادق والرضا عليهما السلام، يجعلان وحدة الخالق - جلّ اسمه - وتساوي المخلوقين في الأصل والأب والام، مستنداً لتساوي الناس، وتركيز مبدأ المساواة الاجتماعية والاقتصادية.

ولقد عمد الى بيان هذا الأصل، وكشف عنه، أحد النابهين المفتحين من الفقهاء، حيث قال: (.. فالتوحيد هو جوهر العقيدة الاسلامية، وبالتوحيد يُحرر الاسلام الانسان من عبودية غير الله (لا إله إلا الله)، ويرفض كل أشكال الألوهية المزيفة على مرّ التاريخ. وهذا هو تحرير الانسان من داخل، ثم يقرر كنتيجة طبيعية لذلك تحرير الثروة والكون من أي مالك سوى الله تعالى وهذا هو تحرير الانسان من خارج. وقد ربط الامام امير المؤمنين عليه السلام بين الحقيقتين حين قال: العباد عباد الله، والمال مال الله.^١ وبذلك حطم الاسلام كل القيود المُصطنعة والحواجز التاريخية التي كانت تعوق تقدّم الانسان وكدحه الى ربه وسيره الحثيث نحوه، سواء تمثّلت هذه القيود والحواجز على مستوى آلهة ومخاوف واساطير وتحجيم للانسانية بين يدي قوى اسطورية، او تمثّلت على مستوى ملكيات تكرس السيادة على الأرض لطاغوت، فرداً كان أو فئة أو طبقة، على حساب الناس، وتحول دون نموهم الطبيعي، وتفرض عليهم بالتالي علاقات التبعية والاستعباد. ومن هنا، كان الاسلام - الذي كافح من أجله الانبياء - ثورة اجتماعية على الظلم والطغيان، وعلى الوان الاستغلال

١ - لاحظ: الحديث ٣٨، من الفصل.

والاستعباد. ومن هنا أيضاً كان الأنبياء - وهم يحملون هذا المشعل - يستقطبون دائماً المعذبين في الأرض والجماهير البائسة التي مزقتها اساطير الآلهة المزيفة روحياً، وشتتها الجاهلية فكرياً، ووقعت فريسة اشكالٍ مختلفة من الاستغلال والظلم الاجتماعي^١.

٢- اصل تساوي الناس في الخلق:

هذا الاصل ايضاً اصل اساسي وبديهي، يقول القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتِّقَاكُمْ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^٢. وهذا دعاء الى رفض الفروق والامتيازات، فالله الخالق المتعال إنما فرّق بين الناس في انسابهم وبلدانهم ليتعارفوا، لا ليتفاخروا ويجنحوا الى الاستكبار والاستعلاء، فلا فرق ولا امتياز^٣.

ويقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (ايها الناس! انكم من آدم، وآدم من تراب)^٤. ولقد أوردنا كلام الامام الصادق عليه السلام وكلام الامام ابي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام بهذا الصدد، في الاصل السابق فلاحظهما بامعان.

١ - السيد الشهيد محمد باقر الصدر / الاسلام يقود الحياة / ٢٦ - ٢٧.

٢ - سورة الحجرات (٤٩): ١٣.

٣ - كما جاء الاستدلال بالآية على ذلك، في كلام امير المؤمنين عليه السلام فلاحظ:

الحديث ٣٨، من الفصل.

٤ - البحار ٢١ / ١٣٨؛ الكافي ٨ / ٢٤٦.

٣- أصل كرامة الانسان:

الانسان في (التصور الاسلامي) هو خليفة الله في الارض، وان الله تعالى اعطاه الكرامة وكرّمه (ولقد كرّمنا بني آدم) ^١. ومن المعلوم، ان هذه الكرامة لا تخص احداً دون أحد، بل انها تعمّ جميع ابناء الوالدين: آدم وحواء. ومقتضى ذلك ان يكون الناس كلهم متساوين في الاستمتاع بالموهب التي خلقها الله لهذا الموجود المكرّم عنده وخوّله اياها (كما ورد في الحديث المفضلي عن الصادق عليه السلام) ^٢، فان منشأ ذلك التكريم هو انسانية الانسان وكونه ابن آدم عليه السلام. وهذا في الكل موجوداً على السواء. وهذه الحالة هي التي سيتجسد نموذجها العالي والمستوعب في عصر الحكم القرآني الفعلي لأن في ذلك العصر يُشجب الاستضعاف بصورة فعلية مستوعبة، ويصبح المستضعفون ائمة وحكاماً واقعاً. ومن الواضح ان الاستكبار والاستضعاف الاقتصاديين من اهم اسباب نفي كرامة الانسان وسلبها، فما دام سائدين على المجتمع فلا كرامة للانسان مصونة.

٤- أصل الأخوة اليمانية:

ان القرآن الكريم يقول: (إنما المؤمنون اخوة) فيؤسس بهذه الدعوة والتعليم اصلاً اساسياً لصلات الانسان الاجتماعية، وللحض على التراحم والبر. ولقد اكدت التعاليم على تعزيز هذه الأخوة، ودعت المعتقدين الى العمل بالمؤاساة والمساواة والايثار. ^٣

١ - سورة الاسراء (١٧): ٧٠.

٢ - البحار ٣ / ٦١.

٣ - ولقد تكلمنا عن هذا الاصل ومقتضاه في الفصل الخامس والأربعين من كتاب:

الحياة.

٥ - اصل محدودية الانسان التكوينية في استغلال المواهب:

ان الانسان محدود، بمقتضى فطرته وطبيعته، بحدود . وكذلك المواهب الطبيعية محدودة بالنسبة الى كل أحد، لأنها وضعت للكل. فمقتضى هاتين المحدوديتين ان يُراعى كل انسان جانب الاعتدال والقصد، في الاستفادة من المواهب. وهذا جُنوح الى مبدأ المساواة، بل سوق اليه وتعبيد لطرقها العملية، إذ الفطرة في الكل واحدة، ولها اقتضاء واحد. وحدُّ القصد لا يتفاوت في هذا الانسان وذاك بكثير.

٦ - اصل رفض التكاثر (الاقتصاد الحر):

ان الفرق المعيشي إنما ينشأ من تكدّس المال والثروة عند حفنة. وهذا ما يرفضه الاسلام بنصي (سورة التكاثر) و(آية الحديد) الحاسمين. واذا رُفِضَ التكاثر، وحُمِلَ الناس على حفظ الحد الاسلامي في الامتلاك، يُساق المجتمع بصورة طبيعية وموضوعية الى مقربةٍ من الحدود الاسلامية والانسانية وتبنيها.

٧ - اصل البُنة الاسلامية:

ان صلة الاسلام بالناس، صلة الاب والابناء. وهل تقتضي هذه الصلة إلا المساواة والتأكيد الفعلي على تركيزها وارساء قواعدها الاقتصادية والمعيشية في الجماهير؟ يقول المعلم المعصوم الامام جعفر الصادق عليه السلام: (اهل الاسلام هم ابناء الاسلام، أُسْوَى بينهم في العطاء. وفضائلهم بينهم وبين الله، اجعلهم كبني رجل واحد..). وهذه البُنة لا تخصّ بعضاً دون بعض.

٨ - اصل شجب الأثرة والمحابة:

ان هدف الدين الإلهي ان ينقذ الانسان من التهلكة وان الأثرة من اسباب التهلكة كما يُعلمنا الامام علي عليه السلام: (من يستأثر من الأموال يهلك). فالاسلام يُعارض الأثرة ويرفضها. وهذا طريق من طرق الوصول الى مبدأ المساواة وسوق المجتمع اليه. وذلك لأنّ المجتمع يجب ان يُصان بقاؤه وكيانه الانساني والاسلامي. وان هذا الكيان لا يبقى إلا اذا رُوِيَ فيهِ القانون السائد على العالم كله. وهو قانون التوازن والقصد، فبهما يضمن للمجتمع نجاته وخلاصه من الاستبدال والسقوط، فيجب ان يكون الناس واعين لأهمية مبدأ المساواة، داعين اليه، ساعين لتجسيده، مجابهين للاستئثار والمحابة. وان الحفنة المستكبرة التي تطلب الاثرة وتسعى لها، لو علمت ما فيها من خطر الزوال والاستبدال، لرفضتها وفاءت الى مبدأ المساواة الانساني والاسلامي.

٩ - اصل تعميم المواهب المعيشية:

لقد تكلمنا عن هذا الموضوع، في الفصل السادس والثلاثين، من الفصول العشرة التي عقدناها عن كفاحات الاسلام الرحبة ضد الفقر، وعنوانه بـ(الكل مهياً للكل، لا مُدخّر للبعض). في كتابنا: الحياة.

١٠ - اصل قوامية المال وتساويهما للكل:

هذا الاصل الاسلامي الاقتصادي (يعني قوامية المال)، ينفي الاثرة والامتياز المالي الباهض، لأن قوامية المالي لحياة الإنسان وما يلزمه لها متساوية في كل أحد تقريباً (لو لم يسد المجتمع، الاستكبار المعيشي

والاستثناء). وهذا كما رأينا ان امير المؤمنين عليه السلام كان يُسَوِّي بين أجيده وبين نفسه^١، ولا يقول: أنا امير المؤمنين، ولي تكاليف ونفقات، وهو أجير بسيط، اذ التشبُّث بهذه المعاذير تمويه ودجل؛ فقوامية المال لا تخص شخصاً دون شخص، فكما ان الغني يحتاج الى الغذاء واللبوس والدواء والمسكن والمركوب.. كذلك الفقير يحتاج الى كل ذلك. وكما أن أولاد الأغنياء، من بنين وبنات، يحتاجون الى الصحة والتربية والتعليم.. كذلك أولاد الفقراء، من بنين وبنات، يحتاجون الى كل ذلك. وكما ان المال قوام ولازم لحياة المهندس كذلك لازم لحياة العامل. وكما انه قوام ولازم لحياة صاحب العمل وأولاده وذويه، كذلك قوام ولازم لحياة بواب العمل وأولاده وذويه، وهكذا، فهو لازم وقوام لحياة العالم والجاهل، والأمير والمأمور، والقاضي وبائع التذكرة، والفنان والفلاح، والدكتور والسوقي، والغني والمسكين..

ان الواقع هكذا. وان احتياج الانسان الى المال لا يخص الابيض بل يعدوه الى الأسود والأحمر والأصفر ايضاً، فما الفرق بين انسان وانسان؟ اذا نشاهد ان انساناً عظيماً كعلي بن ابي طالب عليه السلام - وهو امير المؤمنين ورئيس رقعة كبيرة من الأرض، يحكمها الاسلام - يسوي بين نفسه وأجيده، وحينما يُسوي بين رجل انصاري وغلام اسود، فيعترض عليه الانصاري قائلاً: (يا أمير المؤمنين! هذا غلامٌ اعتقته بالأمس، تجعلني وأياه سواء؟) فيقول: (اني نظرت في كتاب الله، فلم اجد لولد اسماعيل على

١ - المناقب ٢ / ١٠٨ - مر حديثه في الفصل، برقم ١٧.

ولد اسحاق فضلاً^١. ومن الواضح، ان ذكر (ولد اسماعيل) و(ولد اسحاق) إنما جاء على سبيل المثال، فالمقصود اني لم اجد في كتاب الله فرقاً بين ولد آدم، من اسماعيليين أو اسحاقيين أو غيرهم الى آخر الدهر، كما سلفت الاشارة اليه.

وهذا الموقف الذي اتخذه الإمام امير المؤمنين عليه السلام يكفي بنفسه للتدليل على جوهرية مبدأ المساواة في الاسلام وانها من أهم اصول هذا الدين، التربوية والاجتماعية والاقتصادية والمعيشية والحقوقية. فبناءً على ذلك، لو روعي هذا الاصل في أي مجتمع، لا يُتاح فيه لاصحاب المواهب الفكرية والجسمية المتفاوتة، ان يُحرّفوا الاموال عن مواضعها وان يُجردوها من فوائدها القوامية، ولا يتسنى لهم ان يُبدلوا ما هو قوام لحياة الكل الى دولة بين حفنة أو طبقة خاصة.

١١ - اصل محدودية الامتلاك في التشريع الاسلامي:

تحدثنا عن محدودية الامتلاك في مذهب الاسلام الاقتصادي، في الفصلين، الثالث والعشرين والرابع والعشرين، وفي الفصل الثاني ايضاً من كتابنا: الحياة، فراجع. وان صلة هذا الاصل بمبدأ المساواة وتركيز هذا المبدأ غير خافية.

١٢ - اصل محدودية الاستهلاك في التشريع الاسلامي:

هذا الموضوع الهام الذي يتبناه الاسلام ويدعو اليه بصورة حاسمة، من

أهم الأصول التي تسوق الناس - غنيهم وفقيرهم - الى المساواة في الاستهلاك ولو بالتقريب.

١٣- اصل الانفاق:

اذا كان الانفاق الذي يدعو الاسلام الناس اليه ويُحضهم عليه، يتعلق بما فضل من المال، فهو من عمدة ما يعبّد طرق المساواة في الجماهير، اذا الناس اذا راعوا الحدود الإسلامية التي بُنيت على مقدار القصد والتوازن، واذا أنفقوا بعد ذلك ما فضل لديهم من الأموال، لا تحصل لديهم الفروق الباهضة التي تقضي على المساواة - كما هو واضح.

١٤- اصل الاقتصاد في المعيشة:

هذا اصل عظيم في الاقتصاد الاسلامي. وفي التربية الاسلامية ايضاً. وهو شقيق اصل آخر، وهو (التقدير في المعيشة). وهذان الأصلان، يعكسان نظرة الاسلام الى المال وموضعه والمعاش وغاية طلبها. ولعل الوقوف عند الحدود التي يدعمها هذان الأصلان يركز اصل المساواة أحسن تركيز. ومما يجب ان يُراعى في المجتمع الاسلامي اشد رعاية، تربية الناس على العناية العملية بهذين الأصلين، والرقابة الاجتماعية على العمل بهما هنا وهناك، سواءً اكان في الحكم وأجهزته ومنظّماته، ام في المؤسسات الدينية وحياة اصحابها، ام في سائر قطاعات المجتمع. والمجتمع يتبع في ذلك رجال الحكم والدين.

١٥- اصل العدل (التوازن الاقتصادي) وتقريب مستوى العيش للجميع:

فصلنا الكلام عن (مستوى العيش للجماهير)، في الفصول الخمسة المعقودة لهذا الموضوع، في الباب الثاني عشر، من الفصل السابع والعشرين الى الحادي والثلاثين من كتابنا: الحياة. وسنتكلم عنه في الفصل الخاص بالعدل.

١٦- اصل الاحسان (الانسجام المعيشي):

ان الاحسان امرٌ زائد على العدل، فهو كما قيل: (ان يُنصِف ولا يَنْصِف). فعلى هذا يكون من أقوى العوامل التي تدفع الناس الى رعاية التقريب والتساوي في الانتفاع بالنعم والاستفادة من الفرص.

١٧- اصل اسناد الفضل والميزة الى التقوى:

ان الميزة التي يقرها الاسلام لان يمتاز بها الناس ويتسابقوا اليها هي التقوى والأخلاق الصالحة الانسانية، ولذلك يهتف القرآن الكريم هتافه الرنّان الشهير: ﴿أَنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ﴾^١. وكذلك يصرّ الاسلام اصراراً حاسماً على ان لا تُجعل تلك الميزة سبباً للاستئثار الاقتصادي، فإنّ ذلك نقض لغاية التقوى والاخلاق. ومن هنا يتفوق الاسلام لتركيز اصل المساواة برفض تدخّل القيم المعنوية في الحق المادي. ولقد اشرنا الى هذا الموضوع البالغ الأهمية، هنا وهناك، خلال الفصول.

١ - سورة الحجرات (٤٩): ١٣.

١٨ - اصل رابطة العدل والتسوية:

لعل اقرب العوامل الرئيسية لتركيز مبدأ المساواة في الناس، تربيةً وتنفيذاً، إنما هو العدل. نعم، ان العدل لا يُساوي (المساواة) مفهوماً ومصداقاً، بيد انه يسوق العاملين به والمجسدين له، اليها والى ارساء قواعدها. وذلك لان الفروق الباهضة التي مُنيت بها الجماهير إنما نشأ أكثرها الغالب من الظلم والحيث والاعتداء، فاذا شُجِب كل ذلك، يصير سبباً لان يُصبح الناس على مقربةٍ من المساواة.

على ان رسالة القسط الاسلامي إنما هي ايجاد التوازن الاقتصادي بين الناس، بازاحة الاستكبار والاستضعاف. وهذه الرسالة لا تجسد بصورة مطلوبة إلا بالعمل بمبدأ المساواة. وهو مرحلة كمال الاقتصاد الاسلامي.

١٩ - اصل رفض الاسراف والتبذير والتقتير:

ان كثيراً من مظاهر اللامساواة ومصاديقها يمتُّ الى وجود (الاسراف) و(التبذير) أو (التقتير) في الاستهلاكات، فاذا رُفِض ذلك كله يقترب الناس في معاشهم الى مبدأ المساواة وتبنيه. فالقرآن الكريم حينما يقول: ﴿كُلُوا واشربوا ولا تُسرفوا﴾ فانه يدعو الناس الى الأكل والشرب المقتصدين. وحينما يدعو الموسرين وأهل المكنة الى تأدية حقوق المحرومين وتأمين معاشهم، فإنما يدعوهم الى تأمين معاش المحرومين في حدٍ مقتصد (لا الى طرح لقمة في أفواههم لئلا يموتوا) فالغني لا يأكل إلا مقتصداً، والفقير هكذا، وهذا هو المساواة.

٢٠ - اصل كفاح الفقر واستنصاليه:

ان الفقر من أهم العوامل الهدامة لأسس المساواة - كما ان الغنى التكاثري ايضاً كذلك - والاسلام بكفاحه ضد الفقر وشجبه، والدعوة الى تموين المحتاجين بما تقوم به حياتهم من المعاش، بصورة تمكنهم من اشتراء الدار ومن الزواج ومن الحج و.. يقوم بحمل الناس على دعم مبدأ المساواة بشكل جذري - وهذا واضح.

ولقد وضعنا موقف الاسلام تجاه الفقر، ورفضه الحاسم له، وسحقه بوصفه ظاهرة اجتماعية واشعاله الحرب ضده بشتى الصور والاشكال لازاحته عن ساحة الحياة الانسانية، ولا سيما اعتباره سبباً من أسباب ضعف العقل ووهن الدين والكفر والمروق.

٢١ - اصل شجب الاستضعاف:

الاستضعاف لا يُشجب إلا اذا شُجب الاستكبار. اذاً فالاسلام بتوفره على شجب الاستضعاف ودعوته الناس للقتال في هذه السبيل،^١ فقد توفر على شجب الاستكبار ايضاً. وكم وكم آية جاءت في القرآن تندد بالمستكبرين وحياتهم وتحض الأمة المسلمة على كفاحهم، سواء اكانوا من المسلمين انفسهم ام من غيرهم. ومن اللاحب ان اهم مصاديق المستكبر هو الاقتصادي منه، فلاحظ. واذا شُجبت الداهيتان: الاستكبار والاستضعاف، تقترب حياة الناس الى المساواة والتوفر عليها - كما لا يخفى.

١ - سورة النساء (٤): ٧٥.

٢٢- اصل تمويل الفقير لا يلحق عياله بالناس:

وهذا ما دعت اليه التعاليم الاسلامية، كالأحاديث الواردة بشأن الزكاة ومستحقيها وكيفية ومقدار استفادتهم منها. ولعلك لم تنس كلام الامام الصادق عليه السلام، الذي قاله لابي بصير: (.. وما أخذ من الزكاة فضّه على عياله حتى يلحقهم بالناس).^١

تنبيه:

بعد ان وصلنا اثر مطالعتنا في التعاليم القرآنية والحديثية وملاحظاتنا، الى ان الاسلام إنما يدعو الناس لتبني مبدأ المساواة، وتركيز مستوى معيشي (متساوٍ) أو (متقارب) للكل، وحمل الناس على قبول هذا المبدأ والجري عليه، بعد ذلك كله وقفنا على كلام الفقيه المتفتح الذهن، والعالم المفكر الشهيد، السيد محمد باقر الصدر، فرأينا ان ننقله هنا ايقافاً للقراء عليه. يقول الشهيد الصدر - اعلى الله درجته في الشهداء - (ان نصوص الزكاة صرّحت بان الزكاة ليست لسد حاجة الفقير الضرورية فحسب، بل لإعطائه المال بالقدر الذي يلحقه بالناس في مستواه المعيشي، أي لابد من توفير مستوى من المعيشة للفقير يلحقه بالمستوى العام للمعيشة، الذي يتمتع به غير الفقراء في المجتمع. وهذا معنى ان توفير مستوى معيشي «موّحد» أو «متقارب» لكل أفراد المجتمع هدفٌ اسلامي، لابد للحاكم الشرعي من السعي في سبيل تحقيقه).^٢

١ - الوسائل ٦ / ١٥٩.

٢ - الاسلام يقود الحياة / ٤٥.

تذكير:

الظاهر ان المساواة التي يدعو الاسلام الى تبنيها كمبدأ، إنما هي في (الاستهلاك) لا في (الامتلاك) إذا كان الثاني كفاً أو غير تكاثري - على الأقل - بان يكون غير متجاوز حدود الاقتصاد والاعتدال - غير مقترب من الكثرة المرفوضة بوجه.

الفصل الثاني

القسط

الكتاب

- ١ - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾^١..
- * قال الطبرسي: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ أَي دَائِمِينَ عَلَى الْقِيَامِ بِالْعَدْلِ﴾. ومعناه ولتكن عادتكم القيام بالعدل في القول والفعل^٢.
- ٢ - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ...﴾^٣
- ٣ - ﴿قُلْ: أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ...﴾^٤
- ٤ - ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ...﴾^٥
- ٥ - ﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ...﴾^٦
- ٦ - ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ...﴾^٧
- ٧ - ﴿... وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ...﴾^٨

١- سورة النساء (٤): ١٣٥.

٢ - مجمع البيان ١٢٣/٣.

٣ - سورة المائدة (٥): ٨.

٤ - سورة الأعراف (٦): ٢٩.

٥ - سورة الرحمن (٥٥): ٩.

٦ - سورة هود (١١): ٨٥.

٧ - سورة الانعام (٦): ١٥٢.

٨ - ﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ، لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ...﴾^٢

٩ ... ﴿وَأَقْسِطُوا، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ...﴾^٣

١٠ - ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ، وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ

الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ، فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ...﴾^٤

الحديث:

(١) النبي صلى الله عليه وآله وسلم - فيما رواه الإمام الكاظم عليه السلام، عن آبائه...: بئس القوم قوم لا يقومون لله تعالى بالقسط. بئس القوم قوم يقتلون الذين يأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ فِي النَّاسِ...^٥

* ان الجملة الأخيرة في قول النبي صل الله عليه وآله وسلم، اشارة الى الآية الأخيرة. وهذه الآية السماوية ترسم امامنا اتجاهين لطائفتين من الناس:

١- الأمرون بالقسط، المقاتلون في سبيل الله لتجسيد العدالة والقسط..

٢- الكافرون بآيات الله، قاتلوا النبيين ودعاة القسط المصلحين..

فلتكن الأمة الإسلامية، وخصوصاً علماءها ودعاتها ونابهيها وشبابها وثورأها ورجال حكمها، ملتحمين مع الصف الأول في كل وردٍ وصدر،

١ - سورة النساء (٤): ١٥٢.

٢ - سورة الحديد (٥٧): ٢٥.

٣ - سورة الحجرات (٤٩): ٩.

٤ - سورة آل عمران (٣): ٢١.

٥ - البحار ٧٢ / ٩٨، عن (نوادير الراوندي).

قائمين لله بالقسط شهداء على الناس.

(٢) الإمام علي عليه السلام: ... إِنَّ لِلذَّكْرِ لِأَهْلًا أَخَذُوهُ مِنَ الدُّنْيَا بَدَلًا..
يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ وَيَأْتَمُرُونَ بِهِ..^١

(٣) الإمام علي عليه السلام: ... لِيَكُنْ أَحَبُّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ، أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ،
وَأَعْمَقُهَا فِي الْعَدْلِ..^٢

(٤) الإمام علي عليه السلام: ... فَإِذَا أَخَذَهَا أَمِينُكَ فَافُوعِزْ إِلَيْهِ إِنْ لَا يَحُولُ
بَيْنَ نَاقَةٍ وَبَيْنَ فَصِيلِهَا، وَلَا يُمَصِّرْ لِبَنِيهَا فَيُضِرَّ ذَلِكَ بَوْلَدِهَا، وَلَا يَجْهَدْنَهَا
رُكُوبًا؛ وَلِيَعْدِلْ بَيْنَ صَوَاحِبَاتِهَا فِي ذَلِكَ وَبَيْنَهَا، وَلِيَرَفَّهْ عَلَى اللَّاغِبِ،
وَلِيَسْتَأْنِ بِالنَّقَبِ وَالظَّالِعِ، وَلِيُورِدْهَا مَا تَمَرُّ بِهِ مِنَ الْغَدْرِ، وَلَا يَعْدِلْ بِهَا عَنْ
نَبْتِ الْأَرْضِ إِلَى جَوَادِ الطَّرِيقِ، وَلِيُروِحَهَا فِي السَّاعَاتِ، وَلِيَمْهَلْهَا عِنْدَ النُّطَافِ
وَالْأَعْشَابِ..^٣

(٥) الإمام الصادق عليه السلام - في بيان قوله تعالى: «وَاللَّهُ فَضَّلَ
بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ، فَمَا الَّذِينَ فَضَّلُوا بَرَادِي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ
أَيْمَانُهُمْ، فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ..» لَا يَجُوزُ لِلرَّجُلِ أَنْ يَخْصَّ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ مِنَ
الْمَأْكُولِ دُونَ عِيَالِهِ..^٤

١ - نهج البلاغة / ٧٠٤: عبده ٢ / ٢٣٨.

٢ - نهج البلاغة: ٩٩٦؛ عبده ٣ / ٩٥.

٣ - نهج البلاغة / ٨٨١؛ عبده ٣ / ٢٩.

٤ - تفسير القمي ١ / ٣٨٧.

تجسيد القسط القرآني

١ - النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم والقسط

الكتاب:

- ١- ﴿أَمِنَ الرُّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ...﴾^١
 - ٢- ﴿فَلِذَلِكَ فَادُعْ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ، وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ، وَقُلْ: آمَنْتُ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ، وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ...﴾^٢
 - ٣-... ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ...﴾^٣
- * لا نحتاج هنا الى ايراد كثير من الآيات، فإن القرآن هو كتاب الله تعالى، النازل على نبيه، وهو قد آمن بما أنزل اليه من ربه، بشأن العدل والقسط وقيام الجماهير بهما، فقام بتجسيده الفعلي، فقاطع الأغنياء والمستكبرين - أضداد العدالة الاقتصادية والقسط - وخالط المعذبين والمضطهدين والمحترقين والمحرومين والتَّحَمَّ معهم ودافع عنهم؛ وهذه امور لا ريب فيها، والسيرة المثلى شاهدة عليها.

الحديث:

- (١) النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أوصاني ربي بتسع: ... والعدل في

١ - سورة البقرة (٢): ٢٨٥.

٢ - سورة الشورى (٤٢): ١٥.

٣ - سورة التوبة (٩): ١٢٩.

✽ إن الدعوة الى (العدل) في الرضا والغضب، دعوة الى مطلق العدل والعدل المطلق، حيث لا يبقى معها مجال لأي ظلم أو اعتداء، في أية حالة من الحالات.

(٢) الامام علي عليه السلام: انَّ يهودياً كان له على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دنائير، فتقاضاه فقال له: (يهودي ما عندي ما أُعطيك!) فقال: فأنِّي لا أفارقك يا محمد حتى تقضيّني، فقال: (إذا أُجلِسُ معك فجلِسْ معه حتى صلّي في ذلك الموضع الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة والغداة، وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يتهدّدونه ويتواعدونه، فنظر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، إليهم فقال: (ما الذي تصنعون به؟) فقالوا: يا رسول الله يهودي يحبسك؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: (لم يبعثني ربي عزّ وجلّ بأن أظلم مُعاهداً ولا غيره)..^٢

(٣) الإمام علي عليه السلام: وأعطيتُ كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يُعطي بالسوية..^٣

✽ ولقد أوردنا تعاليم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأقواله في الكتاب. وإن الانحياز الى مبدأ المساواة يندمج على أفضل شكلٍ من أشكال القسط.

١ - تحف العقول / ٣١.

٢ - البحار ١٦ / ٢١٦، عن (أماي الصدوق).

٣ - الكافي ٨ / ٦٠ - ٦١.

ولقد جاءت هذه الجملة في زيارة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من بعيد: «السلام عليك يا قائماً بالقسط»^١. فيصف المسلم الزائر نبيه وهاديه الى دين الله تعالى بهذه المواصفة، حتى يعتقد قلبه بالقسط، وتنطبع عليه أحاسيسه، وتصطبغ به أعماله واتجاهاته.

ولعل السرّ في ذكر هذه الجملة في زيارة البعيد، ان ينفذ هذا الواقع الديني في أرواح آحاد المسلمين كلهم هنا وهناك، في أرجاء العالم وأصقاع البسيطة، وخصوصاً في حالة توجّه المسلم الى أبيه الروحي ومُنقذه الإلهي ومُنعمه المعنوي ومربيّه الإنساني بقلب شاهد وإحساس صادق، فيصنع ذلك الوضع كل مسلمٍ محمدي صُنْعاً لا يدعه إلاّ معتقداً بالقسط، صامداً في تجسيده، طالباً من علماء الإسلام وحكّام المسلمين أن يكونوا قائمين بالقسط، اتّباعاً لسيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (لقد كان لكم في رسول الله أسوةً حسنة).

وواضح ان هذا المسلم النابه لا يعترف لغير القائمين بالقسط، المُجسّدين للعدل، بأية حرمة أو كرامة، كائنين من كانوا، من علماء أو أمراء؛ ولقد صدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، حيث قال: (صنفان من أمتي إذا صلّحا صلّحت أمتي، وإذا فسدا فسدت أمتي) قيل: يا رسول الله ومن هما؟ قال: (الفقهاء والأُمراء)^٢.

وأَيُّ فسادٍ أعظم من إهمال جانب العدل وخذل دعاة القسط وقيام

١ - البحار ٩٤ / ١٨٣.

٢ - الخصال ٣٧ / ١، من طبعة الغفاري.

الجماهير به، والسكوت أمام طواغيت الثروة والمال وفراغة التكاثر والإتراف والإسراف، وإطلاق سراحهم هنا وهناك، في الانتاج والاستيراد والتسعين والتوزيع، حتى يمتصوا الناس ويرضوا العظام؟

والوضع المذكور يشيع الأثرة المقوتة والتبعيض الفاحش والفروق النادرة في الناس. وكل ذلك يبيث الظلم ويدعم قواعده. ولا حياة موضوعية للدين وأحكامه في مجتمعات يسودها الظلم، فإنّ (العدل حياة الأحكام) - على حدّ تعبير مولانا أمير المؤمنين عليه السلام. وعند ذلك تتقوّض أركان الدين في القطاعات، ولا سيما الناشئة والبُعداء عن فهم صورة الدين الواقعية، ويؤدي إلى عجز المحرومين عن التديّن المثمر والقيام بما هو واجب عليهم وعلى ذويهم..

وهذه الأمور كلها معلومة مجرّبة، لو عقلها المتأملون، ولو أعار المسؤولون من العلماء وغيرهم لها سمعاً، ولو انتبه لها الرجعيون والمتخلّفون.

وليس لتغلغل الأفكار الإلحادية، أو التميّعية، في الأوساط الدينية (في أبناء البيوت المبنية على التوحيد)، سببٌ رئيسي في الأغلب للحرمان والظلم، فكاد الفقر والحرمان والاضطهاد ان يكون كل شيء غير السلامة الخلقية والدين. ولولا ذلك فأية فكرة تقدر ان تصول في جوّ القرآن - لو كان الجوّ قرآنياً - وتُبدي صفحتها لحقائق المعارف الإسلامية النيرة المشرقة الهادية المنقّذة، وتُضللّ أبناء القرآن وأعضاء الإسلام؟

٢ - الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام والقسط

لقد قام الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بتجسيد القرآن النازل في القسط وقيام الناس به، تأسياً بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم واتباعاً له حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة، حتى صارت سيرته سيرة العدل.

لقد أصبح أمثلة الأماثل في عدالة العادلين، وصار (صوت العدالة الإنسانية) في الآفاق، وصُراخ القسط القرآني في التاريخ.

الحديث

(١) النبي صلى الله عليه وآله وسلم: إنّه.. أعدلكم في الرعية، وأقسمكم بالسوية..^١

(٢) الإمام علي عليه السلام - في العهد الأشترى:.. وليكن أحبُّ الأمور اليك أوسطها في الحق، وأعمّها في العدل..^٢

(٣) الإمام علي عليه السلام: العدل حياة الأحكام..^٣

(٤) الإمام علي عليه السلام: الرعية لا يُصلحها إلا العدل..^٤

الإمام علي عليه السلام: ما أصبح أحدٌ بالكوفة إلّا ناعماً؛ إنّ أدناهم

١ - المراجعات / ١٦٠.

٢ - نهج البلاغة / ٩٩٦؛ عبده ٩٥/٣.

٣ - غرر الحكم / ٢٩ - ٣٠.

٤ - نفس المصدر السابق.

منزلةً لِيَأْكُلَ الْبُرَّ، ويجلس في الظل، ويشرب من ماء الفرات.^١
* وَإِنَّ مِنَ الْقَسَطِ، أَنْ لَا يُغْفَلَ رَئِيسُ (المدينة القرآنية) أَحَدًا مِنَ النَّاسِ،
وَلَا يُغَطِّيَ عَلَى أَفْكَارِهِم بِالْمَوَاعِدِ الْآخِرِيَّةِ، وَيَجْعَلُهُمْ نَاعِمِينَ مُسْتَرْغِدِينَ،
بَحَيْثُ يُصْبِحُ أَدْنَاهُمْ مَنْزِلَةً يَأْكُلُ الْبُرَّ وَيَجْلِسُ فِي الظِّلِّ، وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءِ
الفرات.

وهذا بدوره يدلُّ على أَنَّ (المدينة القرآنية)، قابلة للتجسيد بصورة
فعليَّة.

ولقد بَكَّثْنَا تعاليم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في فصول كتاب
(الحياة)، ويجد القارئ جوامعها في (نهج البلاغة)، ولا سيما في خطبه
وكتبه التي يُوَشِّرُ بها المنهج لِعُمَّالِهِ، ويخطط لهم أصول صنع المجتمع
القرآني ومنهاج معاملة الناس، السالم الراقي.

نعم، «وفي نهج ابن أبي طالب هذا، من الخير للقومية مقدار ما فيه من
الخير للناس بوصفهم ناساً، وللمجتمع الذي يضم على وحدة العمل
والغاية، بشراً متفاهمين متعاونين مخلصين. ذلك لأنَّ الصدق لا يتجزأ،
وكذلك المنهج. فالذي لا يفضِّلُ في المجتمع الواحد عربياً على أعجميٍّ إلَّا
بالعمل النافع، هو نفسه الذي لا يفضِّلُ شريعاً من قومه على مشروف.
وهو نفسه الذي لا يخصُّ أخاه بمنفعةٍ يمنعها عن غريب. وهو نفسه الذي
يحول دون استغلال عربيٍّ لعربيٍّ أو لأيِّ إنسانٍ آخر. وهو نفسه الذي
يسعى في أن يجعل الناس أحراراً متساوين. وهو نفسه الذي يعمل جاهداً،
بما تسمح به طاقة الزمان والمكان، في أن يرفع الفقر والحاجة عن جميع

١ - البحار ٤٠/٣٢٧، عن (المناقب).

الناس، لعلهم يعيشون سُعداء مطمئنين. وهو نفسه الذي يكره الحرب والقتال والعدوان، ويدعو الى الأمن والسلام والتآخي في ظل عدالة اجتماعية صريحة لا تترك الناس بين آكلٍ ومأكول. وهو نفسه الذي يريد من الإنسان أن يكون عادلاً حتى مع البهيمة، فلا تُسَلَبَ نملةٌ لبَّ شعيرة ولا يُعتدى على طير! وهو نفسه الذي يقف حياته على خدمة هذه المبادئ حتى الموت»^١.

ويصف أحد الشعراء المسيحيين^٢ الإمام علياً عليه السلام وكتابه (نهج البلاغة) ويقول فيما يقول (من بحر الرمل):

هُوَ لِلظَّالِمِ رَعْدٌ قَاصِفٌ	وَهُوَ لِلْمَظْلُومِ فِينَا مُعْتَصِمٌ
وَهُوَ لِلْعَدْلِ حِمًى قَدْ صَانَهُ	خُلُقٌ فَذٌّ، وَسَيْفٌ، وَقَلَمٌ
مَنْ لَأَوْطَانٍ بِهَا الْعَسْفُ طَغَى	وَلَأَرْضٍ فَوْقَهَا الْفَقْرُ جَثَمٌ
غَيْرُ (نَهْجٍ) عَادِلٍ فِي حُكْمِهِ	يَرْفَعُ الْحَيْفَ إِذَا الْحَيْفُ

٣ - ثورة عاشوراء والقسط

* لقد كُتِبَتْ كُلُّ آيَاتِ السَّمَاءِ مَرَّةً أُخْرَى - بعدما كتبها كُتَابُ الْوَحْيِ
والقرآن في الصدر الأول - بالدم الطاهر، الدم النبوي العلوي الفاطمي، دم
الحسين عليه السلام وأطفاله وأصحابه في يوم عاشوراء، على ساحل
الفرات الجاري.. في رمضاء الطف الدامي..

لقد كُتِبَتْ تِلْكَ الْآيَاتُ الْحَيَّةُ الدَّاعِيَةُ إِلَى الْحَيَاةِ وَالْقِسْطِ، وَالْقِسْطِ وَالْحَيَاةِ،

١ - الإمام علي صوت العدالة الإنسانية ١٠٩١/٥.

٢ - وهو جورج جرداق اللبناني.

بذلك الدم الزكي الطاهر، على ألواح الفجر والشفق، وعلى قُلل الأَجبال وأجواء الصحارى، لأن (تناقلها الفيا في هنا وهناك، وترويه الجلامد للجلامد)، ولأن تنفذ في اللحظات فتبقى خالدة على صفحات الدهر، فتُطل على الحياة البشرية في مشارق الأرض، ومغاربها، من الآفاق التي تحمر وتحمر في بداية كل ليل وكل نهار.

فالقرآن الكريم ليس حياً باقياً من خلافة يزيد وأمثال يزيد، بل هو حي باقي من شهادة الحسين عليه السلام. ولقد صدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال: (حسين مني وأنا من حسين)^١. وإنَّ شجب الظلم والحيث وإقامة العدل والقسط، هو الهدف الذي قد تبنَّاه ركب عاشوراء في سلوكهم ذلك النجد الأبيض المالحوب..

الحديث

(١) الإمام الحسين عليه السلام - في بيان حكمة (الأمر بالمعروف) و(النهي عن المنكر) وأهميتهما البناءة... إنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، دعاءً إلى الإسلام، مع رد المظالم ومخالفة الظالم، وقسمة الفيء والغنائم، وأخذ الصدقات من مواضعها ووضعها في حقها..^٢

(٢) الإمام الحسين عليه السلام - في تقرير العلماء الذين لا تستثيرهم آلام الناس المضطهدين، فيسكتون على الظلم، ولا يقومون لإقامة القسط،

١ - راجع لأسناد هذا الحديث وفقهه ومحتواه الهام: (يادنامه علامه اميني) مقالة البَحاثة المتتبع الشيخ محمد باقر البهبودي الخراساني.

٢ - تحف العقول / ١٧١.

ولا يُفكِّرون بثورةٍ وتغيير، ولا يلتحمون مع صفوف المحرومين
والمحقورين بصورةٍ فعليةٍ... فأما الضعفاء فضيعتم.. والعُمى والبُكمُ
والزَمْنَى في المدائن مهملّة لا ترحمون^١.. مكنتم الظلمة من منزلتكم..
فأسلمتم الضعفاء في أيديهم.. والناس لهم خَوْلٌ لا يدفعون يد لأمس^٢..

(٣) الإمام الحسين عليه السلام - في إعلام الخطر بزوال الاسلام، إذا
كان الحاكم خائر النفس، غير عادل ولا قائم بالقسط: إنا لله وإنا إليه
راجعون، وعلى الإسلام السلام، إذ قد بُليت الأمة براعٍ مثل يزيد^٣..

(٤) الإمام الحسين عليه السلام:.... وإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا
مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي صلى الله عليه
 وآله وسلم، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي
وأبي علي بن أبي طالب عليه السلام^٤..

(٥) الإمام الحسين عليه السلام - في التعريف الحاسم بالحاكم
الإسلامي، حتى يعرف الناس نظرة الإسلام الى موضوع الإدارة
والسياسة، ويقفوا على المقياس الذي يجب على الحاكم ان يسير عليه في
معاملة الجماهير، فيطيعوا التابع ويثوروا في وجه العاصي: لعمري! ما

١ - والمفعول محذوف، أي: لا تَرْحَمُونَهُمْ.

٢ - راجع لجميع هذا الخطاب الموقظ المثير: (تحف العقول) / ١٧٢ - ١٧٣؛ و ٢٧٢

- ٢٧٥، من طبعة الغفاري.

٣ - البحار ٤٤/ ٣٢٦: عن كتاب (الملهوف).

٤ - البحار ٤٤/ ٣٢٩ - ٣٣٠، و ٣٣٤ - ٣٣٥.

الإمامُ إلّا الحاكمَ بالكتاب، القائمَ بالقسط، الدائنَ بدين الحقِّ، الحابسَ نفسه على ذلك..^١

٦) الإمام الحسين عليه السلام:.. أما بعد، فقد علمتم ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد قال في حياته: «مَنْ رَأَى سُلْطَانًا جَائِرًا مُسْتَحِلًّا لِحُرْمِ اللَّهِ، نَاكِثًا لِعَهْدِ اللَّهِ، مُخَالِفًا لِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ، يَعْمَلُ فِي عِبَادِ اللَّهِ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ، ثُمَّ لَمْ يُغَيِّرْ بِقَوْلٍ وَلَا فِعْلٍ، كَانَ حَقِيقًا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ مُدْخَلَهُ»^٢.

✽ وهذا التأشير النبوي الحسيني، إعلان الجهاد العام، كلما ساد المجتمع أصداد العدل وأعداء القسط، ودعوة الى دعم القسط الإسلامي، وإشعال لنيران الثورات التغييرية ضد الجبابة والطواغيت، الذين يُفْشون الظلم، ويتخذون الظالمين والمستأثرين عضداً، فيغطي الطغاة الاقتصاديون ومستكبروا الثروة والامتلاك في حكمهم كل مسرح ومجال.

٧) الإمام الحسين عليه السلام - في الدفاع عن المحرومين والالتحام الفعلي مع صفوفهم: اللهم انك تعلم انه لم يكن الذي كان منّا تنافساً في سلطان، ولا التماساً من فضول الحُطام، ولكن لِنُردّ المعالم من دينك، ونُظهر الإصلاح في بلادك، ويأمن المظلومون من عبادك، ويعمل بفرائضك وسننك وأحكامك..^٣

١ - نفس المصدر.

٢ - البحار ٤٤/٣٨٢، عن المصادر القديمة.

٣ - تحف العقول ١٧٢/١؛ و٢٣٩، من طبعة الغفاري.

٨) الإمام الحسين عليه السلام - في بيان مواصفات الحكم الطاغوتي الأموي اليزيدي، وإلقاء الضوء على انه لماذا يُتابع الثورة ضد ذلك الحكم، ولو مع قلة الناصر وركوب المخاطر؟.. بغير عدلٍ أفشوه فيكم.. فسُحقاً وبُعداً لطواغيت الأمة، وشُدَّاذ الأحزاب، ونبذة الكتاب، ونفثة الشيطان، ومحرّفي الكلام، ومُطفئي السنن..^١

٩) الإمام الحسين عليه السلام - في فجر الحركة القرآنية، الثورية التغييرية:.. مَنْ كان فينا باذلاً مُهجته، موطناً على لقاء الله نفسه، فليرحل معنا، فإني راحلٌ مُصبحاً، إن شاء الله..^٢

١٠) الإمام الحسين عليه السلام - في تغيير الحياة تحت نير الظلم والاستسلام، وتشجيع النفوس على بذل الدم لخلاص الجماهير:.. ألا تَرَوْنَ أن الحق لا يُعمل به، وأن الباطل لا يُنتهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله مُحققاً، فإني لا أرى الموت إلا سعادةً، ولا الحياة مع الظالمين إلا بَرَمًا..^٣

* هذا هو الحسين عليه السلام، (حسين السؤدد والشرف، حسين الإباء والشهامة، حسين المجد والإمامة، حسين الدين واليقين، حسين الفضل والعظمة، حسين الحق والحقيقة)، حسين القسط والعدالة.

وهذا هو الدرس الذي أَلقت ثورته على الأمة، و(هو وجوب النهوض في وجه كل باطل، ومناصرة كل حق، لإبقاء هيكل الدين، ونشر تعاليمه، وبثّ

١ - تحف العقول / ١٧٣.

٢ - البحار / ٤٤ / ٣٦٧.

٣ - تحف العقول / ١٧٦.

أخلاقه. نعم يعلمنا هذا التاريخ المجيد النزوع الى إثثار الخلود في البقاء -
ولو باعتناق المنية - على الحياة المُخدَّجة تحت نير الاستعباد، والمبادرة الى
الانتهاال من مناهل الموت لتخليص الأمة من مخالب الجور والفجور،
ويُلزمنا بسلوك سنن المفاداة دون الحنيفية البيضاء، والنزول على حكم
الإباء دون مهاوي الذل).^١

فالغايات التي قد دعا اليها ثائر الإسلام الكبير هي:

□ إحياء العماديين: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

□ ورد المظالم

□ ومخالفة الظالم

□ وقسمة الفيء والغنائم

□ وأخذ الحقوق ووضعها في مواضعها

□ وحضُّ العلماء على الثورة والتغيير

□ وتخليص المضطهدين من أيدي الظالمين

□ والتحذير الحاسم من الحكم الفاسد الغاشم

□ وطلب الإصلاح في الأمة الإسلامية

□ والسير بسيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، والوصي عليه

السلام

□ والتعريف بالحاكم الإسلامي، وهو القائم بالقسط

□ والدعوة الى مجابهة المستحلِّ لحُرْم الله تعالى، والعامل بالإثم

والعدوان

□ وإراءة المعالم الإلهية، بعد ما غطّاها المعتدون

□ وإسعاف المظلومين وإعادة كرامتهم الإنسانية

□ والعمل بالحق وإفشاء العدل

وإذا كانت هذه القيم الخالدة، هي الحقائق الثابتة من غايات عاشوراء، فما أحرى بالمسلمين، الذين يؤمنون بالقرآن، ويحبون أعدل القرآن - أعني أئمة أهل البيت عليهم السلام - ويكرمون القبلة - قبلة إبراهيم عليه السلام - ان يهتموا بتجسيدها البات، بإزاحة الظلم وإقامة القسط، ومقاطعة المستكبرين الاقتصاديين وشجبهم، وإنعاش المحرومين وردّ حقوقهم، ورفع مكانتهم الاجتماعية على مختلف المستويات.

وعلى الذين ينتمون الى الإمام السبط، أبي عبد الله الحسين الشهيد عليه السلام، بصورة خاصة، ويُقيمون مآتمه، أن يكونوا مُهتمين بالغايات المذكورة أكثر وأشد من غيرهم، اهتماماً تحتمه عليهم دماء عاشوراء.

٤ - الإمام الصادق عليه السلام والقسط

لقد قام الإمام أبو عبد الله جعفر الصادق عليه السلام بالإمامة التعليمية (بعد ما حال الجبابة بينه وبين الإمامة التجسيدية) أكثر من ثلاثين سنة^١، فنشر المعارف القرآنية، وألقى أضواء الآيات السماوية على الأجواء هنا وهناك، فكان هو ومدرسته تجسماً حياً للقرآن الكريم بتعاليمه وأصوله، أمام التيارات الفكرية المختلفة والمدارس المدسوسة والسياسة الغاشمة

١ - من سنة ١١٤ هـ، الى سنة ١٤٨ هـ.

والإدارة الجائرة، وبذلك علّم وربّى أربعة آلاف رجل، قد حملوا على أكتافهم مشاعل العلم والهداية القرآنيين.

وكان في قمة تعاليمه دعوة الناس الى رعاية الحق والعدل، والمؤاساة في الأموال والمعاش، وأداء الحقوق الى الضعيف والقوي، والردع عن أي ظلم أو حيف، ولو كان حقيراً، والتأكيد على تصحيح الصّلات التبادلية، وإيفاء الكيل والميزان، وتخفيف الربح والسعر، وما الى ذلك، مما جاء في تعاليمه، وقد أوردنا شذوراً منها في فصول الكتاب.

ومما يتجلّى في غرّة تعاليمه القرآنية القادسة، دعوة الناس الى إقامة أفضل أشكال القسط، وهو تبنيّ (مبدأ المساواة) وتجسيده، والحسم على تربية الناشئة على ذلك السنن الإنساني اللاحب، في مراحل التعليم والتربية الابتدائية.

الحديث

- (١) الإمام الصادق عليه السلام: الناسُ سواءٌ كأَسنان المشط.^١
- (٢) الإمام الصادق عليه السلام: أهل الإسلام هم أبناء الإسلام، أَسَوِّي بينهم في العطاء..^٢
- (٣) الإمام الصادق عليه السلام:.. وما أخذ من الزكاة فَضَّهُ على عياله، حتى يُلحِقهم بالناس..^٣

١ - تحف العقول / ٢٧١.

٢ - الوسائل ١١ / ٨١.

٣ - الوسائل ٦ / ١٥٩.

٥ - الحكم المنتظر والقسط

الكتاب

(١) ونريد أن نَمَنَّ على الذين اسْتُضِعِفُوا في الأرض، ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين.^١

الحديث

(١) النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أُبَشِّرُكُمْ بالمهدي، يُبْعَثُ في أمتي، على اختلاف من الناس وزلازل، فيملأ الأرض عدلاً وقسطاً، كما ملئت ظلماً وجوراً.^٢

* هذا مضمون متواتر إجمالاً، منقول عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، في صحاح الفريقين ومسانيدهم.

(٢) النبي صلى الله عليه وآله وسلم - أبو سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أُبَشِّرُكُمْ بالمهدي.. يملأ الأرض قسطاً وعدلاً.^٣

(٣) الإمام الصادق عليه السلام: ... أما والله! لَيَدْخُلَنَّ عليهم عدله، جوف بيوتهم، كما يدخل الحر والقر.^٤

١ - سورة القصص (٢٨): ٥.

٢ - البحار ٥١ / ٨١، عن (كشف الغمة) عن أحاديث الحافظ الثقة، أبي نعيم الإصفهاني (المتوفى - ٤٣٠ هـ. ق)، صاحب حلية الأولياء).

٣ - المُسند ٣ / ٣٧، لأحمد بن حنبل (المتوفى - ٢٤١ هـ. ق)؛ منتخب الأثر / ١٤٧.

٤ - البحار ٥٢ / ٣٦٢، عن (الغيبة) للنعماني.

* فالإسلام دين القسط والعدل، والعدل في جميع الشؤون والأمر. فهذا كتابه القرآن يأمر بالعدل ويدعو الى القسط.

وهذا نبيه الهادي يقوم بالقسط ويُجسِّدُه حتى في نظرتِه الى أصحابه، حيث (كان يقسم لحظاته بين أصحابه، فينظر الى ذا وينظر الى ذا بالسوية).^١

وهؤلاء أوصياء نبيه يقومون بالقسط تجسيدا أو تعليما، وقد وُصفوا بأنهم (القوامون بالقسط) - كما سيأتي.

وهذا مهديه المنتظر عليه السلام - وهو مسيح المسايح ونتيجة النتائج - يأتي ليملا الأرض قسطاً وعدلاً، ويقسم الأموال والإمكانات بشكل لا يرى معه محتاج الى الزكاة..

ففي هذا الضوء - النير الراهن - فأى فقه، أو حكم، أو مجتمع لا يخضع فعليا لمبدأ القسط، ولا يُجسده في جميع الأجواء والقطاعات، فليس له ان ينتمي الى الإسلام، صونا لسمعة دين الله الخالد عن التشويه.

ومن زعم ان تجسيد الآية (آية المستضعفين وحكومتهم)، انما يقع بإسقاط نظام، بدون تغيير للوضع الحياتي والمعيشي، وبدون أن يُصبح المحرومون والمستضعفون حُكَّاماً سائدين، مردودةً إليهم حقوقهم، فهو غارق في الأوهام، مبتعدٌ عن فهم واقع الإسلام.

ومن زعم ان القسط يُجسِّدُ، وان الناس يقومون به، بدون إبادة التكاثر (والليبرالية الاقتصادية) وإزاحة الفقر من عرصات الحياة، فيحلم أحلام

نائم، أو يُموّه الأمر على الجماهير، أو ينخرط مع المتكاثرين والمترفين في سلك، أو يجبن من الصمود في وجه الظالمين.

إلماح الى سرّ كبير

الحديث

(١) الإمام علي عليه السلام: العدل حياة الأحكام.

* لقد فصلنا الكلام عن العدل وأهميته في إصلاح المجتمع وبقاء الدين فيه، في الفصول: السادس والأربعين الى الثامن والأربعين من الباب الثاني عشر، في الجزء السادس فليراجعها القارئ الكريم.

وهذا - لعمر الحق والعدل - من عظام تعاليم أمير المؤمنين عليه السلام. نعم، لا حياة واقعية لأحكام الدين، ولبُخوع الجماهير الفعلي بها في جميع قطاعاتهم، إلّا في أوساط لا يسودها إلّا القسط، ولا يصنعها إلّا العدل.

وهذا المطلب واضح لمن عرف شيئاً من المجتمع والحياة والإنسان والغرائز. وأما الضغط على الناس بحملهم على رعاية ظواهر بعض الأحكام الشرعية - في المعابر والشوارع - مع التساهل في قيام المجتمع بالقسط في جميع صلاته، والتسامح في إحياء كرامة المحقورين ورد حقوق المحرومين المختلفة اليهم ورفعهم الى مستواهم الإنساني اللائق، فأمر لا يجنح اليه أيّ مصلح حصيف الرأي، يتطلب الإصلاح في واقع حياة الناس.

ولولا ذلك لم يجعل الله تعالى غاية بعثة الأنبياء عليهم السلام وإنزال الكتب والحديد قيام الناس بالقسط، فإن الله سبحانه شاء أن يعمل الجماهير بأحكام دينه، وعلم أن الطريق الموصل إلى ذلك المقصد هو فشو القسط والعدل فيهم وسيادتهما عليهم، ففرضهما على الناس. وبذلك يُصرّح ولي الله الكامل، الواقف على أسرار دين الله وطبائع خلق الله وموضوعات الحياة وحقائق المجتمعات، فيقول بملء فمه الطاهر: (العدل حياة الأحكام)، لا (الضغط حياة الأحكام).

وهذا سر عظيم، أباحه كلام إمام الإنسانية العظيم، في سبيل صنّع المجتمعات البشرية وإسعاد الجماهير.

وبما أن إحياء الأحكام الإلهية واجب، فالقيام بالقسط والعدل واجب، لتوقفه عليه، وفشله بدونه. ومن هنا يُصبح السعي والمجاهدة لإقامة العدل أول واجب على أي حكم أو فقه إسلاميين، قبل كل شيء، ولذلك نجد أمير المؤمنين عليه السلام قد أقدم على إرساء قواعد العدل - ولاسيما الاقتصادي منه - وإقامة الأمت والعوج في توزيع الأموال وامتلاكها، في أول أيام خلافته - كما هو معروف.

الحيف يدعو إلى السيف

الحديث

(١) الإمام علي عليه السلام - فيما قاله لأحد عماله، وقد نهاه عن تقديم الخراج: استعمل العدل، واحذر العسف والحيف؛ فإنّ العسف يعود

بالجلاء، والحيـف يدعـو إلى السيف^١.
* قال الشيخ محمد عبده المصري: (الحيـف الميل عن العدل إلى الظلم، وهو ينزع بالمظلومين إلى القتال لإنقاذ أنفسهم).

وما أعظم الكلام من تعليم، حيث يُشجّع المظلومين والمقهورين على أخذ حقوقهم بالقهر؛ ويريهـم طريق الخلاص وما هو إلا الثورة والتغيير.

المقياس الفاصل بلاريب

الحديث

(١) الإمام الصادق عليه السلام: إن الناس يستغنون إذا عدل بينهم.^٢
(٢) الإمام الكاظم عليه السلام: لو عدل في الناس لاستغنوا..^٣
* قد عرفوا العدل تعاريف مختلفة، توسيعاً وتضييقاً بحسب فلسفات نظرية متفاوتة. وفي الناس من يجنح إلى جانب ويدع الجانب الآخر، لعدم الإحاطة بحقيقة الموضوع، أو لأغراض وغايات أشرنا إليها في مواضع أخرى. والصحيح أن نقسم العدل أولاً إلى أقسامه كالإقتصادي والقضائي والأخلاقي والإداري والسياسي و.. ثم نأتي لكل واحد منها بتعريف جامع مانع.^٤

١ - نهج البلاغة / ١٣٠٤؛ عبده ٢٦٦/٣.

٢ - الكافي ٥٦٨/٢.

٣ - الكافي ٥٤٢/١.

٤ - والواجب الثاني أن نعلم إلى الترتيب، ونوضح أن الأهم والأقدم من أقسام العدل ما هو؟ ولعل العدل الإقتصادي هو الأول والأهم، الذي يوطئ لساكنة الأقسام.

والحق في تعريف (العدل الاقتصادي) أن نقول - اقتباساً من المعصوم عليه السلام وتعلماً من ذي علم - (العدل مأتزاح به حاجات الجماهير بأسرها).

ولقد ابدع الإمامان، أبو عبد الله جعفر الصادق عليه السلام وأبو ابراهيم موسى الكاظم عليه السلام، في إرشاد إلهي قيّم، انعكس فيه نفّس الأنبياء عليهم السلام، حيث جعلاً في بيانهما للعدل ملاكاً محسوساً ملموساً لا يعدوه، وبه يتاح لكل أحد تشخيص العدل وحضوره في الناس أو غيابه وفقده. والملاك هو استغناء الناس كلهم اجمعين (لعموم الناس)^١. وهذا أمر لا يتسنى لأحد أن يجهله، أو يتجاهل عنه، أو يموّه أو يداهن فيه. العدل اذا تجسّد فلن يوجد في الناس ذو حاجة أبداً، بل يُصبح الكل مستغنين.^٢

ولذلك نجد الأنبياء عليهم السلام يدعون الناس - بعد الدعوة الى معرفة الله تعالى وعبادته - الى إيفاء الكيل والميزان وعدم بخس الناس أشياءهم (كما في القرآن الكريم). وما ذلك إلا الدعوة الى العدل الاقتصادي وتقديمه.

١ - ولعل السر في الإتيان بالفعل المجهول (عدّل) هو ان الأمر لا يتم على أيدي الناس، ولو لم يكن العلماء عارفين بالعدل قائمين به، والأحكام والأمراء مجسدين له.

٢ - وهذا معنى كلام أمير المؤمنين عليه السلام الذي في المصادر (الكافي ٨/ ٣٢): «انّ المجتمع الإسلامي لا يوجد فيه عائل أو محتاج أو مظلوم، مسلماً كان أو غيره». وذلك أن الحاكم الإسلامي الحق يعدل ويعدل، ولا يوجد - مع العدل - عائل أو محتاج أو مظلوم. فماذا تدعون، وأنى تؤفكون، وأين تذهبون؟..

فالإسلام يقول: اذهب الى الناس، وتصفّح الجماهير وحياتهم هنا وهناك، في الطرق والشوارع، في المحلات والسكك، في المنازل والبيوت في الأمصار والرساتيق، فإن وجدت فيهم فقيراً واحداً، فهناك الظلم قائم ولا عدل.

وإذا كان الأمر على هذا الشكل في الإسلام، فما ظنك بمجتمع تُكابد قطاعاته الكثيرة والكثيرة آلام صور الفقر والحاجة والحرمان - معلنة وغير معلنة - فهل هناك يوجد أثر من عدل، أوراثة من قسط؟ وهل يسوغ لأحد أن يُسمى تلك المجتمعات وحكوماتهم إسلامية؟

رؤية تحليلية

ان مشكلة البشرية، عبر تاريخها الطويل المريع، هو الظلم الاقتصادي والمالي والمعيشي واستيلاء الطواغيت الاقتصاديين على الناس المضطهدين والمعذبين والمظلومين (مصيبتكم الطواغيت من أهل الرغبة في الدنيا..)^١. نعم، ان من أكبر انواع الظلم وأشكاله - بل أهمها وأكبرها - هو الظلم الاقتصادي السائد في الناس، وهو يُضاد القسط ويمحقه. وان الظلم المذكور لهو الذي يجرّ البشرية كلّ أقسام الفتن والويلات والاضطهاد والميوعة والسقوط والتخلف والاحاد. ولأجل ذلك نشاهد ان الأنبياء عليهم السلام قد استهدفوا، بادئ ذي بدء، شجب هذا الظلم وسحقه، بإقامة القسط وبسطه في الجماهير، فكانوا يدحرون الاغنياء والمستكبرين الاقتصاديين، ويلتحمون مع صفوف المحرومين والمعذبين وقد عدّ القرآن الكريم، قيام الناس بالقسط غاية الغايات الاجتماعية لبعثة الانبياء عليهم السلام.^٢

ومما يجب ان تنتبه له الضمائر - وخصوصاً ضمائر المسلمين - ان الأحاديث النبوية التي تبشّر بان المهدي المنتظر عليه السلام اذا ظهر يملأ الأرض قسطاً وعدلاً.. ترشدنا الى امرين عظيمين:

ان مشكلة الانسان الأصلية، هي الظلم والجور. والأصل فيها الاقتصادية منها.

١ - امالي المفيد / ١١٧، من حديث الامام علي بن الحسين السّجّاد عليه السلام.

٢ - سورة الحديد (٥٧): ٢٥.

٢ - ان اصل الاصلاح الديني الاجتماعي واساسه، هو تطبيق القسط وتجسيده، لا غير.

اذأ، فالجهل بهذين الأمرين الرئيسيين او الغفلة عنهما واهمالهما يؤدي الى فشل الثورات، وفتور الهمم، وخيبة الآمال، وضياع الجهود ووهن المعتقدات، وهدر الدماء واستيلاء المتخلفين، وخنق أصوات التغييرين.

ومن هنا، تصبح تأكيدات الإسلام الحاسمة - بشتى الأساليب والصور - على أهمية القسط ووجوب دعمه وتوسيع نطاقه في حياة الناس، والوعد بالعدل السبب الوحيد لاصلاح المجتمع الانساني^١، من أهم ميزات هذا الدين الهامة والعميقة. فعليه يجب ان يكون أول الأهداف وأهمها لاية ثورة من الثورات، هو شجب الظلم الاقتصادي والعدوان المالي، ودعم نظام العدل وإرساء قواعد القسط القرآني^٢.

وان القسط والجهاد في سبيل تجسيده في حياة الناس، هو السمة

١ - راجع: الفصل ٢٧، من الباب ١٢ من كتاب: الحياة.

٢ - ولجل ذلك نُشاهد ان الامام علي بن ابي طالب عليه السلام حينما يأخذ بزمam الحكومة الاسلامية - بعد حركة ثورية - ينطلق من أول الأمر الى إرساء هذه الدعامة، فيصرخ صراخه التاريخي المعروف، الذي لا يخرج صده من سمع التاريخ، ولا تنمحي صبغته من لوحات الشفق والفجر: (والله لو وجدته قد تزوج به النساء ومُلك به الاماء لرددته، فإن في العدل سعة. ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق) - (نهج البلاغة / ٦٦؛ عبده ٤٢/١). وقالوا: ان الامام خطب بهذه الخطبة في ثاني يوم من بيعته في المدينة.

الأصلية لكل ثورة إسلامية، أو حكم إسلامي، أو فقاهاة قرآنية^١، ولا يسد فراغها أي شيء.

والعجب من الذين يعدّون الكفاح ضد التكاثر والفقر - الذي به تضمن إقامة القسط - من الأمور الأخلاقية التي لا ضمان لتطبيقها. فإذا كانت هذه الأمور أخلاقية - ان شاء قومٌ عملوا بها وان لم يشأوا لم يعملوا - فماذا تكون ميزة أي حكم إسلامي قرآني عن غيره؟..

أيقنع الإنسانون، والنابهون، والمصلحون الصامدون، وطلّاب العدالة والحق الصادقون، والشباب الثائرون، من الحكم الإسلامي بان يغضّ الطرف عن التكاثر ويُخلي سبيله (فضلاً عن ان يواكبه ويُطلق سراحه، ويكون في رجاله من يجنح الى المتكاثرين والمترفين)، وان يُهمل جانب مكافحة الفقر وازاحته، وان لا يجد كلّ الجد لقيام الناس بالقسط في عرصات الواقع القائم؟ مع انه من اللاحب الواضح ان الناس ان لم يقوموا بالقسط، وان العدالة الاجتماعية ان لم تُجسّد وان الطاغوت الاقتصادي ان لم يُشجب، فلا فائدة أساسية في مكافحة المفاسد والسلبيات الاجتماعية الأخرى؛ لأنه اذا لم يكن المجتمع مجتمع عدلٍ وقسط تكمن وتبطن، أو تظهر في ألوان أخرى، وتعمل عملها وتخلق سلبياتها الساحقة، في تمييع ارواح الناس وأخلاقهم هنا وهناك.. ولأجل هذه الحقيقة الراهنة في حياة المجتمعات والبخوع بها بصمودٍ وإخلاص، يُنادي امام الانسان والانسانية وتمثال الحق والعدالة الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام بهذا النداء: (الرعية لا يُصلحها إلا العدل)^٢.

١ - راجع: الإيقاظ ٧، من هذه الرؤية.

٢ - غرر الحكم / ٢٩.

إيقاظ هام (١)

الحكم الاسلامي والقسط:

لقد جاءت في الإسلام تعاليم كثيرة - في القرآن والحديث - وتأكيدات حاسمة على موضوع الولاية والحكومة. ودرسوا مواصفات من يصلح لها ومؤهلاته ومن لا يصلح، بصورة واعية، لأهمية هذا الأمر الحياتية في الإسلام. وقد عدوها من أركان الإسلام الخمسة (الصلاة، الزكاة، الصوم، الحج، الولاية)، بل جعلوها أهمها الذي به تقام الأربعة الأخرى.. قال الإمام ابو جعفر الباقر عليه السلام: (بُني الإسلام على خمس، على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية. ولم ينأد بشيء كما نوذي بالولاية).^١

والمراد بالولاية هنا، هو الحكومة القرآنية واقامتها بين الناس نيابةً عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم. ومن الأدلة الواضحة عليه ما جاء في حديث آخر، عن زرارة بن اعين، عن الباقر عليه السلام ايضاً: (بُني الاسلام على خمسة اشياء، على الصلاة والزكاة والحج والصوم والولاية. قال زرارة: فقلتُ: وأي شيء من ذلك افضل؟ فقال: الولاية أفضل، لأنها مفتاحهن، والوالي هو الدليل عليهن..).^٢

١ - الكافي ٢ / ١٨.

٢ - الكافي ٢ / ١٨.

فالتعبير بـ(الوالي)^١، وعدّه الدليل على الأركان الأربعة الباقية، يدل بوضوح على ان المراد به هو الحاكم والسائس^٢ والقائد والمدير الاجتماعي والمربي الانساني، حيث يدلّ الناس بالطرق المناسبة - تعليمياً وتربياً - وارشاداً وتمهيداً - على اقامة الصلاة واخواتها.

وانما أشرنا الى هذا الموضوع، اشارة مقتضية بهذا الايقاظ، لان نقول ان الهدف الغائي (من الجهة الاجتماعية والاقتصادية والمعيشية) لهذه الحكومة والولاية، التي دعا الاسلام اليها بهذه الصورة المؤكدة وعدّها من أهم الأركان الخمسة وإقامتها، انما هي تجسيد القسط والقيام به. لاننا نشاهد ان القرآن الكريم يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ...﴾^٣. ومن هنا نعلم بيقين ان أوصياء النبي صلى الله عليه وآله وسلم - وهم أعدال القرآن - يكونون في الرتل المقدّم ممن يلبون هذا النداء، بل هم المخاطبون الأصليون به، فهم قوامون بالقسط؛ ولقد وُصفوا في بعض التعاليم ايضاً بهذه المواصفة: (القوامون بالقسط). ويصف الامام علي بن ابي طالب عليه السلام، الحكم الاسلامي بانه حكم لا يوجد

١ - والوصف من الولاية، بمعناها الجامع، يجيء على صيغة (الوالي) كما في الآية ٥٥ من سورة المائدة.

٢ - ولقد وُصفَ اوصياء النبي صلى الله عليه وآله وسلم بانهم (ساسنة العباد). وجاء فيما شرحه الامام ابو الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام من مواصفات الامام: (..عالم بالسياسة) - (الكافي ١/ ٢٠٢).

٣ - سورة النساء (٤): ١٣٥.

فيه عاقل ولا محتاج ولا يُظلم فيه مسلم ولا معاهد.^١ ولا يكون ذلك إلا بإقامة القسط. ويصف الامام الصادق عليه السلام الامام (الوالي الاسلامي) بانه يقوم بالعدل.^٢ ويقول في خطبة له، يذكر فيها حال الأئمة عليهم السلام: (جعلهم الله حياة للانام..^٣ . وكونهم حياة للانام لا يخص البعض دون الآخرين، فهم اذا كانوا حاكمين يكونون حياة للقطاعات والجماهير) (ويدل عليه التعبير بالانام، سوى العمومات الإسلامية والواقع الذي نعقله من الدين الإلهي). ولا تكون حياة إلا بإقامة العدل والقسط، كما يقول الامام علي بن ابي طالب عليه السلام: (العدل حياة).^٤

ويقول الامام ابو الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام - فيما وصف به الامام (من مقال ألقاه بمدينة مرو، في يوم جمعة على بعض أصحابه، اشعاعاً على طريق الحق الخالد، وتبييناً للوصاية وآفاقها وأغوارها): (.. وأمرُ الامامة من تمام الدين.. ان الامامة أسُّ الإسلام النامي، وفرعه السامي؛ بالامام تمام الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد، وتوفير الفیء والصدقات، وامضاء الحدود والاحكام، ومنع الثغور والاطراف. الامام يُحل حلال الله، ويحرّم حرام الله، ويقيم حدود الله، ويذب عن دين الله.. الامام الماء العذب على الظمأ.. والوالد الشفيق.. والأُمّ البرّة بالولد الصغير..^٥

١ - الكافي ٨ / ٣٢.

٢ - الكافي ١ / ٢٠٤.

٣ - الكافي ١ / ٢٠٤.

٤ - غرر الحكم / ١٥.

٥ - الكافي ١ / ١٩٩ - ٢٠٠.

ومن الواضح، ان من تمام الدين، اقامة القسط في الناس، لانها غاية الغايات الاجتماعية لبعثة الأنبياء عليهم السلام - كما صرح به القرآن - ولأن اقامة الصلاة وتمامها واداء الزكاة والصيام والحج والجهاد، وتوفير الفيء والصدقات.. لا تتجسد إلا في مجتمع اسلامي صالح. وهذا المجتمع لا يُصنع إلا باقامة القسط. وكذلك تحليل حلال الله وتحريم حرامه، لا يواكب الحياة التكاثرية والترفيه وحضورهما في المجتمع؛ لانهما تُضادان القسط والعدل الاقتصادي. فالامام هو الحاكم المُزيح لكل ذلك باقامة القسط، ويذب بذلك عن دين الله ويكلاً عباده، ويمنع من تطرُق الانحلال العقيدي أو العملي الى الجماهير.

وكذلك من الواضح، ان كون الامام الماء العذب يعمّ جميع الناس وابناءهم وبناتهم واطفالهم؛ وكذلك برّه ورحمته يسع الجميع.. فهو لا يُقارُّ على حرمان الساعبين وكفّات الظالمين .. ويكون القوي (اي الطاغوت الاقتصادي، المستكبر المترف، والمُسرف الذي يأكل ويشرب ويلبس ويركب ويسكن ما للآخرين)، عنده ضعيفاً حتى يأخذ الحق منه، ويكون الضعيف (المسكين، الفقير، المُعذّب، العامل، الكادح، الزارع، الاجير، اليتيم ومن اليهم)، عنده قوياً حتى يأخذ الحق له..

ففي هذا الضوء، ان الحكومات التي تؤسس استناداً الى الولاية الإلهية الإسلامية، يجب عليها - أول ما يجب - ان تعتمد الى اقامة القسط في الناس وتطبيع حياتهم به وسوقهم الى تبنيه بصورة فعلية واسعة وعميقة، من غير أي عذر، أو فتور، أو مDAHنة، أو دجل، أو خوف، أو تأجيل حتى تظهر السمات الاسلامية على عرصات المجتمع.

وهذا اصل رئيسي تحتاج البشرية المعاصرة الى تجسيده أشدّ احتياج، فيكون القيام به سبباً قوياً للتعريف بالاسلام على المستوى العالمي، كما ان اهماله يُصبح سبباً قوياً لذهاب ريح الاسلام ودحض مراميه في اسعاد الانسان واعلاء كلمة الله في مشارق الأرض ومغاربها. بل الحقيقة التي يجب ان لا نغفل عنها، هي ان الاهمال المذكور، يؤدي الى ضعف معتقدات الناس وتركهم التعبد والاعمال الدينية احياناً، ولو في قطاعات.

وذلك لانهم اذا شاهدوا من الحكم الذي اقيم باسم الاسلام وأتباعه (وأريقَت الدماء لتعبيد الطرق له، واستهلكت في سبيل ارسائه اعمار ثمينة واموال للأفراد أو الشعب طائلة)، امثال هذه الامور:

- لا يهتم بالمسائل الرئيسية في الحياة الاقتصادية؛

- لا يخضع لناموس القسط الذي دعا اليه القرآن الكريم ولا يجدُ لتجسيده؛

- لا يجنح الى اقدام تغيير وحركة جذرية تتجاوز حد الهتاف، لازاحة الوان الحرمان والمسكنة والجور المعيشي في الجماهير؛

- لا يقطع ايدي اولئك المتكاثرين الذين تتضخم لديهم الثروات يوماً فيوماً، من امتصاص الناس بألوانٍ وصور؛

- لا يُكافح المستكبرين ولا ينافح حياتهم، حتى يُتاح له انقاذ المستضعفين واسعادهم.

- ولا يمنع من نفوذهم في اجهزته وفي البرمجة والتقنين..

نعم، ان الناس اذا وقفوا على تلكم الفواحش والفواقر وعرفوها، وقاسوا تلكم المصائب والمصاعب، يحسبون ان الاسلام يقر الظلم ولا يؤكد على

العدل، بل يُبرر هذه الأمور وما إليها، فيضعف عندئذ معتقدتهم الديني.. إذ الجماهير تلمس - أول ما تلمس - القضايا الحياتية والاقتصادية وتحسّ بآثار التضخّم والعدوان الاقتصادي، وترضّ عظامه تحت نير الغلاء.. وليست لكل الناس منّة الرجوع الى القرآن والحديث وما هناك من تعاليم، حتى يعرفوا واقع الاسلام وأحكامه في العدالة والقسط ورفض المظالم الاقتصادية والمعيشية والفروق الساحقة، فيقعوا عند ذلك في شبكات الانحلال العقيدي أو الاخلاقي أو العملي، ولا سيما الشباب الذين لم تترسخ الاصول الاعتقادية في قلوبهم كل الرسوخ، ولا يقدرّون على ان يفصلوا الدين عن عمل المدّعين، أو قصور الواعين، أو تخلف الرجعيين، أو ضعف ومداهنة العاملين، أو حيل المتنمين اليه من طواغيت أهل الدنيا المستكبرين..

وفي هذه الأحوال، يُصبح من الواجب على كل عالم ضليع في معرفة الإسلام بأبعاده، واقف على مصدره الأصليين (القرآن والحديث) بصورة مستوعبة، ولا سيما ما جاء في تعاليم العترة الهادية عليهم السلام، لتفسير القرآن وتبيين الإسلام، ان يبيث علمه في الناس، حتى يُحصّنوا ضد الانحلالين، العقيدي والعملي، ويُحصّن الشباب ضد الارتواء في شرك المدارس والاتجاهات اللاحادية أو المضللة، أو المميعة، من الشرقية أو الغربية؛ وحتى تعلّم الجماهير ان الاسلام (دين الحياة)^١، وان هذا الدين هو الذي دعا اليه الله والرسول صلى الله عليه وآله وسلم لان يحيي البشرية كافة، وان كل وضع يُشاهد مخالفاً لتأشيرات الاسلام الأصيلة،

١ - وسيأتي الكلام عن اهمية توعية الناس بواقع الدين في الايقاظ (٥) فلاحظ.

انما وقع لضعف في الوعي أو التجسيد لا في التشريع أو التأشير، والعقبات تُثار في سبيل التطبيق لا في أصل المنهاج المخطّط..

وانما قصدنا بهذا التذكير ايقاظ الضمائر وصيانة المعتقدات وانقاذ الشباب.. ولانبوح هنا بخبيثة اسرارنا اكثر من هذا الالماع.. ولا حول ولا قوة إلا بالله..

ايقاظ هَام (٢)

التقنين الإسلامي والقسط:

يتضح من الامعان في البحث السابق ان القسط واقامته بين الناس، هو قمة الهرم في تعاليم الدين الإلهي. ومن اللاحب ان القسط انما يُطبّق اذا صار اصلاً ومقياساً للتقنين الاسلامي، بل للفقاهة الاسلامية والافتاء، وجرت الاحكام عليه وأصدرت الفتاوى لتطبيقه. فالقسط هو المقياس الوحيد في كل حكم من الأحكام الاسلامية، به يُقاس ومنه يُستلهم. والأمر في الواقع ايضاً كذلك، حيث امرنا القرآن بان نكون قوامين بالقسط. والقوامة بالقسط ليست امراً هيناً. وكذلك امرنا بان نكون شهداء بالقسط. وكل ذلك لا يتجسّد إلا بان يتّخذ القسط مقياساً باتاً في عامة أبواب الفقه والتقنين ويخضعها بشكلٍ لامحيد عنه ولا بدل منه؛ وإلا فلا نكون البتة من القوامين بالقسط شهداء على الناس، بل نصبح من الذين لا يقومون لله تعالى بالقسط؛ وهم بئس القوم - على حد قول النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

إيقاظ هام (٣)

العدل والتوحيد علويّان

ان وجوب اتّخاذ القسط مقياساً رئيسياً لا محيد عنه ولا بدل منه في الأمور والاتجاهات والأحكام والإدارة والسياسة والاقتصاد عامة، امرٌ يتأكد في الفقه العلوي الجعفري، بصورة جذرية وحاسمة، لأنّ هذا المذهب مذهب العدل، ومن هنا قالوا من قديم: (التوحيد والعدل علويّان..) ولقد جاء في الأدب العلويّ ايضاً:

فلا والله لا تزكو صلاةٌ بغير ولاية العدل الإمام

إيقاظ هام (٤)

الايمان بالبعض والكفر بالبعض الآخر:

﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ...؟﴾^١، ندّدت الآية السماوية بالتبعيض في المعتقد والعمل (اذ الايمان المذكور فيها يشمل العمل ايضاً)، وجعلت جزاء ذلك خزيّاً في الحياة الدنيا وأشدّ العذاب في الحياة الأخرى^٢. وذلك لان هذا التبعيض، يعني الايمان ببعض الكتاب والدين والشرعية والاحكام والقيام به، والكفر بالبعض الآخر واهماله، يساوق الكفر بالجميع (كما صرّح به في سورة النساء)^٣، خصوصاً اذا كان ذلك البعض جزءاً

١ - سورة البقرة (٢): ٨٥.

٢ - نزلت الآية في اليهود، غير أنّ المغزى عام.

٣ - لاحظ الآيتين: ١٥٠ و ١٥١.

رئيسياً أساسياً. واي شيء اهم وأشد من اساسية في المجتمع الاسلامي المدعى لاتباع القرآن - بعد التوحيد والصلاة والولاية - من قيام الناس فيه بالقسط، وادارته بموازين العدل؟

نعم، ان التعاليم الاسلامية - من القرآنية والحديثية - تُرشدنا في صراحة وحسم، الى ان التوحيد الصادق والصلاة الصحيحة، لا يتجسدان إلا باقامة القسط، فما آمن بالله ولا بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم، مَنْ بات شبعان وجاره جائع، ولا صلاة لمن لا يؤدي حقوق ماله..

ايقاظاً هاماً (٥)

اهمية توعية الناس بواقع الدين:

ان مما يسبب تغلغل الدين في النفوس، وحضوره في الأوساط وبقاء الناس على معتقداتهم الحقّة، هو ايقاف الناس على واقع ما جاء في الدين، حول دقيق الحق وصريح العدل، والدعوة الصامدة الى اقامة العدالة الاجتماعية والاقتصادية ورفض العدوان المالي والاستكبار المعيشي، سواء انجح العاملون على تطبيقه في الواقع القائم ام لا.

وهذا من أهم ما يجب على أي عالم نابه، أو داعية مخلص في الاتجاه والعمل، أو مسلم ملتزم^١ وذلك لان الناس اذا عرفوا حقائق تعاليم الدين

١ - لقد عقد شيخنا الحر العاملي، باباً في كتابه (الفصول المهمة في اصول الائمة عليهم السلام) بالعنوان التالي (باب استحباب هداية الناس الى احكام الدين ودفع الشكوك والشبهات عن المؤمنين) / ٧٨، من الطبعة الحجرية. ولعل الموضوع الذي نبحت عنه يعدو حكمه حد الاستحباب، لوجوب حفظ الدين - كما هو واضح.

وأحكامه، وعلموا ان تجسيد العدل بآدق صورة، وشجب الظلم في جميع
الوانه، والدفاع عن المحرومين والمعتبين واسترداد حقوقهم، ورفض
الاستثناء والاستكبار المعيشي، هي من أهم اجزاء الدين الأصلية وغاياته
الانسانية والاجتماعية، فعند ذلك لا يرتقبون في اشراك الضلال ولا
يتدهورون في هوات التسيب والفتور، بل يصونون ايمانهم ولا يتملصون
عن اعمالهم الدينية، حيث عرفوا كفاية المناهج والمخططات الاسلامية لصنع
(الحياة) السالمة العادلة الزاخرة بالمثل والقيم، الطافحة بالعدل والاحسان،
القائمة بالحق والقسط.. ويرون ان زيغ صلات المجتمع الاقتصادية وعدم
اسلامية الجو الحياتي وما يوجد فيه منتئياً عن الاسلام واحكامه، انما جاء
ونشأ كل ذلك من هنا وهناك.. لا من اصل الاسلام وتعاليمه.

ومما يجب ان نحترز منه اشد الاحتران، في إعلام الدين وترويجه هو
البيان المعسول لواقع فارغ، فان ذلك يهدم اساس الدين هدماً.

ايقافاً هاماً (٦)

القوامية بالقسط واجب من؟

اذا كان القرآن يدعو الذين آمنوا، بصورة عامة، الى ان يكونوا قوامين
بالقسط شهداء لله.. ويجعل هذه الدعوة تعم الجميع وتستوعب الحالات
كلها، فماذا يكون عندئذ واجب اهل الخاصة والنابهين؟ الجواب عن هذا
السؤال معلوم، ان كونهم قوامين بالقسط يجب عليهم بشكل أكد وأحسم..
ففي هذا الضوء، يجب على علماء الدين ورجال الحكم الاسلامي
الملتزمين، ان يقوموا بهذا الواجب بصورة جذرية وجدية لا تقبل البديل ولا

ترضى بالفتور؛ نعم، عليهم ان يكونوا قوامين بالقسط، غير مقارنين على كظات الظالمين وسغوب المظلومين، حتى يتأسى بهم سائر الناس، فيصبح المجتمع مجتمعاً قوَّاماً بالقسط، شاهداً لله - تعالى شأنه.

إيقاظ هام (٧)

القرآن كله لا بعضه:

لقد مرّت في اوليات هذه الرؤية هذا التعبير: (فقاها قرآنية) فجئنا للفقاها الاسلامية بتلك المواصفة. والآن نوضح مرادنا منها، لالفات الانظار الى امر هام - ربما صار مغفولاً عنه - وما هو ذلك إلا التأكيد على ان (الفقاها الاسلامية)، اذا شاءت ان تتجاوز الأطر الفردية وما يُضاهيها ويُقترَب منها، وتصنع المجتمع الانساني العام بجميع ابعاده - بصورة لائقة متجاوبة - وتتغلغل في الأوساط المختلفة والجماهير البشرية المتنوعة في مختلف المناطق والبلاد والجنسيات، فعليها ان تستند الى كل آيات القرآن (أو الأكثرية الغالبة منها، بما فيها ما يُحيي الناس من شتى المناحي البناءة للحياة الانسانية) وتجعلها ملحوظة فيما تستنبطه منها وتفتي به تأشيراً، أو تأكيداً، أو فتح أفق، أو رسم خطة، أو تأسيس اصل وقاعدة، وما الى ذلك؛ اذ الكتاب السماوي ب كله (وبجميع اشاراته وقصصه واتجاهاته وما فيه من الحكمة التجسيدية والتوجيه الفردي والاجتماعي، والاخلاقي والاقتصادي، والتنظيمي والدفاعي و...) هدى للناس، ويهدي للتي هي أقوم، لا ببعضه المستل منه، المفصول من كله - في مواضع اصطلاحية -

كآلايات الأحكامية المصطلحة، التي لا تعدو خمس مئة (٥٠٠) آية، من بين ما يزيد على ستة آلاف (٦٠٠٠) آية، أي بنسبة الجزء الى اثني عشر جزءاً بل ثلاثة عشر جزءاً.

وهذا الاتجاه لتوسيع دائرة الفقه الاسلامي، ولبسطه على جميع المسائل المستحدثة والقضايا الحديثة والمتطورة^١، دليل على اعتقاد عظيم بحق هذا الفقه ومصادره الغنية الغزيرة، وعقلية الفقهاء المسلمين الناضجة وانتباههم الواهي.

ومن اللاحب لدى النابهين، هو ان الفقه الإسلامي يجب عليه، ان لا تبقى هناك مسألة واحدة (في آفاق الحياة البشرية، وأواصرها المستجدة، وصلاتها المتشابكة والوسيعية، في كل ما تنطوي عليه تلك الحياة)، إلا وله عليها إجابة حاضرة راقية، تلتحم مع أحوال الانسان الحديث، وتخضع لناموس التجسيد هنا وهناك، من غير أي تخلف أو اهمال؛ فإلى الملتقى القرآني:

اننا نشاهد ان القرآن الكريم يؤكد على قيام الناس بالقسط، بشكل يسترعي الانظار، حيث يجعله غاية وضع الدين وتشريعه وارسال النبيين وانزال الكتب السماوية.

وكذلك نشاهده ينافح التكاثر ويكافح الترف، اشد منافحة وكفاح ويعدهما سبباً للفسق والفجور والدمار والسقوط... ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً، أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا، فَفَسَقُوا فِيهَا، فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾^٢.

١ - يعني (الحوادث الواقعة) في لسان (الأخبار).

٢ - سورة الاسراء (١٧): ١٦.

وكذلك يُجابه الإسراف ويحارب البذخ الاستهلاكي، ويرى المسرفين من أصحاب النار^١، ويجعل فرعون في عدادهم^٢، ويعدّهم من الذين أهلكهم الله في الدنيا^٣، فسقط مجتمعهم وحكمهم وعزهم، ويحذر من قبولهم واتباع خطتهم، ويقول بصددهم: ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ، الَّذِينَ يَفْسُدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾^٤. فيُعرف بهم بوصفهم (مفسدين في الأرض)، لا يجنحون الى صلاح أو التزام.

ابعدَ هذا الموقف القرآني الحاسم والموجه، في المسائل الهامة المصيرية المذكورة، وما ورد بشأنها من الأحاديث والأخبار، من النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والأوصياء عليهم السلام، يكون عكس التوقع أو عكس الانظمة والقواعد؟ نحن نطالب الفقهة الاسلامية - العريضة، الحكيمة، الملتزمة - بان لا تُهمل الداهيتين (التكاثر والفقر وما يستتبعانه من الترف والعدم)، في كتبها وابوابها، تخليصاً للأمة من أضرارهما الساحقة، وان تزيد على كتبها:

- كتاباً خاصاً بالعدل والقسط (العدالة الاجتماعية والاقتصادية والمعيشية) وأحكامهما وطرق اقامتهما، اذ (العدل حياة)، فلا حياة فعلية للدين والمجتمع بدون العدل؛ وهو (رأس الايمان)، و(قوام للانام)، و(الرعية لا يصلحها إلا العدل).

١ - سورة غافر (٤٠): ٤٣.

٢ - سورة يونس (١٠): ٨٣؛ سورة الدخان (٤٤): ٣١.

٣ - سورة الانبياء (٢١): ٩.

٤ - سورة الشعراء (٢٦): ١٥١ - ١٥٢.

كتاباً خاصاً بالتكاثر والاطراف لاستفراغ الوسع واستيفاء البحث عنهما فيه، ورفضهما بصورة قاطعة قرآنية، وحكمية لا أخلاقية، اذ لا يُصنع المجتمع - بما فيه من النفوس الكثيرة والمختلفة في الطبائع والنزعات - بمجرد الحكم الأخلاقي، فان هناك أفراداً كثيرين وخصوصاً في الأغنياء المترفين والمسرفين، من لا يخضع للوعظ ولا يركن الى العمل الخلقي؛ ولذلك انزل الله الحديد، وجاءت في الشريعة الحدود والقصاص، وقالوا: (لأَيِّقِمِ النَّاسَ إِلَّا السِّيفُ)^١، نعم، لا يتاح كبج جماح النفوس المترفة الطاغية وردها الى حدها وحقها إلا بالقوة والقانون والتجسيد.

- كتاباً خاصاً باستيفاء حقوق الجماهير المعذبة والممتصة، المستغلة، والمضطهدة، والمسلوبة الحقوق، والمسرودة الأرزاق، والمرضوضة العظام، والمهدورة الكرامات.. واخراجها من حلقوم الأثرياء المستكبرين، المنغمسين في ألوان الترف والسرف والبذخ والرفاه والنعيم، كأن الدنيا خُلِّتْ لهم لا لغيرهم؛ حتى يتسنى بذلك تجسيد القسط القرآني في واقع حياة الناس. ولا سبيل الى ذلك إلا بالافتاء والحكم والقوة والحديد. ولقد سلكت الفقهة هذه السبيل في كتاب الحدود والقصاص «ولكم في القصاص حياة»^٢، فلتسلكها في سبيل احقاق حقوق المظلومين والمحرومين، اذ في احقاق الحق ايضاً حياة، كما يقول مولانا امير المؤمنين عليه السلام: (العدل حياة)..

ففي هذا الضوء، فلتكن الموضوعات الحياتية الهامة المذكورة متمتعة

١ - الوسائل ١١/٥، من حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

٢ - سورة البقرة (٢): ١٧٩.

ايضاً، من الحسم الفقهي الذي نعهده في الحدود والقصاص، حتى تُطبَّق
غايات الدين السماوي الحنيف.

أجل، فنحن كلما جئنا بهذه المواصفة (القرآنية، القرآني)، انما نقصد بها
ايقاظ البصائر وحملها على الاستلهاً من آيات القرآن كلها - ما تيسر
الاستلهاً - والاستيحاء التام مما جاء فيه من بَيِّنات من الهدى والفرقان.

ونحن على يقين، من أن القيام بهذه العبء، يعني زيادة كتب
كالملكورات على الكتب الفقهية الموجودة، امر صعب باهظ، حيث يتطلب
عملاً دؤوباً واكباباً مستمراً ومثابرة جبارة، من الرجوع الى الآيات
والأحاديث وجمعها واستيعابها، ثم تدوينها وتنسيقها على نضد فقهي
رصين، واعمال القواعد الاجتهادية فيها، من الفقهية والاصولية اللفظية
والعملية والرجالية واللغوية وما اليها من الدراسة والفحص والتحقيق
والعرض، غير ان هذا واجب هام باقٍ على الأرض، لم تمد اليه يد الفقهاء
لحد الآن - على صورة جديرة - ولا يسد فراغه أي شيء، ولا يخفى ضرر
خلو فقهننا من الاجتهاد في هذه الموضوعات وما يتصل بها على النابهين.
ويشتد وضوح هذا الضرر العظيم ويشد لكل حكم أو مجتمع أو تقنين
يتبنى الاسلامية ويرى نفسه منتماً الى الاسلام.

فعلى هذا، هل يسع الفقهاء النابهين أن يدعوا هذا الجانب فارغاً،
ويشتغلوا بتأليف دورات في الفقه، بصورة مكررة - من نقل الآراء
والاستدلالات - وبشكل تقليد مصبوب في قالب الاجتهاد، مع وجود
عشرات من الكتب الفقهية المطولة والمتوسطة والمختصرة، التحقيقية

والتتبعية.. من التي أُلِّفَت بيد أكابر الفقهاء لم تدع حاجة الى تأليف دورة جديدة على الأسلوب المعهود.

واذا كان هناك فقيه ضليع، يرى ان له بعض آراءً أو تحقيقاً له أهمية التسجيل والانتشار، فعليه ان يكتبها في كراس أو رسالة، لتُطبع وتصل الى ايدي الطالبين، ويتحفظ باوقاته واوقات المشتغلين المسلمين عن البسط الزائد والعمل المكرر.

وعلى امثال هذا الفقيه، ان يتوفر بدوره على سد هذا الفراغ، بكتابه.. فصول ومقالات ورسائل، في تلكم الموضوعات الحية الحياتية التي تحتاج اليها الأمة الإسلامية، احتياجها الى امس شيء ببقائها وعزّها وسلامة صلاتها ونجاة شبابها.

وان العامل على تجسيد هذه الغاية الإسلامية، لا يرجع إلا ناجحاً، بفضل غنى الفقه الاسلامي وغزارة مصادره، وما يُمد به العاملون الصادقون من التوفيق.

ولنا أمل وطيد في ان يقوم بهذه المهمة المصيرية وانجازها، ذوو الهمة العالية والعقل الواعي، والغيرة الدينية والحنان الانساني، والافق المتفتح والرسالية النابهة، من شباب وعلماء الحوزات العلمية وطلاب الفقه الاسلامي الناشطين، ان شاء الله تعالى.

الكتاب:

(١) ﴿.. فكلوا منها، وأطعموا البائسَ الفقير﴾^١.

١ - سورة الحج (٢٢): ٢٨ و ٣٦.

- (٢) ﴿.. فكلوا منها، وأطعموا القانع والمعتر﴾^١
- (٣) ﴿أو اطعموا في يوم ذي مسغبة، يتيماً ذا مقربة، أو مسكيناً ذا متربة﴾^٢
- (٤) ﴿.. وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين﴾^٣
- (٥) ﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم، ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان، فكفارته إطعام عشرة مساكين، من أوسط ما تطعمون أهليكم﴾^٤
- (٦) ﴿.. فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً﴾^٥
- (٧) ﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً﴾^٦
- (٨) ﴿ولا يحضُّ على طعام المسكين﴾^٧
- (٩) ﴿ولا تحاضون على طعام المسكين﴾^٨
- (١٠) ﴿ما سلككم في سقر؟ قالوا: لم نك من المصلين، ولم نك نطعم المسكين﴾^٩

١ - ن. م.

٢ - سورة البلد (٩٠): ١٤ - ١٦.

٣ - سورة البقرة (٢): ١٨٢.

٤ - سورة المائدة (٥): ٨٩.

٥ - سورة المجادلة (٥٨): ٤.

٦ - سورة الانسان (٧٦): ٨.

٧ - سورة الحاقة (٦٩): ٣٦؛ سورة الماعون (١٠٧): ٣.

٨ - سورة الفجر (٨٩): ١٨.

٩ - سورة المدثر (٧٢): ٤٢ - ٤٤.

هذه عدة من الآيات السماوية، ذات ألوان من التعبير، تستحث الناس على مكافحة الجوع بالنسبة الى الوضع القائم البتة، لا الوضع المطلوب^١. اصف اليها آيات جاءت بصدد الزكاة والانفاق من الوافر الكثير. والذي يهم الباحث هنا، هو ان يعي ان القرآن كيف يهتم بمشكلة الجوع الانسانية، ويدعو الى كفاحها في صلب بلاغة المبين واتجاهه المحيي، ويجعلها غرضاً من أغراضه التغييرية البناءة.

الحديث:

(١) النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ليس بمؤمن من بات شبعان وجاره جائع.^٢

(٢) النبي صلى الله عليه وآله وسلم: من أفضل الاعمال عند الله ابراد الاكباد الحارة، واشباع الاكباد الجائعة^٣. والذي نفس محمد بيده لا يؤمن بي عبد يبيت شبعان وأخوه (أو قال: جاره) المسلم جائع.^٤

(٣) النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ان أهون أهل النار عذاباً، ابن جذعان. فقل يا رسول الله! وما بال ابن جذعان أهون أهل النار عذاباً؟ قال: انه كان يطعم الطعام.^٥

(٤) النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أخذ رجل بلجام دابة رسول الله

١ - لان في الوضع المطلوب، الذي يهدف اليه الاسلام، لا يوجد جائع.

٢ - مكارم الاخلاق / ١٥٧.

٣ - جاء في المصدر (الكباد) في الموضعين، وهو من سهو الناسخين.

٤ - سفينة البحار ١ / ١٩٦.

٥ - سفينة البحار ٢ / ٨٣ - ٨٤.

صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله! أي الأعمال أفضل؟ فقال: اطعام الطعام، وإطياب الكلام.^١

(٥) الإمام علي عليه السلام - فيما كتبه الى قُثم بن العباس، وهو عامله على مكة... وانظر الى ما اجتمع عندك من مال الله فاصرفه الى من قبلك من ذوي العيال والمجاعة، مصيباً به مواضع الفاقة والخلاّت. وما فضل عن ذلك فاحمله الينا لنقسمه فيمن قبلنا.^٢

(٦) الامام الحسين عليه السلام... تكون الصنعة مثل وابل المطر، تُصيب البرّ والفاجر.^٣

(٧) الامام السجاد عليه السلام: من أطعمَ مؤمناً من جوع، اطعمه الله من ثمار الجنة..^٤

(٨) الإمام الصادق عليه السلام: اكلة يأكلها أخي المسلم عندي، أحبّ إليّ من أن أعتق رقبة.^٥

(٩) الامام الصادق عليه السلام - من وصاياه للثقة الجليل، عبد الله بن جندب الكوفي: يا ابن جندب! قال الله جل وعز في بعض ما أوحى: (انما اقبل الصلاة ممن يتواضع لعظمتي، ويكف نفسه عن الشهوات من اجلي، ويقطع نهاره بذكري، ولا يتعظم على خلقي، ويُطعم الجائع، ويكسو

١ - ن. م.

٢ - نهج البلاغة / ١٠٦٢ - ١٠٦٣: عبده ٣ / ١٤٠.

٣ - تحف العقول / ١٧٦. ومن اللائح ان اطعام الجائع من افضل مصاديق (الصنعة).

٤ - الكافي ٣ / ٢٨٨ و ٢٩٠.

٥ - ن. م.

العاري، ويرحم المصاب، ويؤوي الغريب؛ فذلك يشرق نوره مثل الشمس،
اجعل له في الظلمة نوراً^١.

جعل الله - تبارك وتعالى - في هذا الكلام الذي نقله الامام الصادق عليه
السلام، (اطعام الجائع) من شروط قبول الصلاة، فلاحظ الاهمية.
(١٠) الامام الصادق عليه السلام: من اطعم ثلاثة من المسلمين، غفر الله
له^٢.

ان مشكلة الجوع والنضال ضدها، موضوع مهم جداً، في تاريخ
الانسان المحروم، غير انه من المؤسف ان المفكرين والمصلحين لم يهتموا بها
في مستوى مناسب^٣. اما الاسلام، فقد عمد اليها واستهدف اجتثاث
جذورها من اقدم ايامه؛ يوم سلب الايمان عن بات شعبان وجاره جائع
٤، ووسع حد الجوار الى (اربعين داراً) من (اربعة جوانب)، وقال عن اهل
قرية يبيت فيهم جائع: (لا ينظر الله اليهم يوم القيامة)^٥.

وكان اولياء الاسلام يحملون الارزاق بشخصهم الى بيوت الجائعين،
فيطعمونهم ويشبعونهم. ولعلنا لا نحتاج هنا الى ذكر نماذج لهذا الموضوع،
حيث ان كثيراً من التعاليم الاسلامية - القرآنية والحديثية - في المؤاساة

١ - تحف العقول / ٢٢٦.

٢ - سفينة البحار / ٢ / ٨٣.

٣ - لقد اقدم احد الانسانيين النابهين على طرح المسألة، في الخمسين سنة الاخيرة
تقريباً. وهو مشكور على طرحه.

٤ - راجع الفصل ٤٧، من هذا الباب.

٥ - الكافي / ٢ / ٦٦٨.

والانفاق وما الى ذلك، يستهدف - فيما يستهدف - سد خلّات المعدمين واشباع بطون الجائعين.

والفقه الاسلامي ايضاً قد اتخذ بالنسبة الى المسألة موقفاً حاسماً، حيث اُفتى الفقهاء هكذا: (لو وجد طعام الغير، فان كان صاحبه مضطراً فهو أولى. ولو كان يخاف الاضرار فالمضطر أولى. فان لم يكن له ثمن وجب على المالك بذله. فان منعه، غصبه. فان دفعه جاز قتل المالك في الدفع..)^١.

ولقد انعكس موضوعنا على الأدب الاسلامي الشيعي ايضاً؛ بصورة لائقة، فلقد قال شاعر الهاشميات، الكميّ بن زيد الأسدي (المتوفى ١٢٦هـ) في العينية منها، هذه القولة الرنانة:

فقل لبني امية حيث حلّوا وان خفت المُهند والنطيعا
اجاع الله من اشبعتموه وأشبع من بجوركم أجيعاً

فهو بهذا الاسلوب الجسور المغربي، يطرح مسألة الجوع، ويضع الاصبع على المسؤولين الاصليين في زمانه ويومي الى ان جوع الجائعين تابع لشبع المشبعين والمتخومين. ويوقظ الافكار حتى تكون المسألة عالقة بذاكرة المجتمع لطلب التغيير لها وازاحتها عن حياة المضطهدين.

ويقول ايضاً في القصيدة:

بمرضي السياسة هاشمي يكون حياً لأمته ربيعاً
وليثاً في المشاهد غير صائب لتقويم البرية مستطيعاً
يُقيم أمورها ويذب عنها ويترك جذبها ابداً مريعاً

١ - المبسوط ٦ / ٢٨٦.

٢ - الغدير ٢ / ١٨٠ - ١٨١.

فيرى الحاكم الاسلامي الحق، حياً للامة ومطراً يحيي الارض والناس،
وربيعاً يغدودق امطاره فتوفر الخصب والأرزاق، ومقتدرأ يستطيع تقويم
البرية عامة، واقامة أمورها والذب عنها، ولا يدعها محتاجة جائعة مجدبة،
بل يجعل جذبها مريعاً خصباً ابدأ، حتى لا يبقى اثر من الجوع والحاجة
والإملاق.

ونجد دعبلاً الخزاعي (المتوفى ٢٤٦هـ)، يقول في (التائية):

هُمْ أَهْلُ مِيرَاثِ النَّبِيِّ إِذَا اعْتَرَوْا وَهُمْ خَيْرُ سَادَاتٍ وَخَيْرِ حِمَاةٍ
مَطَاعِيمٌ فِي الْأَعْسَارِ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ لَقَدْ شَرَّفُوا بِالْفَضْلِ وَالْبَرَكَاتِ
وقبلهما نجد الفرزدق^١ يقول في (الميمية الخالدة) (التي مدح بها الامام
زين العابدين علي بن الحسين السجاد عليه السلام إشادة بذكر الحق
وأهله، ودعماً لأسس الفضيلة والعدل، تجاه جبابرة الشام وطواغيت
الأمويين):

حَمَالٌ أَثْقَالِ اقْوَامٍ إِذَا فُدَحُوا حُلُوُ الشَّمَائِلِ تَحَلُّوْا عِنْدَهُ نَعَمُ
عَمَّ الْبَرِيَّةَ بِالْإِحْسَانِ فَانْقَشَعَتْ عَنْهَا الْعِمَايَةُ وَالْإِمْلَاقُ وَالْعَدَمُ
فيرى ان امام المسلمين وزعيمهم، هو الذي يحمل أثقال المفدوحين
ويتحملها، ويمدهم بما يحتاجون اليه لكيلا تجد الحاجة في حياتهم مسلماً؛
ويعم الجماهير بالإحسان لكيلا يبهظهم الاملاق والعدم، ولا تمد إليهم
العماية والضلال اية يد.

١ - الغدير ٢ / ٣٥٧؛ البحار ٤٩ / ٢٤٤ - ٢٥١.

٢ - وهو ابو فراس همام بن غالب بن صعصعة التميمي (المتوفى ١١٠).

ولا يبتعد عن الشاعر القديم، من عاش في هذا القرن الأخير فيقول عبد

المهدي مطر الخفاجي:

ما سره ان يرى الدنيا له وفي البلاد قلوبٌ شفها
ولا تضجّر أكبادُ مفتتةً حتى يذوب عليها قلبه الحذبُ
إن يسقط الدمعُ من عيني أجابها الدمع من عينيهِ
تهفو حشاه لأنّات اليتيم بلا أمّ تناغي، ولا يحنوا عليه أبُ
لا تكتسي وفتاة الحي عاريةً ولا تعبُ ومهزومُ الحشا

ولعل الفقهة الإسلامية المعاصرة ايضاً، تحس مسؤولية عميقة بالنسبة

الى مشكلة الجوع والنضال ضدها لكيلا تتخلف عما قام به الاسلام في

قرآنه وحديثه، وأدبه وفقهه.

تنبيهات هامة

١- إشباع الجائعين، أصل وتعميم (١):

ترشدنا دلائل هامة على حمل الأخبار الواردة بصدد اشباع الجائعين على العموم، وان دُكر في كثير منها المؤمن أو المسلم والمسلمون. واليك الإشارة الى عدة من الدلائل:

- العمومات القرآنية الواردة بصدد العدل والإحسان والقسط والقيام به.

- العمومات الواردة بصدد النهي عن الظلم والاعتداء.

- ما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الحث على الاحسان الى الناس عامة.

- قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (ما من مسلم يغرس غرساً أو

يزرع زرعاً فيأكل منه انسان أو طير أو بهيمة، إلا كانت له به صدقة).^١

- ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في تعميم البر والإحسان.

- كلامه في ان (لكل ذي رمق قوت).^٢

- كلامه في العهد الأشترى في لزوم حب الناس عامة وإشعار القلب

الرحمة لهم؛ وتعليه ذلك بقوله: (اما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق).^٣

١ - المستدرك ٢ / ٥٠١.

٢ - الكافي ٨ / ٢٣.

٣ - نهج البلاغة / ٩٩٣؛ عبده ٣ / ٩٣.

- حديثه بصدد الرجل النصراني وتموينه.^١
- كلام الامام أبي عبد الله الحسين عليه السلام: (تكون الصنعة مثل وابل المطر، تصيب البرّ والفاجر).^٢
- اطلاق الحديث القدسي، المنقول عن الامام الصادق عليه السلام.
- كلام الامام الصادق عليه السلام (الناس سواء كأسنان المشط).^٣
- كلامه في احتياج الناس طرأاً الى الامن والعدل والخصب.^٤
- كلامه في تعميم الاحسان والانصاف.^٥
- حديثه مع المعلى بن خنيس.^٦
- الملاك المذكور في كلام الامام ابي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام: (مه ان الرب - تبارك وتعالى - واحد والاب واحد والامّ واحدة..).^٧

٢- اشباع الجائعين، اصل وتعميم (٢):

لقد ورد في الدعاء: (اللهم! اشبع كلّ جائع). ومن الواضح ان اشباع الجائعين لا يقع من الله بانزال الموائد من السماء، لأن الدار دار الاسباب. فهو يقع بايدي المطعمين، بتوفير الله وبركته في النعم. وعموم (كل

١ - الوسائل ١١ / ٤٩.

٢ - تحف العقول / ١٧٦.

٣ - تحف العقول / ٢٧١.

٤ - ن. م / ٢٣٦.

٥ - ن. م / ٢٣٥.

٦ - الوسائل ٦ / ٢٧٨.

٧ - الكافي ٨ / ٢٣٠.

جائع) واضح. فالغاية التي يستهدفها الاسلام للمجتمع الانساني، هو اشباع كل جائع يعيش في الأرض، بحيث لا يصبح ولا يمسي فيها بطنٌ جائع.

٣ - اشباع الجائعين، صور فاضلة:

قد يكتسب هذا العمل البار فضيلة رابية لجهات توجد هناك كاطعام المؤمن الجائع، أو العالم، أو الطالب، أو المرباط ومن اليهم، ممن ينفعون المجتمع بامكانياتهم الروحية أو المادية، أو يكون اطعامهم وتخليصهم من مخالب الجوع وآلامه وذلك سبباً لتعزيز الحق وأهله - كما سنشير اليه.

٤ - اشباع الجائعين ودوره في تحكيم الصلات الاجتماعية:

ان دعوة الجائعين الى موائد الطعام واجلاسهم على السمط لان يأكلوا ويشبعوا، يستتبع تأكد الصلات بين أفراد المجتمع، وتوفيرهم على اللقاء الأخوي، والاطلاع على أحوال الآخرين، والاقتراب منهم والتأنس بهم، مما تتوشج به الصلات وتتهذب به النفوس، وتتألف به القلوب، وتُقلع عنها جذور التسامي والكبر. ولذلك ورد في التعاليم:

الحديث:

(١) النبي صلى الله عليه وآله وسلم: الطعام اذا جمع اربع خصال فقد تم. اذا كان من حلال؛ وكثرت الأيدي عليه؛ وسُمي الله - تبارك وتعالى - في أوله؛ وحُمد في آخره.^١

١ - سفينة البحار ٢ / ٨٣.

٢ (النبي صلى الله عليه وآله وسلم: كُلُوا جميعاً ولا تفرقوا، فإن البركة مع الجماعة.^١

٣ (النبي صلى الله عليه وآله وسلم - في بيان المقصود من (الكنود) في (سورة العاديات): أتدرون من الكنود؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: الكنود: الذي يأكل وحده، ويمنع رفده، ويضرب عبده.^٢

٤ (الإمام علي عليه السلام: أكثر الطعام بركة، ما كثرت عليه الأيدي.^٣

٥ (الإمام علي عليه السلام: اذا وضع الطعام وجاء السائل، فلا تردوه.^٤

٥ - إشباع الجائعين ودوره في صيانة الكيان السياسي:

من اللاحب ان الكيان السياسي لاي بلد أو مدرسة أو دين أو نظام، لا يتاح بقاءه وصيانتة، إلا اذا كان اصحابه مستولين على الأمر بشكل معترف به، قادرين على ادارة الناس بصورة صالحة؛ وذلك لا يمكن إلا اذا كان الناس كلهم ملتفين حول القاعدة الرئيسية لذلك الكيان، غير محرومين من حقوقهم غير محتاجين الى اللجوء الى غيرها في امورهم وحياتهم.

ففي هذا الضوء، ان حضور الجوع في افراد، هو الذي يشنت الناس ويغرس في نفوسهم روح اليأس، ويلجئ الجائعين الى الالتحاق الى هنا وهناك سداً لحاجة ضرورية كالجوع. وكفى بذلك زعزعة لتلك القاعدة الرئيسية وسقوطاً للجائعين.

١ - ن. م.

٢ - مجمع البيان ١٠ / ٥٣٠.

٣ - سفينة البحار ١ / ٢٥.

٤ - ن. م.

وهنا تعليم عظيم هام ورد عن الامام الصادق عليه السلام، نضعه تجاه
باصرة القارئ:

الحديث:

(١) الامام الصادق عليه السلام: لِأَطْعَامٍ مُؤْمِنٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ عَتَقِ عَشْرٍ
رِقَابٍ وَعَشْرٍ حَجَجَ. قال (نصر بن قابوس، راوي الحديث): قلت: عشر
رِقَابٍ وَعَشْرٍ حَجَجَ؟ قال: فقال: يا نصر! ان لم تطعموه مات، او تدلوه
فيجي الى ناصب فيسأله. والموت خير له من مسألة ناصب. يا نصر! من
أحيا مؤمناً فكأنما أحيا الناس جميعاً..^١

٦ - إشباع الجانعين، الواجب الكبير..:

تتجلى من التعاليم الاسلامية المذكورة بعضها، ان ايصال الغذاء الى
الشعوب التي يسحقها الجوع يُصبح من أهم التكاليف التي تقع على عاتق
المسلمين. وذلك لان عادية الجوع ربما تجتر تلك الشعوب الى الركون الى
ارضاخ المعسكرين الغاشمين، الغربي والشرقي.
وذلك الركون يؤدي بالمسلمة منها الى الوهن في المعتقد والعمل، وبغير
المسلمة الى الاقتراب الساحق منهما - كما هو واضح. فالمسلمون
وعلمائهم واغنياؤهم يجب ان لا يكونوا غافلين أو متغافلين عن هذا
الواجب العظيم.

٧ - إشباع الجائعين ودوره في بناء الانسان الخلقى:

لا يستريب أي عاقل في ان اهتمام الانسان بامور الآخرين وعدم صبره على معاناتهم الأذى والحاجة ولا سيما الجوع، يحكي عن انسانية قوية وحس مرهف والتزام ديني. واذا اردف الانسان ذلك الحس الانساني والالتزام الديني بالاقدام والعمل على سد حاجة المحتاج وجوعة الجائع فقد أعان على:

- تشحيذ ملكات نفسه الانسانية؛

- بلورة اخلاقه الفاضلة؛

- تحكيم معتقده التوحيدي؛ حيث لا يخاف الاقلال حينما يأكل الآخرون طعامه - اتكالا على الله رازق الكل ورب العالمين؛

- اسداء خدمة اقتصادية و.. الى المجتمع فيما امكنه من اشباع جائع أو جائعين؛

- صيانة الجياع المطعمين عن السقوط والتميع.

ولذلك فقد حثت التعاليم على الأكل مع الجائعين وعلى ان لا يأكل الانسان وحده، بل يؤاكل السائرين:

الحديث:

(١) الامام علي عليه السلام - من وصاياه لكميل بن زياد النخعي: يا كميل!.. أكل الطعام ولا تبخل عليه، فانك لن ترزق الناس شيئا، والله يجزل لك الثواب بذلك.^١

١ - تحف العقول / ١١٩.

٨ - إشباع الجائعين ودوره في الكيان الديني:

لقد اوردنا عن النبي الهادي صلى الله عليه وآله وسلم قوله: (.. فلولوا الخبز ما صلينا ولا صمنا ولا أدينا فرائض ربنا) ^١. وقوله: (.. ان الخبز مبارك، ارسل الله عز وجل له السماء مدراراً، وله انبت الله المرعى، وبه صليتم، وبه صمتم، وبه حججتم بيت ربكم) ^٢. وكل ذلك يدل - سوى العقل والتجربة الموضوعية - على ان اقامة عمود الدين - الصلاة - وباقي الفرائض والشرائع، انما تتوقف على عدم الجوع باصابة المادة الغذائية. فلا كيان للدين في الجائعين، كما انه لا كيان له في المتخومين والشباع الذين يبيت حولهم وفي جوارهم - بل وفي مصرهم - جياع.

٩ - اشباع الجائعين واطعام الآخرين، مكارم وأداب:

هناك آدابٌ كريمة يجب ان يراعيها كل من يروم ان ينفق على الجائعين ويُطعم الآخرين:

الحديث:

١) الامام علي عليه السلام: احسنِ عليه خُلقك، وابسط جليسك، ولا تتهم خادمك. ^٣

١ - الكافي ٥ / ٧٣ و ٦ / ٢٨٧.

٢ - الكافي ٦ / ٣٠٣.

٣ - تحف العقول / ١١٩؛ و ١٧٢، من طبعة الغفاري. وفي بعض النسخ (ولا يه)

٢) الامام علي عليه السلام: يا كميل! اذا أكلت فطوّل أكلك، ليستوفي من معك، ويُرزق منه غيرك.^١

٣) الامام علي عليه السلام: يا كميل! إذا استوفيت طعامك، فاحمد الله على ما رزقك وارفع بذلك صوتك يحمده سواك فيعظم اجرک، يا كميل! لا توقرنّ معدتك طعاماً، ودع فيها للماء موضعاً وللريح مجالاً. ولا ترفع يدك عن الطعام إلا وأنت تشتهيهِ؛ فان فعلت ذلك فأنت تستمرئه، فان صحة الجسم من قلة الطعام وقلة الماء.^٢

١٠- إشباع الجائعين، تجسيداً مستوعب:

من اللازم ان نلفت الانظار في ختام هذه التنبيهات الى امر هام - ديني وأخلاقي واجتماعي وتربوي واقتصادي - وهو ان اطعام الجائعين لا يُراد به الى الغاية ان يكون باشكالٍ فردية أو مرحلية محدودة، كاطعام هذا الجائع أو ذاك، أو في هذا اليوم أو ذاك، أو الاكتفاء باعطائه خبزه اليومي، وما الى ذلك.. بل يجب ان يوجدوا لذلك المقصد المجتمعي الكبير، موارد رئيسية ومستوعبة وبرامج تجسدية ذات مواد مختلفة وشاملة، ومواكبة للموازن الاقتصادية العامة، حتى تُزاح ظاهرة (الجوع) من عرصات الحياة.

^١ تنهرن خادمک - وهو الانسب.

١ - تحف العقول / ١٢٠؛ و ١٧٢، من طبعة الغفاري.

٢ - ن. م.

الفصل الثالث

العدل

الكتاب

(١) ﴿ان الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون﴾^١.

(١) ﴿فلذلك فادعُ واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم، وقل: آمنتُ بما أنزل الله من كتاب، وأمرتُ لأعدل بينكم، الله ربنا وربكم، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم، لا حجةَ بيننا وبينكم، الله يجمع بيننا واليه المصير﴾^٢.

(٢) ﴿يا أيها الذين آمنوا، كونوا قوامين لله شهداء بالقسط، ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا، اعدلوا هو أقربُ للتقوى، واتقوا الله إنَّ الله خبيرٌ بما تعملون﴾^٣.

(٤) ﴿إن الله يأمرُكم ان تؤدوا الأمانات الى أهلها، واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل، إنَّ الله نِعَمًا يَعْظُمُ به، إن الله كان سميعاً بصيراً﴾^٤.

(٥) ﴿يا أيها الذين آمنوا، كونوا قوامين بالقسط شهداء لله، ولو على

١ - سورة النحل (١٦): ٩٠.

٢ - سورة الشورى (٤٢): ١٥.

٣ - سورة المائدة (٥): ٨.

٤ - سورة النساء (٤): ٥٨.

أَنْفُسَكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ، إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا، فَلَا تَتَّبِعُوا
الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا، وَإِنْ تَلَوْا أَوْ تَعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا^١.

(٦) .. وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ...^٢.

(٧) .. وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ...^٣.

(٨) .. فَلْيَمِلْ وَلِيَّهُ بِالْعَدْلِ...^٤.

(٩) .. وَإِنْ خِفْتُمْ أَنْ لَا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً...^٥.

(١٠) .. فَإِنْ فَاءَتْ فَاصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ...^٦.

الحديث:

□ عدل ساعة خير من عبادة سبعين سنة.

(١) النبي صلى الله عليه وآله وسلم: عدل ساعة خير من عبادة سبعين
سنة، قيام ليلها وصيام نهارها.^٧

□ العدل الاقتراب من الله تعالى والرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

(٢) النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أحب الناس يوم القيامة وأقربهم الى

١ - سورة النساء (٤): ١٣٥.

٢ - سورة الأنعام (٦): ١٥٢.

٣ - سورة البقرة (٢): ٢٨٢.

٤ - نفس المصدر السابق.

٥ - سورة النساء (٤): ٣.

٦ - سورة الحجرات (٤٩): ٩.

٧ - البحار ٧٥ / ٣٥٢، عن (جامع الأخبار).

الله مجلساً، امامٌ عادل. وان أبغض الناس الى الله وأشدّهم عذاباً، امام جائر.^١

(٣) النبي صلى الله عليه وآله وسلم... من أخذ للمظلوم من الظالم، كان معي في الجنة مصاحباً.^٢

□ العدل إحرار الدين

(٤) الإمام علي عليه السلام... احرز دينك وامانتك، بانصافك من نفسك، والعمل بالعدل في رعيتك.^٣

□ العدل أحد شرائع الدين الثلاثة.

(٥) الإمام السجاد عليه السلام - ابو مالك قال: قلتُ لعلي بن الحسين عليه السلام: أخبرني بجميع شرائع الدين: قال: قول الحق، والحكم بالعدل، والوفاء بالعهد.^٤
هذه جميع شرائع الدين.^٥

□ العدل منطق القرآن:

(٦) الإمام علي عليه السلام: هو (القرآن) الناطق بسنة العدل.^١

١ - البحار ٧٥ / ٣٥١.

٢ - البحار ٧٥ / ٣٥٩.

٣ - غرر الحكم / ١٨٠.

٤ - الخصال / ١١٣.

٥ - تفسير نور الثقلين ٣ / ٧٩.

(٧) الإمام علي عليه السلام: (القرآن) رياضُ العدلِ وغدْرانهُ.^٢

□ العدل حياة

(٨) الامام علي عليه السلام: العدل حياة.^٣

(٩) الإمام الصادق عليه السلام - عن محمد الحلبي، انه سأل أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿اعلموا أن الله يُحيي الأرض بعد موتها﴾ قال: العدل بعد الجور.^٤

إلفات نظر

هذا تعليم عظيم وتأشير صامد، حيث يُفسر حياة الارض بعد موتها بتجسيد العدل فيها بعد الجور. فعلى هذا الأساس القويم، ان العدل حياة، وان الحياة في العدل^٥. وان الجور والظلم موت يفرضه الجائرون على الناس. وهل يجد الدين وأحكامه سبيلاً الى التجسيد في مجتمعٍ ميّت لا يحيا بحياة العدل الاجتماعي والاقتصادي والقضائي^٦، وان سادته الوعظ الديني والشعار؟

١ - غرر الحكم / ٣٣٠.

٢ - نهج البلاغة / ٦٤١؛ عبده ٢/٢٠٣.

٣ - غرر الحكم / ١٥.

٤ - الكافي ٨ / ٢٤٧.

٥ - ويأتي كلام أمير المؤمنين عليه السلام في الفصل التالي: (العدل حياة الأحكام)

فلا حياة حقيقية للدين وأحكامه في المجتمع إلّا عند إقامة العدل

٦ - ن. م

وواقع الجور هو ترك القسط والتوازن بالخروج عن الحد الوسط القوامي، يعني القصد، كما جاء في القرآن الكريم: ﴿وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر﴾^١، وكما قال الامام علي بن أبي طالب عليه السلام: (من ترك القصد جار)^٢.

ولا يخفى على الباحث، ان عنوان (الجائر) لا يخص الطاغوت السياسي فقط، بل يعمّ الطاغوتين: السياسي والاقتصادي معاً، وإن وطأة طواغيت المال والاقتصاد تكون أشد على الناس، في كثير من الأحيان؛ ولذلك - يقول النبي الأعظم بهذه الصراحة: (شرّ أمتي الأغنياء).

□ العدل دوام القوّة.

(١٠) الإمام علي عليه السلام: اعدل! تدّم لك القدرة.^٣

(١١) الإمام علي عليه السلام: اعدل تحكم.^٤

(١٢) الإمام علي عليه السلام: دولة العادل من الواجبات.^٥

□ العدل نظام الحكم.

(١٣) الإمام علي عليه السلام: العدل نظام الامرة.^٦

١ - سورة النحل (١٦): ٩.

٢ - نهج البلاغة / ٩٣٥؛ عبده ٦٢/٣.

٣ - غرر الحكم / ٦٠ و ٦١.

٤ - ن. م.

٥ - غرر الحكم / ١٧٧

٦ - غرر الحكم / ٢٠.

١٤) الإمام علي عليه السلام: من عدل نفذ حكمه^١.

١٥) الإمام علي عليه السلام: ليكن مركبك العدل، فمن ركبه ملك^٢.

□ العدل ملاك السياسة.

١٦) الإمام علي عليه السلام: ملاك السياسة العدل^٣.

□ العدل قرّة عين الحكومات.

١٧) الإمام علي عليه السلام: إن أفضل قرّة عين الولاة، استقامة العدل في البلاد، وظهور مودة الرعية^٤.

□ العدل جمال الساسة والسياسة.

١٨) الإمام علي عليه السلام: العدل.. جمال الولاة^٥.

١٩) الإمام علي عليه السلام: جمال السياسة العدل في الإمرة^٦.

□ العدل تحصين الحكم وثبات الدولة.

٢٠) الإمام علي عليه السلام: من عمل بالعدل، حصّن الله ملكه. من

عمل بالجور، عجلّ الله هلكه^٧.

١ - غرر الحكم / ٢٦٧.

٢ - غرر الحكم / ٢٥٤.

٣ - غرر الحكم / ٣١٥.

٤ - نهج البلاغة / ١٠٠٦؛ عبده ١٠٢/٣.

٥ - غرر الحكم / ٥٠.

٦ - غرر الحكم / ١٦٥.

٧ - غرر الحكم / ٢٨٦.

(٢١) الإمام علي عليه السلام: ما حُصن الدول بمثل العدل^١.

(٢٢) الإمام علي عليه السلام: العدل جُنة الدول^٢.

(٢٣) الإمام علي عليه السلام: ثبات الدول باقامة سنن العدل^٣.

(٢٤) الإمام علي عليه السلام: في العدل الاقتداء بسنة الله وثبات الدول.

□ العدل النصر الحاضر.

(٢٥) النبي صلى الله عليه وآله وسلم: من عم عدله، نُصر على عدوه^٤.

(٢٦) الإمام علي عليه السلام: اذا بُني الملك على قواعد العدل، ودُعِم

بدعائم العقل، نصر الله مواليه، وخذل مُعاده^٥.

(٢٧) الامام علي عليه السلام: بالسيرة العادلة يُقهر المناوئ^٦.

□ العدل سيف.

(٢٨) الامام علي عليه السلام: اجعل الدين كهفك، والعدل سيفك، تنج

من كل سوء، وتظهر على كل عدو^٧.

١ - غرر الحكم / ٣٠٩.

٢ - غرر الحكم / ٤٧.

٣ - غرر الحكم ٢٢٦.

٤ - البحار ٧٥ / ٣٥٩.

٥ - غرر الحكم / ١٤٢، ١٤٦.

٦ - ن. م.

٧ - غرر الحكم / ٦٧.

□ العدل عز واعتلاء.

(٢٩) الإمام علي عليه السلام: من عدل في سلطانه، وبذل إحسانه، أعلى الله شأنه، وأعزّ أعوانه^١.

□ العدل عظمة واستغناء.

(٣٠) الإمام علي عليه السلام: من عدل عظم قدره^٢.
(٣١) الإمام علي عليه السلام: من عدل في سلطانه، استغنى عن أعوانه^٣.

□ العدل قوام العالم.

(٣٢) الإمام علي عليه السلام: العدل أساس به قوام العالم^٤.

□ العدل أقوى أساس

(٣٢) الإمام علي عليه السلام: العدل أقوى أساس^٥.

□ العدل من علامات العقل

(٣٤) الإمام علي عليه السلام: من علامات العقل، العمل بسنة العدل^١.

١ - غرر الحكم / ٢٩٢.

٢ - غرر الحكم / ٢٦٨.

٣ - غرر الحكم / ٢٨٤.

٤ - البحار ٨٣/٧٨، عن (مطالب السؤل).

٥ - غرر الحكم / ٢١.

□ العدل أسنى المواهب.

(٣٥) الإمام علي عليه السلام: أسنى المواهب العدل^١.

(٣٦) الإمام علي عليه السلام: العدل أفضل سجيّة^٢.

□ العدل مضاعفة البركات.

(٣٧) الإمام علي عليه السلام: بالعدل تتضاعف البركات^٣.

□ العدل نشر الرحمة.

(٣٨) الإمام علي عليه السلام: من عدل في البلاد، نشر الله عليه الرحمة^٤.

□ العدل راحة.

(٣٩) الإمام علي عليه السلام: العدل يريح العامل به من تقليد المظالم^٥.

□ العدل أحلى من العسل.

(٤٠) الإمام الصادق عليه السلام: العدل أحلى من الشهد، وألين من

الزبد، وأطيب ريحاً من المسك^٦.

١ - غرر الحكم / ٨٧.

٢ - غرر الحكم / ٢٣.

٣ - غرر الحكم ١٤٦.

٤ - غرر الحكم: ٢٨٣.

٥ - غرر الحكم / ٣٣.

٦ - الكافي ٢ / ١٤٧.

(٤١) الإمام الكاظم عليه السلام: إن العدل أحلى من العسل^١.

* أن العدل في ذائقة الانسان الباطنة أحلى من العسل وللامسته الاجتماعية ألين من الزبد، ولشامته الانسانية السائلة أطيب ريحاً من المسك - كما جاء في الحديث.

نعم، ان العيش في الوسط الذي ينتشر في أجوائه عطر العدل أحلى من العسل، وفي البيئة المسمومة بسموم الظلم أمرّ من العلقم. وبما أن الانسان لا يرى الظلم ولا يحس به فقط، بل يلمسه ويذوقه، فان الاستار تكشف عنه عند وقوع عدل أو ظلم، فيلمس واقعهما ويذوقهما بذائقة الفطرية، فيلمس العدل ويذوق حلاوته، ويلمس الظلم ويذوق مرارته.

ان الانسان اذا رأى الكوخ في جانب القصر، يحسّ بهذه المارّة، كما يحسّ بحلاوة المساواة والأخوة كلما وجدتهما ولذلك يسعى ويجد ويجاهد للوصول الى العدالة الواقعية واستئصال شأفة الظلم. في هذا الضوء، لا يحصل رضا الناس الواقعي إلا اذا طبّق العدل في المجتمع، وذاقوا حلاوته، وأزاحت عن ذائقتهم مرارة الظلم.

والذي يروي غليل طلاب العدالة في طلبها هو الاسلام. اذ العدالة جزء من جوهر هذا الدين وماهيته (وأمرت لأعدل بينكم)^٢. وان العدل هو السائق الرئيسي للناس الى الدين والمعنوية، ولا سيما الناشئة الذين لم يذوقوا حلاوة معنوية الإسلام. فحلاوة العدل وجمال القسط هما اللذان

١ - الكافي ١ / ٥٤٢.

٢ - سورة الشورى (٤٢): ١٥.

يسوقان الناشئة الى الإسلام ويُمهدان الأرضية فيهم للاتجاه التوحيدي وقبول المبدأ والمعاد، ويدفعانهم الى القيام بالصلاة والصوم والحج والجهاد. وذلك لأن (العدل رأس الإيمان)^١ و(حياة الأحكام)^٢.

واذا لم يعمل رجال الدين الإسلامي وعلماءه على تجسيد العدل ولم يتوفروا عليه فيه في المجتمع، ينجح الناس ولا سيما الناشئة لإرواء غليلهم في طلب العدل وشجب الظلم، الى سائر المدارس والاتجاهات الإلحادية، كما شاهدناه في النصف الأخير من القرن السابق.

ان العدل جميل وحلو وهنيء، وهو الذي يزيّن الحياة الإسلامية (العدل زينة الايمان)، وهو الذي يُضفي على الحكم الإسلامي حلة الجمال والرواء القشبية (العدل جمال الولاة)^٣، والظلم يخالفه في كل ذلك. فهو يُشوه صورة الإسلام وسمعته، ويوجب اعراض الأشخاص عنه الى سائر المدارس الضالة والمضلة.

□ العدل أحلى من الماء للظمآن.

٤٢) الإمام الصادق عليه السلام: العدل أحلى من الماء يُصيبه الظمآن.^٤
* ان الإنسان يعطش للعدالة فطرةً، وان هذا العطش ينبعث من أعماق وجوده. وهذا الواقع هو الذي بينه الامام الصادق عليه السلام في

١ - غرر الحكم / ٣٩ و ٣٠.

٢ - البحار ٧٨ / ٨٠، من حديث الإمام علي عليه السلام.

٣ - غرر الحكم / ٥٠.

٤ - الكافي ٢ / ١٤٦.

كلامه. ولقد قام الانسان عبر تاريخه بالمجاهدات والفداء لإرواء هذا العطش الكبير.

□ العدل في القول.

(٤٣) الإمام علي عليه السلام - فيما وصف به النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم... ذا منطقي عدل.^١

(٤٤) الإمام الصادق عليه السلام: ان للمؤمن على المؤمن سبعة حقوق، فأوجبها ان يقول الرجل حقاً ولو كان على نفسه، أو على والديه، فلا يميل لهم عن الحق. ثم قال: (فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا، وان تلووا أو تُعرضوا)، يعني: عن الحق.^٢

* قال الشيخ الطبرسي: (واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى، أي فقولوا الحق وان كان على ذي قرابة لكم، وانما خص القول بالعدل دون الفعل، لأن من جعل عادته العدل في القول دعاه ذلك الى العدل في الفعل، ويكون ذلك من أكد الدواعي اليه).^٣

□ العدل في التبادل.

(٤٥) الإمام علي عليه السلام... وليكن البيع بيعاً سمحاً بموازين عدل، وأسعار لا تُجحف بالفريقين.^٤

١ - نهج البلاغة / ١٦٨؛ عبده ١ / ١١٩.

٢ - تفسير البرهان ١ / ٤٢١.

٣ - مجمع البيان ٤ / ٣٨٤.

٤ - نهج البلاغة / ١٠١٨؛ عبده ٣٥ / ١١٠.

□ العدل في كل الأحوال

(٤٦) النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أوصاني ربي بتسع.. والعدل في الرضا والغضب.^١

□ العدل النفسي والشخصي.

(٤٧) الإمام علي عليه السلام: الانصاف من النفس كالعدل في الإمرة.^٢
(٤٨) الإمام علي عليه السلام: كيف يعدل في غيره، من ظلم نفسه.^٣
(٤٩) الإمام علي عليه السلام: في وصف عباد الله المحبوبين عنده تعالى: قد الزم نفسه العدل، فكان أول عدله نفي الهوى عن نفسه.^٤

□ السعة في العدل.

(٥٠) الإمام علي عليه السلام - فيما رده على المسلمين من قطائع عثمان: والله لو وجدته قد تزوج به النساء، وملك به الإماء لرددته، فإن في العدل سعة؛ ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق.^٥

□ عافية الجماهير بالعدل.

(٥١) الإمام علي عليه السلام:.. وألبستكم العافية من عدلي..^٦

١ - تحف العقول / ٣١.

٢ - غرر الحكم / ٥٠.

٣ - غرر الحكم / ٢٤١.

٤ - نهج البلاغة / ٢١١؛ عبده ١/ ١٥١.

٥ - نهج البلاغة / ٦٦؛ عبده ١/ ٤٢.

٦ - نهج البلاغة / ٢١٥؛ عبده ١/ ١٥٣.

□ الاجهار بالعدل أفضل الأعمال.

(٥٢) الإمام علي عليه السلام: ... وما أعمال البر كلها، والجهاد في سبيل الله، عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلا كنفتة في بحر لجي؛ وإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا يُقربان من أجل، ولا ينقصان من رزق؛ وأفضل من ذلك كله كلمة عدل عند امام جائر.^١

□ القيام بالسيف لإقامة العدل.

(٥٣) الإمام علي عليه السلام: أيها المؤمنون! إنه من رأى عدواناً يعمل به، ومنكراً يُدعى إليه، فأنكره بقلبه فقد سلم وبرئ؛ ومن أنكره بلسانه فقد أوجر - وهو أفضل من صاحبه - ومن أنكره بالسيف لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الظالمين هي السفلى، فذلك الذي أصاب سبيل الهدى، وقام على الطريق ونور في قلبه اليقين.^٢

□ لا يُمَيِّز الحكم في تجسيد العدل بين أحد واحد.

(٥٤) الامام علي عليه السلام - فيما كتبه الى الأسود بن قُطَبة، صاحب جند حلوان: اما بعد، فان الوالي إذا اختلف هواه، منعه ذلك كثيراً من العدل؛ فليكن أمرُ الناس عندك في الحق سواء، فإنه ليس في الجور عوض من العدل..^٣

١ - نهج البلاغة / ١٢٦٣؛ عبده ٢٤٤/٣.

٢ - نهج البلاغة / ١٢٦٢؛ عبده ٢٤٣/٣.

٣ - نهج البلاغة / ١٠٤٣؛ عبده ١٢٧/٣.

□ استفاضة العدل وتبجح الحكم بها.

(٥٥) الإمام علي عليه السلام: ولا يثقلنَّ عليك شيء خففت به المؤونة عنهم، فإنه زخر يعودون به عليك في عمارة بلادك، وتزيين ولايتك مع استجلابك حسن ثنائهم، وتبجحك باستفاضة العدل فيهم..^١

□ لا ثقة للحكم من الناس إلا بالعدل وتعويد الجماهير عليه.

(٥٦) الإمام علي عليه السلام: ...مُعْتَمِداً فضل قوتهم بما زخرت عندهم من إجمامك لهم، والثقة منهم بما عودتهم من عدلك عليهم، ورفقك بهم..^٢

□ العدل على الحيوان.

(٥٧) الإمام علي عليه السلام: ... فإذا أخذها أمينك، فأوعز اليه ان: لا يحول بين ناقة وبين فصيلها، ولا يُمَصَّر لبنها فيضر ذلك بولدها، ولا يجهدنها ركوباً، وليعدل بين صواحباتها في ذلك وبينها؛ وليرفه على اللاغب، وليستأن بالنقب والظالع، وليوردها ما تمر به من الغدر، ولا يعدل بها عن نبت الأرض الى جواد الطرق، وليُروحها في الساعات، وليمهلها عند النطاف والأعشاب..^٣

□ العدل العام.

(٥٨) الإمام علي عليه السلام - في العهد الأشجري: ... وليكن أحب الأمور

١ - نهج البلاغة / ١٠١٣ - ١٠١٤؛ عبده ١٠٧/٣.

٢ - ن. م.

٣ - نهج البلاغة / ٨١١؛ عبده ٢ / ٢٩

اليك أوسطها في الحق وأعمها في العدل.^١

□ العدل سيرة معلومة فلا تغطيتها فيه ولا دجل.

٥٩) الإمام علي عليه السلام - من كلام قاله لما وقعت مظالم وعدوانات على الناس، فاستفسروه بينهم وبين الحكم لدفع تلك المظالم والعدوانات ودفعها:..وأن الطرق لواضحة، وإن أعلام الدين لقائمة؛ فاعلم أن أفضل عباد الله عند الله، إمام عادل هُدي وهُدَى، فأقام سنة معلومة وأمات بدعة مجهولة، وإن السنن لنيرة لها أعلام، وإن البدع لظاهرة لها أعلام، وإن شر الناس عند الله، إمام جائر ضل وضلُّ به، فأمات سنة مأخوذة وأحيا بدعة متروكة؛ وإني سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (يؤتي يوم القيامة بالإمام الجائر وليس معه نصير ولا عاذر، فيُلقي في نار جهنم فيدور فيها كما تدور الرحي ثم يرتبط في قعرها).^٢

□ لزوم الإصغار بالعذر أمام الجماهير إذا ظننت بالحكم حيافاً.

٦٠) الإمام علي عليه السلام - في العهد الأشترى:.. وإن ظننت الرعية بك حيافاً فأصحر لهم بعذرِكَ، وأعدل عنك ظنونهم بإصهارِكَ؛ فإن في ذلك رياضة منك لنفسك، ورفقاً برعيتك، وإعذاراً تبلغ به حاجتك من تقويمهم على الحق.^٣

١ - نهج البلاغة / ٩٩٦؛ عبده ٩٥/٣.

٢ - نهج البلاغة / ٥٢٥ - ٥٢٦؛ عبده ٨٥ / ٢.

٣ - نهج البلاغة / ١٠٢٦؛ عبده ١١٦/٣ - ١١٧.

تنبيه هام بئاء.

تعريف (المجتمع الإسلامي)

المجتمع الإسلامي (مجتمع قائم على العدل)، وبعبارة أخرى: (مجتمع دون الفقر)، يعني ان المجتمع الذي أراد الإسلام إقامته، مجتمع يسوده العدل بجميع مناحيه وكافة مستوياته، فلا يُعترف للفقر فيه كمبدأ. وهذا الموضوع لا يتطلب مزيداً من البحث والتدليل، حيث يُستدل عليه ببساطة دون عناء:

ورد في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ ومن المعلوم ان (مادة الأمر) تدل على (الوجوب) أيضاً، فمعنى الآية: ان الله يوجب عليكم تجسيد العدل بين الناس. والمعصوم عليه السلام يقول: (لو عُدل في الناس لاستغنوا) فمعنى العدل في قاموس الإسلام هو عدم الفقر وغيابه عن المجتمع البشري. فالمجتمع الذي يأمر الكتاب السماوي بإقامته ويرضاه الله تعالى والرسول صلى الله عليه وآله وسلم للمسلمين، هو مجتمع قائم على العدل بعيد عن الفقر. وهذا هو المجتمع الذي يجب على كل مسلم (فضلاً عن العلماء والحكام)، ان يسعى لبنائه ويجد تجسيده.

ومن دعائم تجسيد العدل في المجتمع حرية الكلام كلما ظنوا بالحكم حيفاً، وأن الحكم موظف بإصهاره للجماهير بالعدل، حتى لا تُخنق أصوات دعاة الحق وطلاب العدل.

ومنها صبّ النقود اللاذعة على الجهات المسؤولة وتقريعهم على رؤوس الأشهاد، كلما حادوا عن تجسيد العدل أو وهنوا فيه - كما نجده في

كتابات أمير المؤمنين عليه السلام الى عماله، يعني المسؤولين في الحكم الإسلامي.

ومن هذا المنطلق، يجب توعية الجماهير إزاء العدل وإقامته، وإرشادهم الى وروده في صلب الإسلام - كتاباً وسنةً وسيرةً.

وان تشمل هذه التوعية جميع صفوف الابتدائية وكافة أوساط التربية والتعليم ومراكز الإعلام، خصوصاً الخطباء وأصحاب المنابر.

وان يسعى الفقهاء والباحثون والكتاب والمؤلفون والشعراء والفنانون والأساتذة والمعلمون لبث هذه الحقائق الإسلامية وترسيخها في الأفكار، حتى تُصبح نواة فكر عامة الجماهير - المسلمة وغير المسلمة - وقولاً يجري دوماً على ألسنتهم. وان تظل هذه الثقافة خالدة في كافة مناحي المجتمع الإسلامي، لدرجة يبدو (العدل) سمة بارزة تدل على إسلامية المجتمع كـ(الصلاة) فكما ان المجتمع الذي لا يقيم الصلاة لا يعتبر مجتمعاً إسلامياً، فكذلك الأمر بالنسبة لمجتمع لا يسوده العدل.

قياسات:

١- لعل ما جاء في كلام المعصومين، الإمام أبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام، والإمام أبي ابراهيم موسى الكاظم عليه السلام، من قولهما: (لو عدل في الناس لاستغنوا) أو (يستغنوا)، ليس إلا إرشاداً الى حكم عقلي يعرفه العقل الفطري السليم الوهاج؛ إذ العقل - بالمواصفة المذكورة - لا يعترف بوجود العدل في الوسط الذي يعيش فيه محرومون ومضطهدون مغلوبون على معيشتهم، ومشردون من عرصات الحياة بمالها من

المستلزمات الضرورية بل الرفاهية، إن كانت حاصلة للآخرين. ولا يُغني في ذلك اسم الإسلام ولا رسم الصلاة.

٢- ان حديث (الاستغناء) نص في القضايا الاقتصادية، ونحن ندرس الموضوعات الاقتصادية في هذين البابين (الحادي عشر والثاني عشر)؛ غير ان عديداً من الأحاديث الواردة بصدد العدل بشكلٍ مطلق انما يهدف الى جميع صور العدل، من الاقتصادي والقضائي و..

٣- لقد روى الحافظ رضي الدين رجب البُرسِي، في كتاب (مشارق الأنوار): (ان فقيراً سأل الإمام الصادق عليه السلام، فقال لعبده: ما عندك؟ قال: أربعمئة درهم. قال: إعطه إياها، فأعطاه، فأخذها وولى شاكراً. فقال لعبده: أرجعه! فقال (الفقير): يا سيدي، سألتُ فأعطيت، فماذا بعد العطاء؟ فقال له: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: خير الصدقة ما أبقت غنىً. وإنّا لم نُغنك. فخذ هذا الخاتم، فقد أعطيت فيه عشرة آلاف درهم، فإذا احتجت فبعه بهذه القيمة)^١.

فانظر الى هذا الحنان الإنساني العظيم، وهذه النظرة المتعالية الى كرامة الإنسان وتشخيصه. نعم إن الإسلام لا يرضى بقاء الفقر لأحد، حتى إن معلمه الأول صلى الله عليه وآله وسلم يرى ان خير الصدقات لا تكون إلا ما أبقت غنىً للمُعطى. هذا هو الإسلام الإنساني الناهض الخالد، فليفهم حق الفهم، وليبتعد عنه ضيق الأفق واعوجاج الدرك وأغشية الرجعية والتخلف.

١ - مشارق الأنوار / ١١٣؛ البحار ٤٧ / ٦١.

ولعل الإمام الصادق عليه السلام كان يشتري الخاتم المذكور، إيدخاراً
لهؤلاء الأشخاص وهذه الأحوال، ليستدر البركات.

□ العزة بطاعة الله.

(٦١) الإمام الكاظم عليه السلام: طاعةُ ولاية العدل، تمام العزّ^١.

□ لا عوض من العدل.

(٦٢) الإمام علي عليه السلام:.. فليكن أمر الناس عندك في الحق سواء،
فانه ليس الجور عوضاً من العدل^٢.

□ المساواة في تجسيد العدل.

(٦٣) الإمام علي عليه السلام: إعدل في العدو والصديق^٣.

(٦٤) الإمام الصادق عليه السلام: قال امير المؤمنين لعمر بن الخطاب:
ثلاث ان حفظتهن وعملت بهن كفتك ما سواهن، وان تركتهن لم ينفعك
شيء سواهن. قال: وما هن يا أبا الحسن؟ قال: إقامة الحدود على القريب
والبعيد، والحكم بكتاب الله في الرضا والسخط، والقسم بالعدل بين الأحمر
والأسود. فقال عمر: لعمرى لقد أوجزت وأبلغت^٤.

١ - تحف العقول / ٢٨٧.

٢ - نهج البلاغة / ١٠٤٣؛ عبده ٣ / ١٢٧.

٣ - غرر الحكم / ٦٥، راجع ايضاً: تحف العقول / ٦٤.

٤ - الوسائل ١٨ / ١٦٥.

□ لزوم الإجهار بالعدل.

(٦٥) الإمام علي عليه السلام: من استثقل الحق ان يُقال له، أو العدل أن يُعرض عليه، كان العمل بهما أثقل عليه، فلا تكفوا عن مقالة بحق أو مشورة بعدل.^١

□ محو سنن العدل ظلم كبير.

(٦٦) الإمام علي عليه السلام: أظلم الناس من سنّ سنن الجور، ومحا سنن العدل.^٢

□ اعدلوا ثم اهتفوا بالعدل.

(٦٧) الامام الصادق عليه السلام: اتقوا الله واعدلوا، فانكم تعيرون على قوم لا يعدلون.^٣

□ الحكم العادل هو الحكم المشروع فقط.

(٦٨) الامام الصادق عليه السلام:.. فوجه الحلال من الولاية ولاية الوالي العدل، الذي امر الله بمعرفته وولايته والعمل له في ولايته. فاذا صار الوالي والي عدل بهذه الجهة (أي جهة الولاية التي أمر الله باتباعها)، فالولاية له والعمل معه ومعونته في ولايته وتقويته حلال محلل، وحلال الكسب معهم. وذلك لان في ولاية والي العدل وولادته، احياء كل حق وكل

١ - نهج البلاغة / ٦٨٧؛ عبده ٢ / ٢٢٧.

٢ - غرر الحكم / ٩٩.

٣ - الكافي ٢ / ١٤٧.

عدل، وامانة كل ظلم وجور وفساد. فلذلك كان الساعي في تقوية سلطانه والمعين له على ولايته، ساعياً الى طاعة الله مقوياً لدينه.^١

□ لا عدل بدون استغناء الناس.

(٦٩) الامام الصادق عليه السلام: ان الناس يستغنون اذا عدل بينهم..^٢
(٧٠) الامام الكاظم عليه السلام: ان الله لم يترك شيئاً من صنوف الاموال إلا وقد قسمه وأعطى كل ذي حق حقه، الخاصة والعامة، والفقراء والمساكين وكلّ صنفٍ من صنوف الناس.. لو عدل في الناس لاستغنوا..^٣

إلغات نظر:

يدل هذان التعليمان القيمان بوضوح، على ان العدل لو طُبّق في مجتمع، يُصبح أهله مستغنين. فاستغناء الناس وقلع جذور الفقر والحرمان، دليل وجود العدل، وعدمه دليل عدمه. فلا يوجد مع العدل فقير أو بائس ولا يعمل في الناس عائل.

ففي هذا الضوء، ان وجود الفقر في المجتمع وعدم استغناء الناس، أول شاهد على عدم العدل في الناس وسيطرة الظلم عليهم، اذ المعلم المعصوم يقول: (لو عدل في الناس لاستغنوا). فمنافعة الظلام السياسي وغض البصر عن الظالم الاقتصادي والاهمال فيما يرتكبه على حساب المجتمع،

١ - تحف العقول / ٢٤٤.

٢ - الكافي ٢/ ٥٦٨.

٣ - الكافي ١/ ٥٤٢.

أمر لا يُسمن ولا يُغني من جوع، ولا ينبغي أن يُسمى مجتمعٌ لم يسد فيه العدل ولم يقم الناس فيه بالقسط ولم يستغنوا، مجتمعاً اسلامياً، حتى لا يشوه سمعة الإسلام في سائر الأقطار.

□ العدل: منهج تجسيده وتنفيذه.

١- الالتزام الحاسم

(٧١) الامام الكاظم عليه السلام: لا يعدل إلا من يُحسن العدل.

إلفات نظر:

هذا القسم من الأحاديث، مثل قول الامام الصادق عليه السلام: (ما أوسع العدل اذا عدل فيه وأن قل)، أو قول الامام الكاظم عليه السلام: (لا يعدل إلا من يُحسن العدل)، يؤكد على لزوم معرفة العدل والعناية به، والسعي لتجسيده بصورة موضوعية. وكذلك يُعرفنا - مع عدة أخرى من أحاديث الفصل - بآثار العدل الاجتماعية والجماهيرية.

ان وعي الناس للعدل وعلمهم بواقعه وآثاره، هو من عمدة أسس تجسيد العدل الواقعي وسحق الظلم والجور، ومن أمتن الوسائل لتحسين الجماهير ضد الوقوع في شبكات الظلم باسم العدل. وهذا التعبير: (ما أوسع العدل) تدل على ان للعدل محتوىً ومغزىً عاماً واسعاً يشمل الجماهير، اذا كان عدلاً بحسب الواقع والحقيقة (اذا عدل فيه)، وان كان قليلاً بحسب تحققه الخارجي وازمة تحققه (وإن قل).

٢- الصدق في التجسيد:

(٧٢) الامام علي عليه السلام: الصدق أخو العدل.^١

٣- التناهي عن الظلم:

(٧٣) الامام علي عليه السلام: من لوازم العدل التناهي عن الظلم.^٢

* ماذا ترى - ايها القارئ - في هذا التعليم والتأشير، من مغزى كبير وافق متفتح؟ فالذين يدعون انهم يتبعون سيرة العدل، ولكن لا يتناهون عن الظلم - حيث يُشاهد الفرق الباهظ والاثرة في حياتهم وحياة ذويهم - اهم صادقون؟

والذين يدعون انهم يتبعون سيرة العدل، ولكن يخالطون المتكاثرين الممتصين ويشجعونهم بذلك على الامتصاص، اهم صادقون؟
والذين يدعون انهم يتبعون سيرة العدل، ولكن لا - يقتربون من حياة الفقراء والمحرومين والمضطهدين والمظلومين الاقصاديين والضعفاء ومن اليهم كي يقفوا على ما يُعانيه هؤلاء حتى يُنقذوهم منه، اهم صادقون؟

٤- تأدية الحقوق المتقابلة:

(٧٤) الامام علي عليه السلام:.. فاذا أدت الرعية الى الوالي حقه، وأدى الوالي إليها حقها، عزّ الحق بينهم، وقامت مناهج الدين، واعتدلت معالم العدل..^٣

١ - غرر الحكم / ١٥.

٢ - غرر الحكم: ٣٠٤.

٣ - نهج البلاغة / ٦٨٣؛ عبده ٢/ ٢٢٤.

٥ - مضادات الجور:

(٧٥) الإمام علي عليه السلام: ضادّوا الجور بالعدل^١.

(٧٦) الإمام علي عليه السلام: الجور مضادة العدل^٢.

(٧٧) الإمام الكاظم عليه السلام: العدل (وضدّه) الجور^٣.

* ان واقع العدالة الاجتماعية، هو ثورة عميقة ومستمرة وعامة ضد الجور والافراط والتفريط في الامور، ومنها الامور المالية والاقتصادية، لغرض ايجاد التوازن في المجتمع، فليس واقع العدل هو الكفاح ضد التفريط (الفقر) فقط، كما يظنه البعض؛ إذ العدل لا يتحقق بهذا القدر؛ لأن الكفاح ضد التفريط من دون الكفاح ضد الإفراط، ليس كفاحاً بمعناه. فالعدالة الفعلية هي مضادات الجور بشجب الأمرين، حتى يستقيم أمر العدالة الاجتماعية.

٦ - ترك بخش حقوق الناس وأشيائهم:

(٧٨) الإمام علي عليه السلام: لن يتمكن العدل، حتى يذلّ بخش^٤.

٧ - يأس العظماء وعدم يأس الضعفاء:

(٧٩) الإمام علي عليه السلام - فيما كتبه الى محمد بن أبي بكر: ... واسِ بينهم في اللحظة والنظرة، حتى لا يطمع العظماء في حيفك لهم، ولا ييأس الضعفاء من عدلك عليهم^٥.

١ - غرر الحكم / ٢٠٥.

٢ - غرر الحكم / ١٥.

٣ - تحف العقول / ٢٩٦.

٤ - غرر الحكم / ٢٥٦.

٥ - نهج البلاغة / ٨٨٦؛ عبده ٣/٣١.

✽ مع الأسف ان الأمر يُشاهد على عكس هذا المنهج الذي رسمه الامام علي بن أبي طالب عليه السلام، حيث يُشاهد ان العظماء والأقوياء والأغنياء طامعون نشيطون، والضعفاء ومن اليهم يائسون مهروسون.

٨- الاستقصاء في التجسيد:

٨٠) الامام علي عليه السلام: سياسة العدل في ثلاث: لين في حزم، واستقصاء في عدل، وافضال في قصد.^١

✽ ان في كلامه: (استقصاء في عدل)، تعليماً بناءً. وهو بدوره يدل على ان العدل اذا جُسد حيناً وتُرك حيناً، أو جُسد في بعض الأمر لا كله، لا يؤدي الى تلك النتيجة المطلوبة، اذ العدل انما يُفيد اذا كان مستقصى في العمل به.

٩- السمو الخلقي وصلة العدل به:

٨١) الإمام علي عليه السلام: استعن على العدل بحسن النية في الرعية، وقلّة الطمع وكثرة الورع.^٢

١٠- الاجتناب عن الخلط والتمويه:

٨٢) الإمام علي عليه السلام: اجور الناس من عدّ جوره عدلاً منه.^٣

٨٣) الامام علي عليه السلام: ربّ عادلٍ جائر.^١

١ - غرر الحكم / ١٩٢.

٢ - غرر الحكم / ٦٥.

٣ - غرر الحكم / ٩٩.

إلفات نظر:

هذان التعليمان يهدفان الى غاية اجتماعية وسياسية واقتصادية مهمة ، وهي توعية الناس وابقاظهم بالنسبة الى واقع العدل حتى لا يلتبس الأمر عليهم. وذلك لأن الجور كثيراً ما ظهر - عبر التاريخ - بلباس العدل وتستتر به دجلاً وتمويهاً، أو غفلةً وتجاهلاً أو توانيماً ومصانعةً. ولذلك اهتمت التعاليم الاسلامية بايقاف الناس على حقيقة العدل وآثاره الاجتماعية وخصائصه ونتائجه التجسدية وفهمها ووعيتها، وبإزاحة الستار عن اعمال المموهين والمتخلفين وأقوالهم في هذا الحق، فقال الامام علي عليه السلام: (رُبَّ عَادِلٍ جَائِرٍ)، و(أَجَوَّرَ النَّاسَ مِنْ عَدٍّ جَوَّرَهُ عَدْلًا مِنْهُ) وهذا يعني ان من يجور ويُعدّ جورَه عدلاً يُلبس الأمر على المجتمع، فهو أَجَوَّرَ ممن لا يفعل ذلك ويدع مجالاً للناس لان يُفكروا بالعدل ويمهدوا السبيل الى تجسيده بثورة.

فالمهم ان يكون الناس غير جاهلين ولا غافلين بالنسبة الى وعي العدل ومعرفة آثاره، حتى يطلبوا تجسيده، من غير ان يلتبس عليهم أمر. فما دام الناس غير مستغنين فالجور حاكم ساحق والعدل محكوم مسحوق اذ (لو عُدل في الناس لاستغنوا).

□ سلبيات ترك العدل:

* ان سلبيات ترك العدالة وتطبيقها كثيرة ومدمرة، منها ضعف الحكم والادارة، وفقر الناس، وفتور المعتقد الديني، وعدم انتشار الصلاح في الناس، اذ لا يصلح المجتمع إلا العدل - كما يأتي في الفصل القادم - فكل أثر ايجابي يحصل من تطبيق العدل يتحوّل الى أثر سلبي بتركه. وهذا من عظام تعاليم الهادين عليهم السلام ونحن نشير الى نموذج من سلبيات ترك العدل، ضمن أحاديث:

١- تارك العدل أهون الخلق

(٨٤) النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ان أهون الخلق على الله - من ولي امر المسلمين فلم يعدل لهم.^١

٢- تارك العدل أول من يدخل النار

(٨٥) النبي صلى الله عليه وآله وسلم: - فيما رواه ابو الحسن الرضا عن آبائه: أول من يدخل النار، أمير متسلط لم يعدل..^٢

٣- تارك العدل يضيّعه الله تعالى

(٨٦) الامام الصادق عليه السلام: من ولي شيئاً من أمور المسلمين فضيعهم، ضيعه الله عز وجل.^٣

١ - البحار ٧٥ / ٣٥٢، عن جامع الاخبار.

٢ - البحار ٧٥ / ٣٤١.

٣ - البحار ٧٥ / ٣٤٥.

✽ هذا التعليم وأمثاله يقصم الظهر، يقصم ظهر المتصدين للأمور والجهات المسؤولة في المجتمعات التي تدعي الاسلامية، ولا سيما المشرعين، حيث يجب عليهم ان يُراعوا جانب الذين يُضَيِّعون دوماً، ممن تقتحمه العيون ولا يُصغي الى كلامه أحد.

ومن هنا ننتقل الى خطورة موقف العلماء والفقهاء الذين يؤسسون حكماً ودولةً أو يقودونها، أو يمارسون بانفسهم، أو يراقبون، أو يساهمون في تشريعاته، حيث يقع على عواتقهم عبء ثقیل - ما أنقله! - وهو المحافظة على كيان الاسلام داخل المجتمع - ولا سيما في النفوس والمعتقدات وبلا أي ضغط أو ارعاب - والمحافظة على سمعة الاسلام الكبيرة خارج المجتمع من انحاء العالم.

وان هاتين المحافظتين لا تتجسدان إلا بتوطيد طاقات الإسلام النوعية على ازاحة الداهيتين: التكاثر والفقر، واسترداد حقوق المستضعفين المغصوبة واعادة كرامتهم المهذورة، واثبات ان التشريعات الاسلامية هي التي لا يطمع العظماء في حيفها، ولا ييأس الضعفاء من عدلها.

وعندئذ يرى الناظرون النابهون ان المسلمين كيف يضطلعون بمسؤولياتهم، وكيف يعاملون الناس والجماهير، وكيف يدركون واقعيات الحياة الانسانية، وكيف يفهمون دين الله الحنيف الخالد ويتفقهون فيه؟ واذا لم يقوموا بتجسيد العدل على ما ذُكر، يَهْنُ حكمهم ودولتهم - كما يأتي حديثه بُعيد هذا - وعند ذلك يتسرب الوهن الى الاسلام - والعياذ بالله - ولا سيما لدى من لا يعلم مجموعة التعاليم الإسلامية ولا يعرفها.

٤- لا قداسة لشعبٍ لا يجسّد فيه العدل

(٨٧) النبي صلى الله عليه وآله وسلم: كيف يُقدّس الله قوماً، لا يؤخذ لضعيفهم من شديدهم؟^١

٥- وهن الحكم والدولة

(٨٨) الامام الرضا عليه السلام: اذا جار السلطان هانت الدولة.^٢

٦- الخراب والبوار

(٨٩) الامام علي عليه السلام: لا يكون العمران، حيث يجور السلطان.^٣

* المقصود بالسلطان في امثال هذه التعاليم، هو القدرة الغالبة ايةً كانت. فليس فيها تقرير للملوكية الغاشمة. ومن الممكن ان يكون البيان ناظراً الى التجربة الواقعية في تاريخ الانسان. وعلى اية حالة فالامر عامّ، ولا يكون عمران مع الجور، وخصوصاً جور حكمٍ يأتي لاقامة العدل، وابادة الاستكبار والاستضعاف. ولا يتفاوت في ذلك ان يقع الجور من أي شخصٍ وبأي اسم.

١ - البحار ٣٥٣/٧٥.

٢ - الوسائل ١٧/٦.

٣ - غرر الحكم / ٣٥٠.

تعليمان عظيمان:

١- لا يجوز مؤازرة الحكم غير العادل

٩٠) الامام الصادق عليه السلام: ... فاذا صار الوالي والي عدل، بهذه الجهة، فالولاية له والعمل معه ومعونته في ولايته وتقويته، حلال محلل وحلال الكسب معهم. وذلك ان في ولاية والي العدل وولايته، احياء كل حق وكل عدل..

واما وجه الحرام من الولاية، فولاية الوالي الجائر وولاية ولاته الرئيس منهم واتباع الوالي فمن دونه من ولاية الولاية الى ادناهم باباً من ابواب الولاية على من هو والٍ عليه. والعمل لهم والكسب معهم بجهة الولاية لهم حرام محرّم مُعَذَّب من فعل ذلك على قليل من فعله أو كثير..^١

٩١) الامام الرضا عليه السلام: - من رسالته في (جوامع الشريعة): ... لا يفرض الله على العباد طاعة من يعلم انه يظلمهم ويغويهم.^٢

٢- وجوب العدل على الناس كافة

٩٢) الامام الصادق عليه السلام: - ذكّر يا مفضل^٣! فيم أعطي الانسان عمله وفيم مُنْع؛ فانه أعطي علم جميع ما فيه صلاح دينه ودنياه. فمما فيه صلاح دينه معرفة الخالق - تبارك وتعالى - بالدلائل والشواهد القائمة في

١ - تحف العقول / ٢٤٤-٢٤٥.

٢ - تحف العقول / ٣١٠.

٣ - وفي نسخة فُكّر يا مفضل!

الخلق؛ ومعرفة الواجب عليه من العدل على الناس كافة..^١

* أَيْذَهَبُ عَلَى أَيِّ بَاحِثٍ نَابِهِ، مَا يُعَلِّمُهُ هَذَا الْمَعْلَمُ الْإِلَهِيُّ الْكَبِيرُ، مَنْ أَنْ
الْعَدْلَ عَلَى النَّاسِ كَافَةً أَمْرٌ وَاجِبٌ عَلَى الْإِنْسَانِ، وَأَنْ هَذَا الْأَمْرُ فِيهِ صِلَاحٌ
دِينِ الْإِنْسَانِ؟ فَلَا يَصْلِحُ أَيُّ تَبَنٍّ لِلدِّينِ بِدُونِ تَطْبِيقِ الْعَدْلِ فِي حَقِّ جَمِيعِ
النَّاسِ، مِنْ أَيِّ لَوْنٍ أَوْ جَنْسِيَّةٍ أَوْ عَقِيدَةٍ أَوْ مَكَانٍ.

مع الفجر في شروقه (١)

(٩٣) الإمام الكاظم عليه السلام: صفوان الجمال قال: دخلت على أبي
الحسن الأول عليه السلام فقال لي: (يا صفوان! كل شيء منك حسن
جميل ما خلا شيئاً واحداً). قلت: جعلت فداك، أي شيء؟ قال: (إكراؤك
جمالك من هذا الرجل) - يعني هارون - قلت: والله ما أكريته أشرأ ولا
بطراً ولا للصيد ولا للهو، ولكن أكريته لهذا الطريق، يعني طريق مكة، ولا
أتولاه بنفسي ولكن أبعث معه غلماناً. فقال لي: (يا صفوان! ايقع كراك
عليهم؟) قلت: نعم، جعلت فداك! قال: فقال لي: (أُحِبُّ بَقَاءَهُمْ حَتَّى يَخْرُجَ
كَرَاك). قلت: نعم. قال: (فَمَنْ أَحَبَّ بَقَاءَهُمْ فَهُوَ مِنْهُمْ، وَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ فَهُوَ
كَانَ قَدْ وَرَدَ النَّارَ..)^٢.

مع الفجر في شروقه (٢)

(٩٤) الإمام الرضا عليه السلام: - عن أبي سعيد الخراساني قال: دخل

١ - البحار ٨٢/٣ - ٨٣.

٢ - سفينة البحار ١٠٧/٢.

رجلان على ابي الحسن الرضا عليه السلام بخراسان، فسألاه عن التقصير؛ فقال لاحدهما: (وجب عليك التقصير، لانك قصدتني). وقال للآخر: (وجب عليك التمام لانك قصدت السلطان).^١

* ماذا ترى - ايها القارئ - في هذا التعليم؟ يعدُّ الامام ابو الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام السفر للورود على الحاكم الجائر، سفر المعصية، الموجب لتمام الصلاة فيه. فهل تجد فقهاً أشد حيوية من هذا الفقه الإلهي الذي علمه الامام المعصوم؟

بيان اسلامي عام:

هناك بيان اسلامي عام، يبين فيه الامام علي بن ابي طالب عليه السلام كيفية (اعتدال معالم العدل)، ويضعُ الاصبعُ على واجبات الحكم الإسلامي بالنسبة الى المجتمع والجماهير.

وهذا البيان يجب ان يُكتب على ناصية الأيام. وهو مقياس باب لعرفان أي حكم إسلامي وعرفان صداقته في هذا التسمية سواء أسسه عالم فقيه، أم شعب مسلم، أم قائد سياسي، أم انقلاب عسكري - ونحن نورده هنا فان الحق أحق ان يُتبع، ولكي يكون كلمة جامعة عن الحق والعدل، من امام الحق والعدل؛ ولكي تعرف الجماهير - المسلمة وغير المسلمة - ان (الحكم) متى يصحَّ ان يُطلق عليه اسم (الاسلام)؛ وتعرف سمات هذا الحكم فتؤاخذة عليها وتطالبه بها وبواجباتها، ولكي لا يبخس الاسلام حقه، ولا تنتلم الحقيقة الاسلامية، بفتور الفاترين، أو مصانعة المصانعين،

أو تساهل المتقاعسين، أو ضعف تشخيص العلماء القائدين، أو تخلف المتخلفين. واليك المنشور بنصّه المشرق وإيقاعه الرائع؛ وهو من خطبة خطبها بصفين، في معترك القتال الدامي اعلاءً لكلمة (الحق) وارساءً لدعائم (العدل):

٩٥) الامام علي عليه السلام: اما بعد؛ فقد جعل الله لي عليكم حقاً بولاية امركم، ولكم علي من الحق مثل الذي لي عليكم؛ فالحق أوسع الأشياء في التواصف وأضيّقها في التناصف، لا يجري لأحد إلا جرى عليه، ولا يجري عليه إلا جرى له..

ثم جعل سبحانه، من الحقوق حقوقاً افترضها لبعض الناس على بعض، فجعلها تتكافأ في وجوهها، ويوجب بعضها بعضاً، ولا يستوجب بعضها إلا ببعض. وأعظم ما افترض سبحانه، من تلك الحقوق حق الوالي على الرعية، وحق الرعية على الوالي، فريضة فرضها الله سبحانه، لكل على كل، فجعلها نظاماً لألفتهم، وعزاً لدينهم، فليست تصلح الرعية إلا بصلاح الولاية، ولا يصلح الولاية إلا باستقامة الرعية. فإذا أدت الرعية الى الوالي حقه، وأدى الوالي اليها حقها، عزّ الحق بينهم، وقامت مناهج الدين، واعتدلت (معالم العدل)، وجرت على اذيلها السنن؛ فصلح بذلك الزمان، وطمع في بقاء الدولة، ويئست مطامع الأعداء.

وإذا غلبت الرعية واليها أو اجحف الوالي برعيته، اختلفت هنالك الكلمة، وظهرت معالم الجور، وكثر الإدغال في الدين، وتُركت محاجّ السنن؛ فعمل بالهوى، وعُطلت الأحكام، وكثرت علل النفوس، فلا يُستوحش لعظيم حق عطل، ولا لعظيم باطل فعل! فهنالك تذلل الأبرار، وتعزّ الأشرار، وتعظم تبعات الله عند العباد.

فعلیکم بالتناصح فی ذلك وحسن التعاون علیه؛ فلیس أحدٌ - وإن اشتد
على رضا الله حرصه، وطال فی العمل اجتهاده - ببالح حقيقة ما الله أهله
من الطاعة له، ولكن من واجب حقوق الله على العباد النصیحة بمبلغ
جُهدهم، والتعاون على إقامة الحق بینهم. ولیس امرؤٌ - وإن عظمت فی
الحق منزلته، وتقدمت فی الدین فضیلتیه - بفوق أن یُعان على ما حملّه الله
من حقه؛ ولا امرؤٌ - وإن صغرت النفوس، واقتحمته العیون - بدون أن
یُعین على ذلك، أو یُعان علیه.

* لا یفتقر هذا الكلام الى شرح، حیث یغنینا عن ذلك، ببلاغته الفیاضة،
ووضوحه اللاحب، ودعمه المُرکز، وموقفه الفاضل، ونفسه النافذ،
وصموده المشرق، ولغاته الغنیة المُنثقلة بالمعنی الجزل الکبیر، وكلماته الحیة
التي تضاهي الشلال حیث تغمر الأرواح بالارواء، والنفوس بالإحیاء،
والقلوب بالایحاء..

والإدغال فی الشیء، ادخال ما یُسده فیهِ. ومن اللاحب البیّن أن العدل
الاجتماعی والاقتصادی والتوزیعی والمعیشی، إذا لم یُجسد، یفشُ الظلم
والعدوان الاقتصادی فی المجتمع، فبیأس الناشئة والنابهون والمغصوبون
والمستضعفون من الدین - فی مجتمعاتٍ یركون حکمها منتمیاً الى الدین
والفقاہة - وای فسادٍ للدین ومرامیه وغایاته أكبر من هذا؟ وای ادغالٍ فیهِ
یفوق هذا الادغال؟ إذا خُیل الى الناس أن الدین الإلهی یقف بجانب الاغنیاء
واهل العدد والمنعة، وأن الفقاہة الاسلامیة لیست بذلك المنجی الذی كانوا

يأملون ان يُخلصهم من الاصر والأسر والاغلال التي كانت عليهم، من
براثن الطاغوتين: فرعون وقارون؟

المائزان الرئيسان للمجتمعين الجاهلي والإسلامي:

الأول: العدل

(٩٦) الامام الباقر عليه السلام - قال محمد بن مسلم -: سألت أبا جعفر
عليه السلام... وما كانت سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال:
(أبطل ما كان في الجاهلية، واستقبل الناس بالعدل. وكذلك القائم عليه السلام،
إذا قام يُبطل ما في الهدنة مما كان في ايدي الناس، ويستقبل بهم العدل).^١

* هذا هو الاسلام، وهذا هو نبيه الذي يُبطل المجتمعات الجاهلية القائمة
على الظلم والعدوان، ليصنع المجتمع الإسلامي بالعدل والاحسان.
ومن اهم انواع الظلم هو الاقتصادي والمعيشي منه (كما اشرنا اليه
مراراً لأهمية وعي الموضوع). والتكاثر والامتلاك الحر والغنى الوافر بلا
انفاق، يؤدي كل ذلك الى الظلم الاقتصادي والمعيشي، فلا يمكن ان نلصق
شيئاً منه بالاسلام، بأي اسم كان. فالذين يرون انهم يصنعون مجتمعاً
اسلامياً عليهم ان يستقبلوا الناس بالعدل.

وأما ذيل الحديث، الذي خطه الامام المهدي المنتظر عليه السلام في
دولته، فهو من عظام تعاليم آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأسرار
معارفهم الاجتماعية والاقتصادية الثورية، حيث يُشير الى واقع حياتي

وسر عظيم في أدوار الظلم والاضطهاد؛ فالتعليم يُلقى علينا ان هذه الممتلكات باطلة، لأنها حصلت في دولة الظلم والظالمين، فلا توافق في واقعها الحقائق القرآنية والتعاليم الجعفرية.

ففي ضوء تعاليم القرآن والحديث، غفل عن الأمر أو تغافل عنه، من زعم انه يكافح الظلم، ويراه منحصرأ في السياسي، ولا يهتم بالظلم الاقتصادي والمعيشي وشجبه، ولا يُقدم على تصحيح صلات الناس الاقتصادية، بإيفاء الكيل والميزان وعدم بخس الناس اشيائهم، والمراقبة التامة الجديّة على الانتاج والاستيراد والأسعار والمبادلات والأسواق والتعديل الإسلامي للثروات المكوّمة والأعواز الهارسة.

الثاني: المساواة

(٩٧) النبي صلى الله عليه وآله وسلم: - لما قسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، غنائم بدر، وسوّى بين الناس، قال سعد بن أبي وقاص يا رسول الله! أتعطي فارس القوم الذي يحميهم مثل ما تُعطي الضعيف؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (ثكلتك امك! وهل تُنصرون إلّا بضغفائكم؟)^١.

إشارة الى (وعي توحيدى هام)

(٩٨) الإمام علي عليه السلام: التوحيد ان لا تتوهمه، والعدل ان لا تتهمه.^٢

١ - البحار ٩٦ / ٢١٤.

٢ - نهج البلاغة / ١٣٠١: عبده ٣ / ٢٦٤.

بما كان بصيرة من الدلائل والشواهد، والعدل بما كان على الناس كافة.
ويا للأسف عن إغفال هذه التعاليم!

تأسيس أصليين عظيمين في حياة الدين

الأول: لا ثورة بلا تغيير

(١٠٠) الإمام علي عليه السلام - مما قاله بصدد ردّ قطائع عثمان: والله،
لو وجدته قد تزوّج به النساء وملك به الإمام لرددته، فإن في العدل سعة؛
ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق.^١

* هذا الكلام قد قاله الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في ثاني يوم
من بيعته في المدينة. وقال الشيخ محمد عبده المصري في الشرح: (قطائع
عثمان: ما منحه للناس من الأراضي).

والإمام قد أسس - باتخاذ هذا الموقف الصامد تجاه الأموال - اصلاً
رئيساً في إعطاء الشكل للثورات التغييرية وأهدافها. وهو تغيير الأوضاع لا
تبديل الأشخاص فحسب^٢. ومن أهم الأوضاع التي تعيشها الجماهير هي
المعيشية والاقتصادية. ولذلك كان الأنبياء عليهم السلام يهتمون بتغييرها
وتصحيحها من بدء الأمر (أوفوا الكيل والميزان بالقسط).

ففي هذا الضوء، إن تبديل الأشخاص والجهات المسؤولة وحده، لا

١ - نهج البلاغة / ٦٦؛ عبده ٤٢/١.

٢ - ولا شك أبداً في أن (التغيير) هو تغيير (الأوضاع) التي كانت سائدة، لا تبديل
الأشخاص والأزياء فحسب، مع بقاء سيادة الأوضاع السابقة ولا سيما الاقتصادية
منها.

يؤدي الى النتيجة المطلوبة، وان كان من فاسدين الى صالحين، اذا لم يُصمد الى تغييرات أساسية للأوضاع التي كانت سائدة قبل اشتعال نيران الثورة، وكانت باعثة عليه.

الثاني: لا إمهال في التغيير:

(١٠١) الإمام علي عليه السلام: ما كان بالمدينة فلا أجل فيه، وما غاب فأجله وصول أمرك اليه.

✽ هذا الكلام قاله الإمام، لما اجتمع الناس اليه، وشكوا ما نقموا عليه الخليفة الثالث، وسألوه مخاطبته عنهم واستعتابه لهم، فدخل عليه وقال له كلاماً فصلاً جامعاً، فقال الخليفة: (كلم الناس في ان يؤجلوني حتى أخرج إليهم من مظالمهم) فقال عليه السلام: (ما كان بالمدينة فلا أجل فيه..). ولهذه القولة الرنّانة جلجلة كجلجلة الرعد، فكأنها تخرج دوماً من فم المضطهدين والمعذبين والمغصوبين والمستضعفين على مدى التاريخ، وكأن الفجر والشفق يُقيّانها على مسامع الدهور، كلما طلع فجر، أو احمرّ شفق، أو أطلّ دم شهيد في أفق من الآفاق.

إشارات:

الأولى: الثورة في وجه الظلم ظاهرة نبويّة

ان الذي يستنبط من تاريخ الانسان الطويل، هو ان القيام في وجه الظلم والظالمين والاعتداء والمعتدين، والثورة التغييرية لشجبهم وتدميرهم، تطهيراً لعرصات الحياة الانسانية، وطلباً لانتصار المحرومين والمظلومين، وهي

ظاهرة نبوية قد أشعل نيرانها الأنبياء عليهم السلام في التاريخ على بكرة أبيهم.

وإن القرآن الكريم - وهو أصدق مصدر لأحوال الأنبياء وثوراتهم التغييرية وأوثقها - يحكي من ذلك شيئاً كثيراً، كلما أوردنا لمعاً منه هنا وهناك في مناسبات مختلفة. فالحركة التغييرية التي تستهدف شجب الظلم ودعم العدل، ظاهرة نبوية قد سبقت الى إشعالها الأنبياء الناهضون، كلما طلّعوا على قمة من قمم الأعصار.

والأمر لاجب جداً، وذلك لأن رسالة الأنبياء عليهم السلام كانت شق طريق عباد الله تعالى الى الإيمان والعمل الصالح، طلباً للكمال والقرب والسعادة الأبدية. وذلك لا يتجسد إلا بالعمل بأحكام دين الله. ولا حياة للأحكام ولا عمل بها ما لم يُشجب الظلم ويُدعم العدل، اذ (العدل حياة الأحكام). فالأنبياء عليهم السلام هم بُناة الثورات التغييرية لانقاذ البشرية من مخالب الجبابرة السياسيين والطواغيت الاقتصاديين.

الثانية: من العدل والى العدل

كانت بداية أمر الدين في حركات الأنبياء عليهم السلام ونهضاتهم، هي الدعوة الى تجسيد العدل وقيام الجماهير به (ليقوم الناس بالقسط)، وستكون خاتمة الأمر أيضاً كذلك، في الحكم المنتظر الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، فكان أول الدين العدل وآخره العدل، فالذي يقع بين العدلين ويدّعي الانتماء إليهما بدءاً وختاماً، لا يمكن أن لا يهتم بأمر العدل كل الاهتمام، ان كان مؤمناً بالسلف الأول، منتظراً للخلف الباقي.

الثالثة: طلب العدل امر فطري

ان طلب العدل أمر فطري، ولذلك دعا اليه الأنبياء، الذين جاؤوا ليُثيروا للناس دفائن عقولهم، أي ما في فطرتهم. وسيدعو اليه داعي الله الآخر باني آياته، وهو يُجسده تجسيداً لا محيد لأحد عنه. فلتكن الدعوة الى العدل والصمد لتجسيدة الفعلي (لا الشعاري)، سمة كل حكم، او نظام، او مجتمع، أو قوم أو فقاهة ينتمون الى دين الله الحنيف، في كل زمان ومكان. ولقد قال مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: (الصدق أخو العدل)؛ فلا سبيل الى تجسيد العدل والعمل به إلا بالتزام الصدق. والصدق في العاملين على اقامة العدل - من علماء وأمرأء - هو أن يكونوا غير راغبين فيما بأيدي الأغنياء من المتع والزخارف، غير عائشين عيشتهم، وان يسيروا بسيرة الدعاة الآلهيين، فيقاطعوا الأغنياء ويقطعوا عنهم الأمل ولا يأخذوا منهم مالاً وأجراً، حتى يتسنى لهم الإجهار بالعدل والإقدام لتجسيده، من غير أي فرق أو مداينة أو فتور.

الرابعة: لا تطهير للمجتمع بدون العدل

إن الأرض - وهي كانت طاهرة عندما خلقها الله، تعالى شأنه - قد نجست وتنجست بأنواع الظلم التي قد اجترحها الظالمون ويجتروحونها واكتسبها المعتدون ويكتسبونها، يعني فراعنة الحكم وقاروني الذهب والفضة (التومان والدولار والليرة). ولا يمكن ان يُصار الى خير أو فضيلة،

وان يُدعى الناس الى ديانة راسخة أو عمل صالح، ما دامت الأرض (وهي محيا الانسان ومستقره ومحل عيشه ومدرجة تكامله وسعاده، ومزرعة آخرته)، باقية على نجاستها، ظالم بعض أهلها لبعض، أكل جبابرتها مضطهديها.

وهذا يُفهم بوضوح، ان المجتمع واجواءه الحياتية انما تنجس بالظلم وآثاره المبيدة لكيان القيم والفضائل والدين والأحكام والانسان والإنسانية والنصفة والحق. والأمر كذلك إذ الظلم بأشكاله المختلفة ولا سيما الاقتصادي والمعيشي، يخلق الفروق الباهظة في الناس في المعاش والإمكانات، وهي التي تقسم الجماهير الى غني وفقير، والى أكل ومأكل اقتصاديين - كما جاء في الأحاديث - والى ذئب وشاة - كما جاء في الأحاديث -.

والغنى التكاثري والوافر يملأ حياة الجماهير أنواع الميوعات والمفاسد، مما يؤدي الى سقوط الأناسي وسحق كرامتهم الخلقية وكيانهم الديني ودورهم الإنساني في المجتمع والحياة.

فعلى هذا الضوء، كيف يمكن ان ترجى حياة للدين وأحكامه، بصورة فعلية في القطاعات، وترويج وتعظيم لشعائره، من دون ان تطهر أجواء المجتمع من نجاسة الظلم والمظالم، ورجاسة حضور الظالمين الاقتصاديين فيه، فعالين نشيطين سائدين قادرين؟ نعم، صدق مولانا أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام حيث قال: (العدل حياة الأحكام).

والواقف على أحوال الجماهير وحياتها من كذب، وعلى ما يفعل الفقر (وهو من آثار الحيف وعدم العدل - كما جاء في الأخبار والأحاديث) فيها

وفي حياتها وأخلاقها، وعلى ما فشلت فيها وتفشو يوماً فيوماً - من أشكال
المفاسد المسقطة والكيان الساقط، يفهم ما نقوله بأجلى صورة. والأمر
معلوم مشاهد، ولا مجال لنا لشرح ذلك؛ ولا حول ولا قوة إلا بالله..

الخامسة: الحرب بين الغنى والفقير لإقامة العدل

حيث إن الإسلام يأمر بالعدل وينهى عن الظلم - في أهم أصوله ومبانيه
- ويؤجج نيران الحروب الكبيرة والطاحنة، لحساب العدل والعادلين وعلى
حساب الظلم والظالمين، فهو بنفس الملاك، يؤجج نيران الحروب الكبيرة
والطاحنة بين الغنى والظالم والفقير المظلوم.

رؤية تحليلية

هذا هو الإسلام وهذا منهاجه وحكمه، وهؤلاء هم هدايته ومعلموه. وهذه المذكورات هي تعاليمه الواضحة وسننه الثابتة لإقامة العدل والقسط، ولادارة المجتمع والناس، ولتركيز أمثلة التوازن والحق. وان علينا ان نصون طقوس الإسلام الأصيلة وتعاليمه البناءة من أي تشويه أو تحريف أو استغلال، اشد صون، سواء اراق ذلك الصون حفنة أو حفنة من أهل الدنيا الميالين الى زهرتها أم لا؟ ففي هذا الضوء يجب ان نعلن ان كل حكم ومجتمع لا يسيران بهذه السيرة الإسلامية ليسا اسلاميين، وان أدى هذا الإعلان الى الإضرار بنا! فلقد علمنا ائمتنا ان نقول الحق ولو كان على انفسنا. وان دين الله الحنيف الخالد، اعز وأجل وأعظم وأعلى من أن نفديه لانفسنا ولشعاراتنا، ولا حول ولا قوة إلا بالله..

ونود ان ندرس في هذه النظرة مسائل مما يرتبط بالتوازن والعدل الاجتماعي. وان مما يجب ان نتصدى لايضاحه قبل كل شيء، هو مفهوم الاسلام عن العدل والقسط، ومالهما من مضمون، في حياة الانسان الفردية والاجتماعية، اذ ارساء قواعد العدل والقسط وتطبيق أصولهما في إطار اسلامي، لا يتسنى لنا إلا بمعرفة ذلك المفهوم. وذلك لأن فقد هذه المعرفة يستتبع متواليات فاسدة وعظيمة كما يلي:

١- ان فقد المعرفة المذكورة (يعني معرفة مفهوم الاسلام عن هاتين

الكلمتين: (العدل) و(القسط)، بشكلها الصحيح، هو من أهم اسباب الانحراف في نظام الاسلام الاقتصادي والاجتماعي والسياسي. وذلك لان العدالة الاجتماعية (وبالتعبير القرآني: قيام الناس بالقسط ليقوم الناس بالقسط)، هي القاعدة الأصلية لبرامج الاسلام الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، فاذا لم تكن القاعدة الأصلية معلومة بواقعها معروفة بحقائقها وحدودها، الكيفية والكمية، كيف يمكن ان يُبنى عليها البناء الأصلي.

٢- ان فقد المعرفة المذكورة، يفسح المجال لظهور أفراد أو طوائف أو منظمات يدعون الحركة في مسيرة العدالة الاجتماعية الاسلامية (القسط الاسلامي)، مع ان لهم برامج واتجاهات تُضاد واقع القسط والعدل، أو تختلف في خطوطها ومنهجها عن المعالم الاسلامية، وليس هناك عندئذ مقياس محدد، متخذ من القرآن والحديث، حتى تُقاس به مدعيات هؤلاء، فان طابقت المقياس قبلت وسعى الساعون لتنفيذها، وان خالفته رُفضت وسعى الساعون لشجبها، ولتعريف الجماهير بانها ليست موازين اسلامية.

٣- ما هو أهم من الامرين المذكورين هو ان منشأ (العدالة الاجتماعية) في الاسلام هو (العدل الإلهي) والعدل (سنة الله)^١، و(ميزان الله)^٢. وهو يتمثل في المباني والتعاليم الاسلامية بأسرها. وبعبارة أخرى: ان النظام الاجتماعي الاسلامي هو في الحقيقة مظهر من مظاهر العدل الإلهي. وعليه فان من اهم ما يجب على رجال الحكم الإسلامي والمسؤولين المسلمين، ان يعرفوا حقيقة (العدالة الإسلامية)، المبتنية على (العدل الإلهي)، وان يَعُوا

١ - غرر الحكم / ٢٢٦.

٢ - غرر الحكم / ١٠٣.

واقع القسط وعياً عميقاً، حتى لا يُشوهُوا وجه الدين، ولا يُقوضوا أركان المجتمع، وحتى يقدروا على تطبيق ذلك العدل بأحسن شكل، فلا يخرج واقع الظلم الى الظهور في المجتمع الإسلامي باسم العدالة والقسط. وهو كما يقول الامام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام: (لا يعدل إلا من يُحسن العدل)^١. ومن المعلوم، انه لا يُحسن العدل إلا من يعرف العدل.

فعدم عرفان العدل الإسلامي خطب فادح في هذا المجال. وان هذا الخطب الفادح اذا تجسّد يؤدي الى تحريف دين الله الحنيف وتزييف نظامه الإلهي، ويُمهّد بذلك أرضية مناسبة - بل خصبة - لياسئ النابهن، ويأس الناشئة والشباب من الحق والدين.

ولان يتّضح معنى العدل والقسط ومفهومهما في قاموس الإسلام، يجب ان تُلاحظ عامة ما ورد بصدد الكلمتين من الشرح، وكذلك عامة الموارد التي استُعملتا فيها. العدل في قاموس الإسلام بمعنى تعديل الصلات الاجتماعية والاقتصادية الدائرة بين الناس: يقول القرآن الكريم: ﴿أمرت لأعدل بينكم﴾^٢. فهذا التعبير يعيّن المراد من الكلمة. يقول الإمام علي عليه السلام فيما كتب جنوده، يخبرهم بالذي لهم وعليهم: (اما بعد! فان الله جعلكم في الحق سواء، أسودكم واحمركم، وجعلكم من الوالي وجعل الوالي منكم بمنزلة الوالد من الولد والولد من الوالد، وان حَقكم عليه انصافكم والتعديل بينكم)^٣.

١ - الكافي ١/ ٥٤٢.

٢ - سورة الشورى (٤٢): ١٥.

٣ - البحار ٧٥ / ٣٥٦.

وهذا الكلام وان صدر للجنود غير ان المورد لا يُخصَّص، ولا سيما مع النظر الى ان صلة الحاكم بالناس وصلة الناس بالحاكم صلة أبوية، فهو للناس كالوالد والناس له كالأولاد. وهذا هو الذي يقول عنه الإمام الصادق عليه السلام: (أهل الإسلام هم ابناء الإسلام، أسوي بينهم في العطاء وفضائلهم بينهم وبين الله، أحملهم كبني رجل واحد...) وهذا الأصل التربوي الانساني والاجتماعي والسياسي، أصل يهتم به الاسلام بصورة جدية. وهو الذي يوضح الدافع الأصلي الى الاهتمام بالعدل والتوازن، فان الناس في المجتمع الإسلامي ابناء أب واحد وأفراد عائلة واحدة، فهم يقفون في صف واحد جنباً الى جنب لا في صفوف مقابلة. وكما ان الأب الحكيم يقسم المال بين ابنائه، على حسب ما يحتاجون اليه بقسط واعتدال، ولا يعمل بالاثرة فيهم، ولا يحرم بعضاً ويعطي بعضاً مقادير زائدة على الحاجة ومضرة بحقوق الآخرين، فان الإسلام الأب الروحي، ايضاً كذلك. ولقد تجلت هذه الحقيقة في حديث الامام الصادق عليه السلام بوضوح تام كما نقلناه.

والآن لأجل ان نرسم معنى (القسط) بريشة من الوضوح، ونقرر حدوده، نعمد الى بيان آية (القسط) الشهيرة، التي تنوه بغاية بعث الأنبياء: ﴿لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط، وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد، ومنافع للناس، وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب، ان الله قوي عزيز﴾^١، فلقد جاءت في الآية القرآنية مواضيع هامة يجب وعيها والانصهار بروحها، فإليك البيان:

١ - الوافي ٢ (٦م) ٢٩.

٢ - سورة الحديد (٥٧): ٢٥.

١ - أهمية موقع العدل والقسط في التصور الإسلامي:

لقد عد القرآن الكريم، قيام الناس بالقسط، الغاية الإصلية لإرسال الرسل وانزال الكتب والشرائع من جانب الله تعالى، فالأهداف العالية (الإلهية الإنسانية) التي ترمي اليها الكتب السماوية والأنبياء لغرض خدمة البشرية، انما يجد السبيل الى التجسيد بفضل اقامة العدل والقسط ولا غير..

ولقد جاء في أحاديث المهدي المنتظر عليه السلام، ان أعظم رسالة يقوم بها هذا المصلح الإلهي وأهمها وأعمها، هو اقامة القسط والعدل ومحو الظلم والجور. وان في ذلك العهد يزول الشرك والكفر والفجور والشر والفساد الخلقي كلها عند محو الظلم والجور وسحقهما، وتستعد المجتمعات البشرية لقبول الايمان والصلاح والتقوى والأخلاق الفاضلة في ظل إقامة العدل والقسط.

٢ - منشأ العدالة الاجتماعية في الإسلام:

ان العدالة التي يعمد الاسلام الى اقامتها في المجتمع الانساني هي صورة من صور العدالة العامة في النظام التكويني، يعني ان مستقى العدالتين ومنبعهما واحد، وان لكلتيهما واقعان متجاوبان، كما ان لهما آثاراً مشابهة منسجمة. وهذه العدالة هي التوازن في عامة المسائل والشؤون. والتوازن هو اساس قد بُني عليه العالم الكبير، فيجب ان يُبنى عليه العالم الصغير

ايضاً، وهو عالم المجتمعات البشرية في الأرض.^١ وإليك إيضاحاً بهذا
الصدق:

أ - قانون التوازن في نظام التكوين: ان هذا القانون ناشئ من العدل
الإلهي المؤبد، الذي يسود الكائنات بأسرها. يقول القرآن الكريم: (والسمااء
رفعها ووضع الميزان)^٢. والميزان - كما جاء في الحديث - هو ميزان العدل
وقانون التوازن. وهو الواقع الذي يوازي رفع السمااء وقيام العالم. وهذا
ما يشير اليه الإمام علي عليه السلام: (العدل أساس به قوام العالم)^٣،
و(العدل قوام البرية)^٤. فقوام العالم مبني على العدل والتوازن، الموجودين
في عناصر العالم وظواهره، بل هو معلول لهما.

ب - قانون التوازن في نظام التشريع: ان نظام التشريع ايضاً نظام إلهي
- مثل نظام التكوين - فهو ايضاً قائم على العدل والتوازن. وكما ان الفصل
الأول للكتاب التكويني هو الميزان ﴿والسمااء رفعها ووضع الميزان﴾^٥، كذلك
الفصل الأول من الكتاب التشريعي هو الميزان ﴿وانزلنا معه الكتاب
والميزان﴾^٦. ففي الرسم القرآني للحقيقة العالمية، نشاهد ان رفع السمااء
يقارن وضع الميزان، وان انزال الكتب ايضاً يقارن وضع الميزان. وهذا

١ - وكذلك عالم النفس الانسانية، في العدالة الاخلاقية.

٢ - سورة الرحمن (٥٥): ٧.

٣ - البحار ٧٨/٨٣.

٤ - غرر الحكم / ٢٠.

٥ - سورة الرحمن (٥٥): ٧.

٦ - سورة الحديد (٥٧): ٢٥.

الترادف بين الكتاب والميزان في النظام التشريعي يكشف عن صلات ثلاث:

الأولى: الصلة الحتمية بين النظام التشريعي (الكتاب وتعاليمه)، وقانون العدل والتوازن الاجتماعي.

الثانية: الصلة الحتمية بين تكامل الفرد والمجتمع، المبتني على تطبيق الشريعة وقانون العدل والتوازن الاجتماعي - كما سيأتي شرحه.

الثالثة: الصلة الحتمية بين الحياة الإسلامية والقرآنية وقانون العدل والتوازن، الاجتماعي والاقتصادي.

٣ - الميزان، واقع وتفسير:

لقد فسر الحديث الميزان الوارد في الكتاب بالامام وبميزان العدل. وكلا التفسيرين يُنبئان عن عظمة الموضوع في اطاره الجوهري.

فالتفسير الأول يكشف عن موقعية الامام وأهميته في الجانبين النظري والعملي، فهو عدل الكتاب ورديفه في تبين الحقائق الإلهية الدينية، ومجسد ما فيه من العدالة والقسط الاجتماعي. فالميزان هو الامام، والامام هو الميزان. وهو موجد التوازن الاجتماعي نظراً واقداماً بين الجماهير. ولعل هذا التفسير يشير بصورة خاصة، الى جانب تكليفي هام للحكام المسلمين، الذين يتبنون مسؤولية ادارة مجتمع كان من شأنه ان يُديره الامام الميزان.^١

١ - ولعل مسؤولية الفقهاء الذين يرون أنفسهم نواباً عن (الامام الميزان) (المجسد للتوازن)، تكون أهم وأعظم. ولايسد فراغ عدم تجسيد التوازن في حياة الجماهير ومعايشها، أي إقدام آخر، هبه جاداً واسع الرقعة مشهوداً.

والتفسير الثاني، يكشف - حيث أضيفت فيه كلمة الميزان الى العدل - عن أهمية ايجاد التعادل والتوازن في المجتمع، في جوانبه المختلفة. وبذلك يستبين واقع العدل وطابعه الاجتماعي والاقتصادي، ويستبين ايضاً ان المراد بالميزان هو العدل واقامته بصورة حاسمة ودقيقة يصح ان تُطلق عليها كلمة الميزان. فالتفسيران المذكوران لكلمة (الميزان) يكشفان بجلاء عن سنة العدل الإلهية، كشفاً تحليلياً. وذلك لما تلقى كلمة (العدل) وكلمة (الامام) من الأبعاد العميقة والعظيمة. فالعدل هو العدل، والامام هو المجسّد الفعلي والمظهر السامي لتلك الظاهرة والعامل على بسطها وتنفيذها بين الناس وتغلغلها في المجتمعات.

وان كلمة الميزان، في هذا الاستعمال الخاص (وانزلنا معهم الكتاب والميزان)، حيث قورنت بكلمة (الكتاب) وجُعِلت ثاني ما انزله الله تعالى على الانسان، وجاءت بصدد بيان غاية البعث والتشريع)، تحكي عن مغزى عميق ذي أبعاد أصولية هامة. فمن المناسب الآن ان نشير الى عدة منها، فنقول: ان هذا النسج التعبيري، وهو ارداف الكتاب بالميزان، يدل بوضوح على:

أ - ان النظام الإسلامي هو نظام ميزاني يبتني على الميزان ويقوم به وان اقامة الميزان وما يقتضيه - وهو التوازن الاجتماعي والاقتصادي - جزء رئيسي لماهية هذا النظام وواقعه. اذاً فتفسير الكلمة بالامام يؤكد البُعد العملي لاقامة التوازن، لأنه يدل على ان رئيس المجتمع الاسلامي هو بنفسه الميزان، وهو القطب التجسدي الفعّال، الذي يتصدى بدوره لاقامة القسط اداءً لرسالة الكتاب الإلهي.

فالإمام المعصوم (يعني قائد الأمة)، هو رأس المخروط الاجتماعي الذي يوجد التوازن الاجتماعي والاقتصادي في جميع القطاعات بمراقبة تامة، ويسحق كل ما هنالك من حيف أو ميل أو إفراط أو تفريط. فالقوي عنده ضعيف حتى يأخذ الحق منه، والذليل عنده عزيز حتى يأخذ الحق له. وهو لا يُقار على كظة ظالم ولا سغب مظلوم. وليس له في الرئاسة أي مبتغى إلا أن يُقيم حقاً أو يدفع باطلاً. وليس كل هذا إلا ما يدعو اليه كتاب الله تعالى. وفي هذا الضوء، يصبح الأصل في سياسة الإسلام الاقتصادية، ومذهبه المالي هو التوازن وهو عدم الفرق الباهظ في الامتلاك وقلته في الاستهلاك. والامام (وهو عدل الكتاب الإلهي، يعني أحد العاملين لصنع الإنسان القرآني والمجتمع القرآني)، يُقيم هذا التوازن بصمود ودقة اذا كان حاضراً. واذا كان غائباً فالمنهاج منهاجه، يجب ان يتبعه علماء الدين نظراً وافتاءً، ورجال الحكم الإسلامي عملاً واقداماً^١، قيد الإمكان^٢، وإلا فلا.

ب - تعيين مقياس أصيل لمعرفة الحكم الإسلامي وتمييزه عما سواه، لأن هذا الحكم يتبع الكتاب الإلهي بدقة وحزم لإقامة التوازن والقسط، فهو

١ - يقول الامام جعفر الصادق عليه السلام بهذا الصدد: «.. اذا كان ذلك (يعني وقعت الغيبة ولم يكن الامام حاضراً)، فتمسكوا بالامر الأول، حتى يتبين لكم الآخر..» - (الغيبة للنعماني / ١٥٨).

٢ - وهذه الأمور التي تُشير اليها هي امور قابلة للتجسيد تماماً، وإلا فلا يأمر بها الشرع الإلهي القائم على الحكمة والعدل، غير الأمر بما هو محال أو صعب مشتمل على حرج. فالقصور والفتور وضعف الالتزام ترجع كلها الى الأشخاص القائمين بالأمور وكيفية نفسياتهم وأعمالهم، لا إلى نفس الأحكام والرسالات.

يشجب ما يُضاد التوازن والقسط، يعني التكاثر والفقر، ولا يعرف في ذلك أي حياد أو تحيز.

ج - ان الحاكم الإسلامي، الذي يستطيع ان يقوم برسالته الإسلامية - وهي سوق المجتمع الى تبني التوازن والقسط - لابد من أن يكون هو نفسه ذا شخصية متعادلة ومتوازنة. وذلك لأن غير المتعادلين، من المنحرفين، والمفرطين والمفرطين - ولو في حياتهم الشخصية - لا يسعهم ان يسوقوا الناس الى التعادل والتوازن، وان ارادوا ذلك، وهذا كما يقول الامام علي عليه السلام: (كيف يعدل في غيره، من يظلم نفسه؟)، بل يسوقونهم الى ما اختمر في نفوسهم وكيانهم من الظلم أو الانحراف أو الافراط أو التفريط. ولذلك يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾.

د - نفي الدكتاتورية الاقتصادية من جهة الحكم، لان الحكم الاسلامي - في صورته القرآنية - هو الميزان لعمال الناس وحركاتهم، فيراقب الناس في أعمالهم واتجاهاتهم، الاقتصادية منها وغيرها، حتى يقوموا بالقسط ويحترزوا من الاعتداء والحييف، وعن كل ما يُضاد القصد والتوازن، فهو الناظر المراقب، وان الذين يلعبون الدور الرئيسي في مجالات الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية هم الناس. ولذلك يقول القرآن الكريم: ﴿ليقوم الناس بالقسط﴾، ولا يقول: (لَيُقيم الحكم الناس على القسط)، غير ان الحكم يجب عليه ان يكون عاملاً على هذه السيرة وتجسيدها.

ولعل القارئ لا يذهب عليه - إذ كنّا بصدد إيضاح الآية القرآنية التي

تُعطي الصورة لمجتمع إسلامي يقوم الناس فيه بالقسط - ان إيجاد حكم بالمواصفة المذكورة وإرساء قواعده في الجماهير، انما يُتاح بعد تحقق شرطين رئيسين، يرجع أحدهما الى الحكم نفسه والآخر الى الجماهير التابعة له:

(١) - ان يكون الحكم بالذات ميزاناً (بالمعنى الواقعي للكلمة)، حتى يتسنى له العمل على اقامة التوازن والقسط.

(٢) - ان ينقاد الناس له بحيث لا يحيدون عن مقاصده الصالحة فيما يُرمج لهم. وفي الحالة المذكورة يجعل بين المتكاثرين وبين غاياتهم الاستغلالية سداً حديدياً، ويُحل التعاون للبقاء محل التنازع له، فيمهد السبل لكون الناس حاكمين في حياتهم، مالكين لامورهم ومصائرهم، أحراراً في حلهم وترحالهم. ونحن لا نغفل عن ان هذه الحالة انما تتحقق في حكومة الإمام الميزان، وهو المعصوم، غير اننا نريد من طرح هذه المسائل والمباحث، لفت الانظار الى ان الميزات الأصلية للحكم الإسلامي وللمجتمع الإسلامي هي هذه، حتى لا تهن معتقدات الناس المختلفين بالاسلام، اذا شاهدوا ان المنتمين اليه لا يقيمون دعامته، وحتى ينسبوا الضعف والتقاعس الموجودين الى عمل العاملين وتشخيصهم لا الى الإسلام وتأشيريه. فالحكومات التي تدّعي الانتماء الى الاسلام، يجب عليها ان تتبع هذه السيرة وتقترب اليها حتى القدرة والاستطاعة (لا ان تكون مضادة لها في الاتجاه والنزعة والعمل) وان تُزيح العراقيل والعقبات الموضوعية بينها وبين تلك الغاية القرآنية، وإلاّ فهي بانتمائها الى الاسلام تشطب على تلك التعاليم المثلى التي تشرق شروق الشمس، وتتألق تألق الفجر، وتنفخ في

هـ - نفي الدكتاتورية الاقتصادية من جهة المتكاثرين؛ لأن ميزانية الحكم الإسلامي ورقابته على الصلات الاجتماعية تنفي تسلط الفئات الموسرة والمتكاثرة على الناس واستعبادهم الاقتصادي معاً. وذلك لان التوازن الاقتصادي الذي يقيمه الحكم الاسلامي، يسحق تكدّس الثروات لدى حفنة، ويُخرج الأموال من كونها (دولة بين الأغنياء) الى تداولها بين الناس؛ ففي الحكم الإسلامي الميزان - الذي يستند الى الكتاب السماوي حدوثاً وبقاء - لا يوجد أي تكاثر وتكدّس للأموال وأية دكتاتورية مفروضة تنشأ منه. وهذا ما يدفع الجماهير الى المشاركة الفعّالة في المجالات الحياتية، فتتقوم أركان التوازن، ويقوم الناس بفضل هذه الحالة بالقسط.

٤ - كلمة القسط:

ان كلمة القسط، الواردة في هذه الآية، ينبغي ان نفهمها بدقة، فالقسط بمعنى الحصة والنصيب، وبمعنى العدل والتسوية. والنصيب في مفهومه الإسلامي هو الذي يكون لكل فرد. والقرآن يقول: (كلوا واشربوا) وهذا الخطاب عام - فضلاً عن عمومية الأكل والشرب التكوينية - فلكل نصيب من المعيشة يؤمّن به حياته. ومن الواضح، ان الحصة التي يجب ان يُصيّبها كل أحد، هي الحصة القوامية المبتنية على حد القصد والاعتدال، لا أزيد منهما ولا أقل ايضاً. فالفقر يُضاد اصابة الحصة، فمرفوض، كما ان التكاثر المالي والاطراف والاسراف ايضاً يزيد على الحصة ويُعيق سائر الناس عن اصابة حصصهم، فهو ايضاً مرفوض.

٥ - الصلة الضرورية بين «الميزان» و«قيام الناس بالقسط» أو «الصلة الضرورية

بين التوازن الاقتصادي والقوام الاجتماعي»:

من المسلّم به، ان قوام المجتمع في كل ناحية من النواحي، انما يتوقف على التوازن الاقتصادي، بل هو معلول له ولا يوجد بدونه. وهذا ما يُشير اليه الامام السجاد عليه السلام بقوله في أدعيته التعليمية والتربوية، في صحيفته الشريفة: (.. وقومني بالاقتصاد)، حيث يسأل الله سبحانه، ان يُعطيه القوام بفضل الاقتصاد. وهذا الدعاء يُصبح في شكله الجمعي: (قُومنا بالاقتصاد)، أو: (قُوم المجتمع بالاقتصاد). وهذا بيان لواقع راهن، لأنه لا قوام للكل إلا بالمواظبة على حدود القصد والتوازن في كل أمر.

وهذا المعنى الوارد في كثير من التعاليم بتعابير متنوعة، يُرشدنا الى واقع (القسط)، والى ان العدل والتسوية هما اللذان يُعطيان القوام للناس في حياتهم الفردية والاجتماعية. وانهما لا يتحققان إلا بميزان. فلا قسط ولا عدل ولا مساواة ولا قوام ولا توازن إلا بالميزان وجعله الاساس. فالآية القرآنية تبين - بقولها: ﴿ليقوم الناس بالقسط﴾ و ﴿أنزلنا معهم الكتاب والميزان﴾ - القانونية الكلية السائدة في النظامين: التكويني العالمي، والتشريعي الاجتماعي. فالنظام التكويني قائم على التوازن، وله ميزان بالضرورة ﴿رفع السماء ووضع الميزان﴾، فليكن النظام التشريعي الاجتماعي ايضاً قائماً على التوازن، ومتجانباً مع الميزان ﴿وأنزلنا معهم الكتاب والميزان﴾.

ويجب ان نلاحظ ان (القوام الاجتماعي) لا يخص (البعد الاقتصادي) فقط، بل يعمه وغيره من الأبعاد، كالبعد العملي والصناعي والثقافي والتربوي والأخلاقي والنفسي والسياسي والعسكري، فان كل ذلك يجب ان يدور على مدار قوامي. والمدار القوامي لا يتجسد إلا بالتوازن الاقتصادي، وهو لا يتجسد إلا بتجسد القسط. والقسط لا يتجسد إلا بحكومة الميزان وحضوره في الناس بصورة مراقبة؛ فالقسط وقيام الناس به هي غاية الغايات الاجتماعية والاقتصادية لابتعاث الأنبياء عليهم السلام - كما جاءت في القرآن الكريم - والكتاب والميزان مجسدان لتلك الغاية الكبيرة وحافظان لها ﴿وأنزلنا معهم الكتاب والميزان﴾.

٦ - ايضاح وبسط:

من المناسب ان نُشير هنا الى صلة القوامات الانسانية والاجتماعية في عدة من أبعادها بالتوازن الاقتصادي، حتى يتبلور واقع الامر في هذا المجال الحياتي البناء للمجتمعات، المحيي للمواهب والاستعدادات؛ ألا وهي:

أ - التوازن الاقتصادي والقوام العقلي: ان استعداد الانسان العقلي يتعفن ويجف بسبب الفقر، كما انه يفسد في مستنقع الترف والتكاثر. وهذا واضح، ولا سيما مع ملاحظة ما مر في فصول التكاثر والفقر في الباب الحادي عشر؛ فالأرضية الصالحة لان تُثار للناس دفائن عقولهم، وتستنبط لهم معادنهم الوجودية، هي التوازن الاقتصادي والاعتدال المالي، حتى يصل الناس الى وسط متعادل، يتربى فيه الانسان الصالح. ان الامام الصادق عليه السلام يقول: (عليكم بالاشكال من الناس، الأوسط من

الناس، فعندهم تجدون معادن الجواهر)^١. وهذا التعليم يدل على ان الأصل في نظرة الاسلام هو الانسان وتربيته، وان العدالة الاسلامية توصل المجتمع الى حد متوسط متعادل، يُصنع فيه الإنسان الصالح المتعادل، وان معادن وجود الانسان انما تُستنبط في ذلك الوسط لا في غيره، من البيئات التي يسودها اضرار التوازن، من التكاثر أو الفقر.

ب - التوازن الاقتصادي والقوام العلمي: ان الافراط المالي (التكاثر) والتفريط المالي (الفقر) الناشئ منه، يسلب كل منهما قوام المجتمع الفكري والعلمي، اذ التكاثر والغنى المفرط يورث الفقر في السائرين بالضرورة. والفقر يمنع من نمو الفكر وتقدمه بصورة أساسية، ويدفع الوعي العام الى التخلف والركود، ويُعيق الناس عن الارتقاء في مدارج التفكير والعلم. وما يُشاهد في بعض المجتمعات الرأسمالية والتكاثرية، من أن بعض المتكاثرين والموسرين يدفعون أموالاً باهظة لانعاش البحوث العملية وتوسيع نطاق الكشف العلمي، فان ذلك لا يرجع الى بث العلم وطلبه في الناس وسوق المجتمع الانساني الى التفكير والعلم والى القوام العلمي اللازم للتقدم الانساني، ولا يُقدم أولئك المذكورون على هذا الانفاق - في الأغلب - للغاية المذكورة، بل انه خطوة يخطونها لان تكون لهم سلماً الى استغلالهم وفرض استيلائهم على الآخرين، كما نُشاهده اليوم في العالم المعاصر، فليست نتيجة تضخم الأموال لدى حفنات وصيرورتها دولةً بينها، إلا الشقاء للآخرين، والانهيار للقواعد الانسانية.

ج - التوازن الاقتصادي والقوام الثقافي: لا يختلف القوام الثقافي عن القوام العلمي، في احتياجه الى أرضية حياتية سالمة في المجتمع، دافعة لكل فرد من الأفراد الى توعية نفسه وتثقيفها بكسب ما يسعه من الثقافات. فلما نعان (التكاثر والفقر) من بلوغ المجتمع الى القوام العملي، هما المانعان من بلوغه الى أي قوام ثقافي؛ فالتكاثر يُحرف غايات الوعي والثقافة ويحوّلها الى ما يُضاد التثقيف بمعناه الواقعي، والفقر يُسِف بالمستوى الثقافي الى الحضيض، فلا يحصل أي تقدم وقوام ثقافي مع التكاثر المستغل ولا مع الفقر المُدقع. وان السبيل الى ذلك المقصد ليس إلا التوازن الاقتصادي والتعادل المعيشي في الناس، حتى ينال كل فرد ما يحتاج اليه في مراحل التوعية والتثقيف.

أضف الى ذلك، ان التكاثر يحمل الثقافة الانسانية والقيم السامية على ان تترك مكانها للثقافة الساقطة المبتنية على الصلات الآكلية والمأكولية الاقتصادية، ويحول تبني الفضيلة، وقيمها الى تبني المال والاستيلاء الاقتصادي، والى استغلال الحركات العلمية ايضاً.

د - التوازن الاقتصادي والقوام التربوي: ان المانعين كما يمنعان النشاطات الثقافية والعلمية من ازدهارها وتقدمها السالم، ويقضيان على سلامة الثقافة الانسانية ونضجها، كذلك يُحرفان النظام التربوي ويُسِفان به. ولقد جاءت فصول موضحة بهذا الصدد في الباب الحادي عشر، في أحوال المتكاثرين والفقراء، فيراجعها القارئ بإذن الله تعالى.

أجل، ان التربية بذراً لا ينمو إلا في تربة مستعدة صالحة، وهل يُبقي التكاثر أو الفقر استعداداً واعياً للانسان ونشاطاً سليماً له، حتى يبلغ بهما

الى ذروة من ذرى التربية الصحيحة والكافية والمتقدمة؟ وهل تجد التربية الانسانية والاجتماعية، التي تكون بطبعها مليئة بعناصر الفضيلة والاحساس الانساني، سبيلاً الى الكيان والتحقيق في وسط متكاثر فقد أحاسيسه الانسانية ولا يأبه ببناء نفسه وصقل انسانيته، أو في وسط فقير لا يقدر على بناء نفسه ولا مجال له لان يفكر في شيء سوى كسب ما يقوت به؟ ان التكاثر يُلهي ويصد الانسان عن الالتزام والرسالية، وان الفقر يُقعد بالانسان عن مستواه اللائق به؛ فمن أين تظفر التربية بتحقيق آثارها الايجابية في النفوس، اذا كانت مصفدة بأغلال التكاثر الملهي أو الفقر المسف؟ فلا قوام تربوياً انسانياً للمتكاثرين، ولا قوام تربوياً انسانياً للفقراء.

هـ - التوازن الاقتصادي والقوام الخلقي: من الواضح، ان المانعين لا يدعان تأثيرهما السيئ على أخلاق الناس وروحياتهم. فالاقتصاد التكاثري له أخلاق خاصة ساقطة غير انسانية، منها الآكلية والمأكولية الاقتصادية (يأكل عزيزها ذليلها، وقويها ضعيفها). وعلة ذلك ان الصلات الاجتماعية والانسانية في المجتمع التكاثري تقوم على أصل الامتصاص والاستغلال وتضييع الحقوق ومنعها وسرقة ارزاق الناس وتحقيرهم وابقائهم في الحاجة والشقاء، تطويعاً لهم يفرضه عليهم المتكاثرون. ومن المعلوم ان لمن يعمل بهذه السيرة مع ابناء نوعه اخلاقاً متلاحمة معها.

وهذه الأخلاق اذا كانت موجودة في أشخاص وأفراد، لا تبقى محصورة فيهم، بل تتعدى وتتسرب الى غيرهم شيئاً فشيئاً، الى ان تسود الجو الاجتماعي. فالناس في امثال هذه المجتمعات تنصهر نفوسهم بتلك

الروحيات السيئة والساقطة. أجل ان الناس في مجتمع الذئاب يتحولون ذئاباً، لكي يتمكنوا من أن ينقذوا شيئاً من حقوقهم من تلك البراشن والمخالب. واما الفقر فانه ايضاً يسحق الخلق الفاضل سحقا، ويميع الأخلاق الشريفة تمييعاً لا يبقى معه مجال لتدريب النفوس على فضيلة أو مكرمة خلقية. ولقد مر بنا القرآن والحديث الباحثان عن تمييع أخلاق المتكاثرين والفقراء، في الفصول الماضية.

ففي هذا الضوء - مما رُسِمت معالمه واضحة - نُشاهد ان دور التوازن الاقتصادي في ايجاد القوام الاخلاقي وتركيز أسسه امرٌ واضح. وان الأناسي الواجدين لشخصية متزنة، انما يربون في مجتمع متعادل يسوده التوازن الاقتصادي والقسط المالي والمعيشي.

و - التوازن الاقتصادي والقوام الصحي: من اللاحب ان الانسان يفقد صحته في حالتين:

١ - اذا لم يجد قوتاً كافياً يقيه.

٢ - اذا وجد فوق ما يكفيه فانغمس فيه.

فكل من هاتين الحالتين يُخرج المزاج الانساني من الحد الصحي المعتدل الى الذبول والفساد والبوار. ولقد وردت أحاديث بصدد بيان الحالتين والتأكيد على اضرارهما، كما مر بنا في فصول الكفاح ضد التكاثر والفقر، في الباب الحادي عشر.

ولعل الأمراض الروحية والجسمية الكثيرة التي تصيب أهل البلاد المتكاثرة والرأسمالية، والبلاد الجائعة الفقيرة، هي تشهد على ذلك بوضوح. وهناك أمراض روحية هامة، لا تقل عن الأمراض الجسمية

ضرراً، تحدث في الانسان بسبب التكاثر والغنى المفرط والترف المعيشي، أو بسبب الإقلال والفقر المعيشي. وكل هذه الأضرار - ولقد مر ذكر كثير منها - تعم المجتمع وتدمر قوامه من جوانب مختلفة - كما لا يخفى. ولا سبيل الى إزاحة ذلك إلا بقيام الناس بالقسط، مبرمجين لاقتصاد متوازن، لا يُجاوز حد القصد القوامي امتلاكاً واستهلاكاً، حتى لا يوجد في الناس انسان يعدم القوت، ولا انسان ينهب الاقوات.

ز - **التوازن الاقتصادي والقوام الديني:** ان الغنى التكاثري يضر بحياة الدين ويعوق المتكاثر عن القيام بالوظائف الاسلامية وتطبيق أحكامه الشخصية والاجتماعية، اذ التكاثر يُلهي عن الالتزام - كما جاء في القرآن. ولقد سلف الكلام عن كثير من سلبياته في الباب الحادي عشر.^١

وكان منها ضعف اليقين ووهن الدين والاقبال على الفجور والمعاصي. وكذلك الفقر ايضاً يوجب القعود عن الوظائف الدينية ويؤدي الى الجهل وانحلال المعتقد في نفوس المعدمين - كما مر^٢. ولقد نقلنا فيما سلف، عن الامام ابي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام، ان الفقراء يجب ان يُعاونوا على أمر دينهم بإعطاء المعونة لهم.

فالتكاثر والفقر كلاهما يعملان على فساد الدين ويصدان الناس عن الانصهار بروح التربية الدينية والتكامل المعنوي. وان الذي يوجب حياة الدين وحضوره في المجتمع وتغلغله في سائر النفوس وقوامه في الجماهير،

١ - راجع: فصول الكفاح ضد التكاثر، والفصل ٤٠، من الباب ١١ من كتاب الحياة.

٢ - راجع: فصول الكفاح ضد الفقر، والفصل ٤٠، من الباب ١١ من كتاب الحياة

هو التوازن الاقتصادي والتعادل المالي والمعيشي، كما يقول الامام علي بن أبي طالب عليه السلام: (العدل حياة الأحكام).^١

ح - التوازن الاقتصادي والقوام الفني: ان الفن - بما له من التعاريف - لا يزدهر إلا بيد أناس تفتحت أرواحهم، وصُقلت نفوسهم، وشُحذت أذهانهم، وتجلت مواهبهم، وأرهفت ضمائرهم.. وان تفتح الأرواح وصقل النفوس، وشحذ الأذهان، وتجلي المواهب، وارهاف الضمائر امور تتوقف على تربية زاخرة فيأضة، في مجتمعٍ سالم متعادل يتمتع بالقواميات التوازنية العلمية والفنية والتربوية والصحية والاخلاقية.. وإلا فلا يكون الفن إلا وبالاً.

ومن هنا يتضح جلياً ان من أهم رسالات العدالة الاجتماعية، هي ان تحول المجتمع الى بيئة انسانية تنمو فيها الفضيلة ويعلو فيها الحق وتُشاد اعلامه، وتُحصنه ضد ان يكون بيئة حيوانية يُفكر كل فرد من أفرادها في أكل الآخرين. واذا صار المجتمع مجتمع التوازن والعدل، تتفتح في أجوائه الأرواح، وتُصقل النفوس، وتشحذ الأذهان، وتجلي المواهب، وتُرهف الضمائر، فينمو فيه الفن الصافي الملتزم باللامع، فيعمل على تجسيد المثل وتمثيل القيم، وبذلك ينجح في تنمية الملكات الانسانية وفي تقويم الأود، وتصحيح الأفكار والاتجاهات، فيأخذ عند ذلك بأيدي الناس ويوصلهم الى صعيد الفلاح والتقدم والنجاح.

ط - التوازن الاقتصادي والقوام الزراعي: هذه الصلة ايضاً واضحة؛ لأن

حاجات الناس لا تؤمن الاقسام الأصلية منها إلا بالفلاحة والزراعة واستعمار الأرض واستنباط المياه والاستفادة من المواهب المودعة في الأرض. ومن الواضح، ان النظام التكاثري الذي يسوق الناس الى الاستهلاك والرحلة الى المدن الكبيرة والسكنى فيها، يبعث في النفوس ما يضاد الصبر اللازم والعمل الجاد الذي يقوم عليه الانتاج الزراعي وتوفيره وتوسيع نطاقه. وكذلك الفقر يضر بهذا الانتاج، لأنه يؤدي الى الجلاء عن القرى والأرياف.

وهناك مسائل هامة تتعلق بماهية الحياة القروية وقضية الأراضي والمياه، مما له دخل في سلامة الزراعة وقوام المجتمع الزراعي، نترك ذكرها بالتفصيل. وكل ذلك يُرشد الى ان الأمر لا يقوم إلا بالعدالة والقسط واقامة التوازن الحق.

ي - التوازن الاقتصادي والقوام الصناعي: من الثابت ان الصناعات كلها - من المدنية والقروية، اليدوية وغير اليدوية، الخفيفة والثقيلة، القديمة والحديثة - لا تنضج ولا تنمو إلا بالنشاط الوافي، والعمل الدؤوب، والصحة البدنية، والتغذية المكفية، والتقدم الفكري، والاختصاص البارز، في كل قسم من أقسام الصناعات وشعبها الأصلية والفرعية. والكيفيات المذكورة تقوم على سواعد الانسان النشط، المتمتع بالصحة والغذاء الكافي، الواجد لشخصية مصونة الحزمة والحقوق، ذات الاتكال على النفس.

وكل ذلك لا سبيل الى تحقيقه، بصورة صالحة يرضى عنها الله والضمير الانساني، إلا في مجتمع قد شجب الافراط والتفريط الماليين وسلبياتهما المدمرة للكيان الانساني - وهذا واضح. فلا صناعة متقدمة

وسليمة في مجتمع يسوده الفقر المدقع الذي يحط الكرامة الشخصية ويهدم الجسد وقواه.

وهناك جهة أخرى أهم مما مرّ، وهي ان التكاثر الاقتصادي يخرج الصنعة من صورتها القوامية والمفيدة الى صور تجميلية واستهلاكية ويسوق المجتمع الى تبنيها، فالابقاء على فائدة الصناعات وغاياتها الصالحة للانسان والحياة، لا يُضمن إلا باقامة التوازن وتطبيقه.

يا - التوازن الاقتصادي والقوام الاستيرادي: ان الاستيراد امر ضروري للمجتمع الانساني وحياته، اذ الارزاق والأمتعة والأدوية وسائر ما يحتاج اليه الإنسان غير مجتمعة في مكان. وقد جعلها الله تعالى هكذا تنشيطاً للناس ودفعاً لهم الى التعارف والتعامل والسفر الى بلاد الآخرين والسير فيها والوقوف على ما خوّله الله اياها، ومآرب أخرى لا يقتضي المقام ذكرها.

ففي الضوء المذكور، يجب ان يكون في الأوساط والمناطق أناس يجلبون الارزاق والأمتعة اليها من الأماكن الدانية والقاصية، ويجعلونها في متناول الناس. ومن الحقائق الجلية ان الاستيراد اذا لم يكن قائماً على اصول التوازن والقصد ومحدوداً في إطارهما، يتحول بأدنى شيء الى ألوان من الظلم والغلاء والحكرة والتسعير المجحف وما الى ذلك. واضرار هذه الأمور وأمثالها بالمجتمع وقواماته المختلفة مما لا يخفى.

ولذلك جاء ذم التجار والمستوردين في الأحاديث وتسميتهم بالخونة والفجّار والذئاب، واستثنى منهم المتقون (وقليل ما هم). قال مولانا أمير

المؤمنين عليه السلام: (ان الله عز وجل يعذب ستة ستة.. والتجار بالخيانة..)^١.

وفيه من يستورد السلع الكمالية ويسوق الناس الى شرائها بالاعلام المموه وايجاد الطلب الكاذب، فيضر بالناس ويمتصهم ويشيع فيهم التميع والفساد، ويهدم الاقتصاد السالم ويحوّله الى نظام تضخمي مبيد. كل ذلك طلباً للربح الكثير وجمعاً لمال أكثر؛ وبالله خسران؟!

يب - التوازن الاقتصادي والقوام السياسي: ان النظام التكاثري يُسبب خور الحكم السياسي وضعفه من جهات:

١ - انه يخلق الفقر والحرمان. وهما من أهم القواعد الأصلية للانحلال العقيدي (كاد الفقر ان يكون كفراً)^٢، والتميع الشخصي (من عَدَم قوته كثر خطاياه)^٣، والتوتر الاجتماعي، والفتن الشعبية واشعال نيران التمرد والعصيان.

٢ - انه ينفذ في الحكم لا محالة، فيفرض استيلاءه عليه، ويسوق النظام السياسي الى الانحياز، ويضغط على الجهات المسؤولة كي تطور النشاطات الاقتصادية تطويراً يلائم دخوله ومنافعه وان كان مبيداً للجماهير، ويمهد لما يستهدفه من الاستغلال والاستئثار. وكل ذلك مما يسحق القوام السياسي سحقاً.

١ - الخصال ١/٣٢٥. راجع: الفصل ٨، من الباب ١١، من كتاب: الحياة.

٢ - راجع: الفصل ٣٢، من الباب ١١ من كتاب: الحياة.

٣ - راجع: الفصل ٣٠ من الباب ١١ من كتاب: الحياة.

٣- انه يظلم الناس بألوان الظلم، ويمنعهم حقوقهم، فيستتبع ذلك سخط الناس وتمردهم، وانخداعهم بسائر الدعايات والاتجاهات. على هذا، فالهدوء السياسي وقوة الحكم وقوامه، انما يتاح في ظل العدالة الاجتماعية والتوازن المعيشي، كما يقول الإمام علي عليه السلام: (العدل الاقتداء بسنة الله، وثبات الدول)^١. ويقول في كلام آخر، يصف فيه موجبات الحكم القائم على العدل والقسط والتوازن: (..طاب به العيش، وطُمع في بقاء الدولة، ويئست مطامع الاعداء)^٢.

يج - التوازن الاقتصادي والقوام القضائي: ان النظام التكاثري لا يمكن له البقاء والنشاط والفعالية، من غير ان ينفذ في السلطة القضائية. اذ السلطة القضائية هي المسؤول الكبير عما يقترفه المتكاثرون من الخيانة والإجحاف والتعدي، وهي التي تعالج قضاياهم وتجعل لهم الحدود، وتسترد منهم الحقوق والأموال. لأجل ذلك فانهم ينفذون في تلك السلطة قبل كل شيء، حتى يتمكنوا من غاياتهم الاستغلالية ويترجع لهم الميزان في كل ما يقع بينهم وبين الناس من المعارضة والخلاف. وعلى العكس منهم الفقراء والمحرومون فليس لهم أدنى صلة بالسلطة القضائية في المجتمع الذي يوجد فيه التكاثر، فهم لا يُفلحون في الدفاع عن كيانهم الحقوقي والقضائي عند السلطة وجهاتها المسؤولة.

١ - غرر الحكم ١/ ٢٢٦.

٢ - نهج البلاغة / ٦٨٣: عبده ٢ / ٢٢٤.

وعليه فالقوام القضائي لا يتحقق في أي مجتمع إلا بشجب هذه العوائق والموانع، باقامة التوازن والعدل على مستوى الجماهير.

يد - التوازن والقوام العسكري (الدفاعي): ان النظام السياسي والاجتماعي الصالح، والقادر على الادارة، وانفاذ الامور بصورة لامعة، هو النظام الذي يستند الى الجماهير وارادتها وقوتها ويتمتع في مناصرتها له عند طوارق الحدثن، فتكون قدرات الجماهير عوناً له معدة لخدمته في كل آن. وهذا الأمر انما يحصل اذا كان النظام الحاكم نظاماً في خدمة الجماهير ومتطلباتها، صائناً لكرامتها، موصلاً اليها حقوقها، مدافعاً عنها عند كل ظلامة أو جور، لا في خدمة الحفنة الخاصة، من أهل الاستئثار المالي والحيث الاقتصادي والتخلف الفكري.

وان كان نظام من النظم السياسية والحاكمة، يحتاج الى اعضاء وأعوان يقومون بنصرته ويزودون عنه عند الحاجة، ويردون عنه عدوان الأعداء وعادية المتجاوزين، ويضحون بأموالهم وأنفسهم كلما أدت الحالة الى لزوم التضحية والقيام بها، وأين هذه الأمور المذكورة من المتكاثرين والأغنياء المترفين وأولادهم وذويهم، أين؟ ان هذه الحفنة هي أهل البذخ والترف والانغماس في الشهوات والملاذ، والاستمتاع من الامتعة الكمالية والأدوات التجميلية، والملابس القشبية والناعمة، والتفوي تحت ظلال الدعة والأمن، نابهن لصحتهم تحت العناية الطبية. وهل هذه الأمور تلائم شيئاً من التضحية والايثار؟ لا، بل هي اجنبية عن الانسانية والايثار الاجتماعي والتضحية المقدسة في سبيل مثل الفضيلة والخير.

ولأجل ما ذكرنا - وهو واضح - فان اصحاب هذه الأحوال هم عالات

على سائر الناس، يفرون عند كل ملمة، ويتجنبون أي شكل من أشكال الحركات التغييرية والثورية المتطورة، بل ينضمون الى القدرات المعارضة، اذا وعدتهم تأمين منافعهم، لانهم يطلبون جواً هادئاً يتيح لهم استغلال الناس وتكديس الأموال من ناحية والانغماس في اللذة والنعيم من ناحية أخرى. فهل يقوم على سواعد هؤلاء عسكري، أو يرتجى منهم حفظ أو دفاع؟ وليس احد من الرعية أقل معونة للحكم من هؤلاء في البلاء - على حد تعبير مولانا أمير المؤمنين عليه السلام.^١

أضف اليه، ان النظام التكاثري يدفع سائر الناس ايضاً الى التحلل من الالتزام والتملص من قيود الواجبات الاجتماعية لانه يبتث الفساد والتسيب في المجتمع - كما سلف القول - ويسوق الناس الى الاستهلاكية وتبني اخلاق المترفين والباذخين، ويُطبع روحياتهم بعبادات المسرفين الكذابين، وبذلك يسحق حميتهم وتحفظهم، ويسلخ عنهم صمودهم ورغبتهم الى التضحية والايثار.

هذا في التكاثر، وأما في الفقر فمضاداته لقوام المجتمع العسكري والدفاعي أمر واضح. ولقد مرّ في الفصول السابقة ذكر آثار الفقر المدمرة للشخصية الانسانية، الفردية والاجتماعية، وقدراتها البدنية والروحية والفكرية. ان الفقر يسلب الناس طاقاتهم ويضعف بنيتهم البدنية ويذهب بصحتهم، ويهدر كرامتهم ويسحق كيانهم، ويفرض عليهم الفتور والخمول، والتحلل من الواجبات الاجتماعية في كل جانب، فلا تنمو فيهم شجاعة ولا يرى منهم صمود، وان كان الدفاع - في أغلب الأحيان - يقوم

١ - نهج البلاغة / ٩٩٦؛ عبده ٣ / ٩٦.

على كواهل المحرومين والمستضعفين، وان الدماء التي تُبذل لصيانة الدين والبلد هي دماؤهم، التي لم تمتزج بدماء المتكاثرين والمترفين القذرة. فعلى هذا الأساس، يجب ان يكون الحكم مقيماً لأسس التوازن الاقتصادي، برفض المانعين، حتى يتيسر له ان يُشكل قوة عسكرية ودفاعية مؤمنة وبأسلة، تدافع عن الإسلام والمسلمين، وتحمي حمى القرآن العظيم.. وتجاهد لبثّ المثل الإسلامية العليا لغرض انقاذ الإنسان من اسر الجور والظلم، ولا سيما الانسان المعاصر، المضطهد، المظلوم.. نُضيف الى الكلام، ان التوازن الاقتصادي يوصلنا الى تأمين القوة الدفاعية من طريقين:

- ١- هدم التكاثر واساسه، حتى يهدم بذلك السبب الأصلي لتميع الناس وموت روح البسالة والانضباط والالتزام الدفاعي فيهم.
 - ٢- توزيع المال والمواهب بالعدل ومداولة الثروات بين الناس، وتمهيد تربة صالحة لتربية قوى المجتمع المادية والمعنوية وتنميتها، وجلب رضا الجماهير، الذي يؤدي الى انضواء القطاعات المختلفة تحت لواء الحكم والدفاع عنه، والتضحية في سبيل بقاءه ومصالحه.
- ويرشدنا الى ذلك الأمر الحياتي الحق، الامام علي بن أبي طالب عليه السلام في عهده لمالك الأشتر النخعي، فلنقرأ مع القراء سطوراً من هذا العهد العظيم: (..وليكن أحب الأمور اليك أوسطها في الحق، واعمها في العدل، وأجمعها لرضا الرعية، فان سُخط العامة يُجفف برضا الخاصة، وان سُخط الخاصة يُغتفر مع رضا العامة. وليس أحد من الرعية أثقل على الوالي مؤونة في الرخاء، وأقل معونة له في البلاء، وأكره للانصاف، وأسأل

بالاحاف، وأقل شكراً عند الاعطاء، وأبطأ عذراً عند المنع، واضعف صبراً عند ملومات الدهر من أهل الخاصة. وانما عمود الدين، وجماع المسلمين، والعدة للأعداء، العامة من الأمة، فليكن صفوك لهم، وميلك معهم).^١

يه - التوازن الاقتصادي والقوام الاقتصادي: ان قوام المجتمع الاقتصادي - وهو من القوامات الرئيسية - لا يقوم ايضاً بالتكاثر ولا بالفقر. أما الفقر فواضح، وأما التكاثر فلانه يساوق الحرية في الامتلاك والحرية في الاستهلاك. وهاتان الحريتان هما من عمدة الأسس الساحقة للقوام الاقتصادي، والمعاول الهدامة له. فالتكاثر والفقر سببان اصليان لانهايار قوام المجتمع الاقتصادي وتعاونيه المالي وتوازنه المعيشي الذي يدعو اليه الإسلام بكل جدية وحزم؛ لأن الله تعالى يأمر بالعدل والاحسان، قل امر ربي بالقسط، يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط.. وعلى العكس منهما فان التعاون المالي والتوازن الاقتصادي، يضمنان سلامة صلات المجتمع الاقتصادية والرشد المالي في القطاعات بصورة صالحة. وبذلك يتحقق القوام الاجتماعي في كل حقل.

ولنكن على انتباه، من ان النظام الاقتصادي، السالم المتقدم، هو الذي يسوده القسط والتوازن والتعادل في كل النواحي التي يتوقف كيانها الانساني والاسلامي على القسط والتوازن، فيسوده التوازن:

- في مقدار العمل وحدّه لكل فرد من أفراد المجتمع (١)،

- في توزيع العمل وتقسيمه بين الأفراد (٢)،

١ - نهج البلاغة / ٩٩٦؛ عبده ٣ / ٩٥ - ٩٦.

- في تعيين قيمة الاعمال والاشغال الكيفية (٣)،
 - في العمل وما يكابده العامل من جهة، وأجرته ودخله من جهة أخرى، وتطبيق ذلك في كل الأعمال والاشغال (٤)،
 - في مبلغ الدخل والأجرة، ومقدار ما يحتاج اليه الفرد طبقاً للمستوى الاجتماعي والمعيشي (٥)،
 - في مقدار الامتلاك وجمع المال لدى أي فرد (٦)،
 - في مقدار الاستهلاك والتمتع من المواهب لكل فرد (٧)،
 - في كمية الانتاج والاستيراد (٨)،
 - في كيفية الانتاج والاستيراد (٩)،
 - في الطلب والعرض (١٠)،
 - في التسعير والرقابة الشديدة عليه (١١)،
 - في مستويات المعيشة لكل الناس، حتى الأمور الصحية (١٢)،
 - في سائر النشاطات الحياتية التي يقوم بها الناس (١٣)،
 - في الامكانيات المعنوية كطلب العلم ونشر التربية (١٤)،
 - في اشغال المراكز والشؤون الاجتماعية والسياسية (١٥)،
- وليعلم رجال المجتمع والحكم ومديرو المؤسسات الاجتماعية، ان أهم العوامل التي تحطم القوام الاقتصادي وتجره الى هوة التلاشي والسقوط

١ - لان التسعير الحر وإقراره في المجتمع الذي لم تترسخ فيه التربية القرآنية (ولا يكون تجارة متقين معطين للحق وآخذين له، ولا يكون كاسبه في الواقع حبيب الله، بل هو حبيب الدخل والربح) لظلم عظيم.

هو الانحراف عن أصل (التوازن) ومن نماذج ذلك الانحراف هو الغلاء والتضخم، فالغلاء أحد أسباب التوتر الاجتماعي والفوضوية الاقتصادية. وان من مناشئ هو رفض التوازن الاقتصادي بألوانه المختلفة، ومنها التوازن في العرض والطلب. ومنها تبرير الحرية الاقتصادية التي تضخم الثروات بالتصاعد وتصيرها دولة بين الأغنياء.

٧ - الكتاب والحديد ودورهما في تركيز أسس التوازن:

ان الاسلام كما يستند لقرار العدل (التوازن الاقتصادي)^١ الى الكتاب وبثّ تعاليمه بين الناس وتوعية الناس بمناهجه، وكما يعد التنمية الفكرية والمعنوية وتثقيف النفوس لذلك ضرورياً، كذلك يستند الى استعمال القوة والحديد لحمل المعتدين على قبول العدل ورعايته، حيث يرى انهم لا يرجعون للحق إلا بالإرغام.

ان طابع العلم والوعي والانتباه الاجتماعي والاخلاق الفاضلة والمعنوية في اقرار العدل وتجسيده في بناء متوازن، أمرٌ اساسي لا ينكره النابهنون والمفكرون الاجتماعيون والمصلحون. وذلك لان الحافز الأصلي لتطور المجتمع الانساني وتحولّه هو متطلبات الانسان ودواعيه الباطنية ورغباته الأصلية. وهي التي يجب ان تتهدّب بفضل التربية الصحيحة والتوعية الناجعة والانتباه الموجه، حتى تدفع الناس الى تبني الانصاف والعدل، وتؤهلهم لقبول التوازن والعمل بمقاييسه في كل شيء؛ بيد ان هذا الأمر وحده لا يكفي لتحقيق هذا المقصد الهام والعام، ولا يفيد في كل موقفٍ

١ - نفسّر العدل بالتوازن الاقتصادي، لأننا نأظرون هنا الى هذا البعد منه.

وبالنسبة الى كل شخص وقطاع، فان هناك المكذبين للمصلحين، والمزدرين بشيعة الفضيلة، ممن لا حيلة في دفعهم وخلاص الانسان المضطهد من براثنهم إلا بالقوة والحديد، كما يقول الامام علي عليه السلام: (القوي عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه)، فيجب ان يُكبح جماح اولئك الأقوياء حتى يُرغموا على قبول الحق واعطائه ورعاية التوازن والتسليم لمقاييسه.

أجل، ان العقبات المتكدسة امام الحركات الاصلاحية والتغيرية والنهضات التكاملية والتقدمية، ليست بالتى تُزاح بيسرٍ وسهولة، فتمسّ الحاجة - لنفس اقرار الفضيلة والخير - الى الضغط والارغام بالقوة القهرية، حتى تنهار تلك السدود والموانع التي توجدّها وتعبئها القدرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، بل والعسكرية في أحيان كثيرة.

ان من السذاجة الفكرية - أو من حيل المتكاثرين وتلقيناتهم الموهبة - ان نعتقد بان الموعظة والتذكير وحدهما يكفيان للتطوير والاصلاح، ويدفعان كل فرد الى سلوك الصراط السويّ، بأخذ الحق وإعطاء الحق، ويوليان وجوه الطواغيت الاقتصاديين والجبابرة المترفين شطر العدالة والقسط، ويكسران الأصنام المالية، ويردعان الموسرين عن عبادة الدرهم والدينار، ويقضيان على ما هنالك من الطغيان الاقتصادي ويستأصلان شأفة الاستكبار والاستضعاف بالمرّة هيهات.. ان الموعظة والتذكير وحدهما غير قادرين على تأدية هذه الرسالة الانسانية والقرآنية العظيمة، وإلاّ فلم يُنزل الله تعالى الحديد، فيه بأس شديد، ولم يقل النبي الأسوة صلى الله عليه وآله وسلم فيما رواه الامام ابو عبد الله جعفر الصادق عليه السلام: (الخير

كله في السيف، وتحت ظل السيف، ولا يقيم الناس إلا السيف، والسيوف مقاليد الجنة والنار^١.

تأمل في هذا التعليم النبوي بامعان، ان نبي الرحمة يقول عن السيف هذا القول. وذلك لان السيف يأخذ حقوق الجماهير المضطهدة التي رُضت عظامها تحت نير الظلم والجور والخطرة والاستكبار، هو الرحمة بالذات. ولعل اتخاذ هذا الموقف مما لا يروق الذين يريدون ان يستغلوا الناس ويمتصوا دماءهم، ويركبوا ظهورهم، ويطأؤهم بأقدامهم، من دون ان يعرقل سبيلهم شيء، ولكن الحق ان السيوف - كما قال النبي الهادي صلى الله عليه وآله وسلم - مقاليد الجنة اذا كانت لاقامة العدل والحق، ومقاليد النار اذا كانت لاشاعة الظلم والباطل، وان لم - يرق ذلك نفاة العدل والحق وبُغاة الظلم والباطل. حيث يُنكرون السيف (وإعمال اية قوة قهرية في الحركات الاجتماعية، حتى التغييرية منها) لئلا يُعيقهم عما يشاؤون وعن كل شيء يشتهون عائق.

٨ - ضرورة تحديد الصلات الاقتصادية للحكم الإسلامي:

اذا كان الحكم الاسلامي ميزاناً للمجتمع وحركاته المختلفة وهو يرمي الى غرض ايجاد القسط والتوازن، فتصبح من أهم واجباته الرقابة على ما يلي:

١ - على حركة المال في المجتمع.

٢ - على توزيع الامكانيات وما الناس اليه محتاجون.

١ - الوسائل ١١ / ٥.

٣ - على سائر الصلات الاقتصادية.

٤ - على تجسيد أصل (التقدير في المعيشة) في شتى الجوانب.

أ - في الانتاج الزراعي.

ب - في الانتاج الصناعي.

ج - في الاستيراد.

د - في الامتلاك.

هـ - في الاستهلاك، وما الى ذلك.

لأن عدم اقامة الحكم على الأمور المذكورة وعدم تدخله فيها كميزان وعدم قيام جهاته المسؤولة والقادرة على الرقابة بها، يوجب ان تدفع استزادة المتكاثرين المجتمع الى الافراط والتفريط الماليين. وذلك يؤدي الى انهيار الحكم وهلاك المجتمع - كما سلف القول - واما اذا انحاز الحكم الى فئة التكاثر والارستقراطية فحدث عنه ولا حرج، فالحكم المنحاز الى تلك الفئة ليس اسلامياً، كان الانحياز مُعلنًا أو غير مُعلن، وكان بأسام صالحة شرعية أو بغيرها. وان حكماً كهذا لا يتمتع بحب الناس له وثقة الناس به، وان ايامه تُصبح مليئة بالاضطهاد والضغط وفرض السلطة.

ولقد ابان الامام ابو الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام، هذا الواجب الإسلامي للحكم في أحد أحاديثه وتعاليمه، حيث تكلم فيه عن حكمة شرعية الحكم والولاية، وقال انها هي التحديد المصلح والرقابة على الصلات الاجتماعية والاقتصادية: (فان قال: لِمَ جعل اولي الامر وأمر بطاعتهم؟ قيل لعل كثيرة: منها ان الخلق لما وقفوا على حد محدود وامروا ان لا يتعدوا ذلك الحد لما فيه من فسادهم، لم يمكن أن يثبت ذلك ولا يقوم

إلا بأن يجعل عليهم فيه اميناً يمنعهم من التعدي والدخول فيما حُظر عليهم، لأنه لو لم يكن ذلك كذلك، لكان أحد لا يترك لذته ومنفعته لفساد غيره، فجعل عليهم قيماً يمنعهم من الفساد..^١

والتعليم الرضوي يشتمل على بيان نكات هامة، يجب ان نتأملها بروح الملاحظة، وهي:

أ - ان هذا المقطع من كلامه: (ان الخلق لما وقفوا على حد محدود، وامروا ان لا يتعدوا ذلك الحد..) يُفهم بوضوح ان الأصل الحاكم على الاقتصاد الإسلامي، هو أصل المحدودية والرقابة على تطبيقها، ولا سيما مع النظر الى ان حب المال والاكثار منه حافز قوي في الانسان. فالأصل هو المحدودية في الصلات الاقتصادية - امتلاكاً واستهلاكاً - لا الحرية والقاء الشروط والقيود، مما يلائم طبائع المتكاثرين والمترفين والطواغيت الاقتصاديين والمستغلين والذئاب من المستوردين واصحاب المعامل والمصانع والمزارع، الآكلين لحقوق الضعفاء من الفلاحين والكادحين وغيرهم، فلا يُطلق الاسلام سراح اولئك لأن يعملوا ما يشاؤون وتشاء لهم الميول والرغبات، حتى يدمروا المجتمع بفرض المحذورين الكبيرين عليه: التكاثر والفقر.

ب - ان الحد الذي اشار اليه التعليم الرضوي، قد تكلم عنه القرآن الكريم والأحاديث الإسلامية، وهو الحد القوامي السالم المتوازن لتأمين حياة سليمة وانسانية للجماهير. فعلى الحكم الاسلامي ان يحد حركة

١ - عيون أخبار الرضا ٢/ ١٠٠.

الأموال والثروات، وان يُخرجها من كونها دولةً، وان يُراقب المواهب والمناجم الطبيعية، من جهة الاستخراج والانتاج والتوزيع والاستهلاك، حتى تخضع لقانون القسط والتوازن، وتقف عند ذلك الحد المشروع المعين.

ج - ان الاكتناز وتكدّس المال الوفير لدى افرادٍ، خروج عن الحد الإلهي والقوامي وموجب لفسادهم وفساد غيرهم - كما أوضحناه في سالف الفصول - ويشير اليه هذا القول: (لما فيه من فسادهم). والمنع من ذلك الفساد ورفضه لازم، كما يشير اليه الحديث ايضاً: (يمنعهم من الفساد).

د - يُعلم من الحديث ان لعلماء الدين ايضاً في هذا المجال مسؤولية. فهم اذا كانوا متدخلين في القضايا السياسية والاجتماعية نافذي الكلمة فيها، فعليهم ان يعملوا على تحديد الصلات الاقتصادية والرقابة على ذلك التحديد، حتى تتحوّل النظم المالية الفاسدة والمفسدة، (المستتبعة للفوضوية الاقتصادية، الموجدة للتكاثر والفقر، المنتهية الى الآكلية والمأكولية المالية، الباعثة على هدم أساس الدين، وضعف المعتقدات الحقّة في المعتقدين، وإكداء آمال الأملين)، الى نظامٍ قرآني صالحٍ متوازن قائم بالقسط، نافخٍ لروح الأمل والإيمان والنشاط في الجماهير، كما يدعو اليه الكتاب السماوي.

إنذار عظيم:

يجب ان لا يذهب عن الباحثين، ان أوّل ما يجب على أي حكم إسلامي، هو ان يعتمد الى إرساء قواعد العدل الاقتصادي ومحو كل ما كان قبله من صور الجور والحيث، توطيداً لإحياء أحكام الله تعالى، في الوسط الذي قام فيه. هذا هو الذي يترأى لاحقاً جلياً من الآيات والأخبار والسيرة العملية للمعصوم عليه السلام، كلّما وقع بيده أمر. وكانت الغاية المذكورة من أهم أهداف عاشوراء ايضاً - كما سلف القول في الجزء الخامس .

ولا حاجة هنا الى ذكر آية أو حديث، بعد ما يجد الباحث هذه الفصول تزخر بتلكم الآيات والأخبار الناصّة على هذا الموضوع الإسلامي الأساسي، الذي لا تقوم بدونه تربية اسلامية أو تجسيد إسلامي، أي لا يُصنع من دونه فردٌ أو مجتمعٌ كما ينشده الإسلام. فإلى الفصل التالي..

الفصل الرابع

لا يصلح المجتمع إلا بالعدل

الكتاب:

١ - ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ...﴾^١

٢ - ﴿... وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ...﴾^٢

الحديث:

□ الشعب لا يصلحه إلا العدل

(١) الإمام علي عليه السلام: الرعية لا يُصلحها إلا العدل.^٣

(٢) الإمام علي عليه السلام: صلاحُ الرعية العدل.^٤

ألفاظ نظر:

لقد وهم من زعم ان الناس يُصلحهم شيء بلا اهتمام بامر العدل الاجتماعي والاقتصادي. فهذا علي بن ابي طالب عليه السلام، امام الانسان والانسانية في الأعصار، وقائد المجتمع الحكيم، وطبيب دائه

١ - سورة النحل (١٦): ٩٠.

٢ - سورة الشورى (٤٢): ١٥.

٣ - غرر الحكم / ٩٢.

٤ - غرر الحكم / ٢٠١.

الحاذق البصير، يقول في حسم وصراحة: (الرعية لا يُصلحها إلا العدل)،
(صلاح الرعية العدل) و(العدل يُصلح البرية)، و(بالعدل تصلح الرعية).
وهل تعرف - ايها القارئ! - انساناً آنس بالتقوى وادعى اليها من علي
ابن ابي طالب عليه السلام؟ فلماذا لا يقول هذا الامام - وهو سيد المتقين
وامام أهل التقوى واليقين -: (الرعية لا يُصلحها إلا التقوى) أو (التأكيد
على الظواهر الشرعية)؟ لأنه يعرف الحقائق الحياتية والعينات الاجتماعية،
وخواص الانسان روحاً وجسماً، ولقد عاش بنفسه الفقر ولمس سلبياته
وخالط المحرومين فعرف ما يُصلحهم وما يفسدهم، فيقول: (الرعية
لا يُصلحها إلا العدل).

ونحن - تبعاً لعلي بن ابي طالب عليه السلام، ومدرسته الاجتماعية -
نقول: المجتمع لا يُصلحه إلا العدل. وذلك لان الناس لو عُدل فيهم
لاستغنوا - على حد قول الامامين الصادق والكاظم عليهما السلام^١، فاذا
لم يعدل فيهم احتاجوا وافتقروا. والفقر - على ما جاء في تعاليم الدين
وأحاديثه^٢ - يهدم الدين، ويذهب بالعقل، ويشطب على التقوى والفضيلة،
ويحمل على الفجور والاثم. فلا يبقى مع هذه التبعات مجال للتقوى
والخير.

نعم، يمكن ان يوجد هناك افراد قليلون يحتفظون بدينهم مع الفقر أو لا
يخرجون عن اطار الدين، لكن هؤلاء ايضاً على قلتهم القليلة^٣ لا يسعهم

١ - راجع: الفصل السابق، فقرة (مح)

٢ - راجع: فصول الفقر، في الباب ١١.

٣ - راجع: التنبيه ٣٥، في النظرة الى الفصل الخمسين، من كتاب: الحياة.

انقاذ أهليهم من حقوق تبعات الفقر وشروره. وهل قلة كهذه تُصبح قاعدة اجتماعية عامة؟!

ففي هذا الضوء، لا سبيل الى اصلاح المجتمع إلا بتجسيد العدل على شتى المستويات، من الاقتصاد والقضاء، وفي المعيشة والتوزيع، وفي البيع والشراء، وفي الصحة والتعليم وما الى ذلك. وكذلك لا حياة للدين وأحكامه إلا بالعدل، كما صرّح به الامام علي بن أبي طالب عليه السلام (العدل حياة الأحكام)^١. فلا يرغب عن هذا الاتجاه والسعي لتطبيقه إلا من يجهل، أو من يتجاهل، أو من يضعف عن مكافحة الظلم الاقتصادي، أو من يجنح الى اصحاب الثروات ويصانعهم، أو من يطمع فيما بأيديهم، أو من يقصر عقله عن وعي حقائق الحياة ونواميس الدين وأسرار التربية.

□ ليس لله إلا العدل والإحسان.

٣) الامام الصادق عليه السلام: اسماعيل بن مسلم قال: جاء رجل الى ابي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام وانا عنده فقال: يا ابن رسول الله! (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى، يعظكم لعلكم تذكرون) وقوله: (إن الحكم إلا لله أمر ان لا تعبدوا إلا اياه)؟ فقال: نعم، ليس لله في عباده أمر إلا العدل والإحسان. فالدعاء من الله عام والهدى خاص.^٢

* يشير هذا التعليم الى ان الملاك الأصلي لاوامر الله تعالى هو الدعوة الى

١ - يأتي حديثه بعد قليل، في فقرة (ز).

٢ - تفسير نور الثقلين ٣/ ٧٨.

العدل والإحسان، حتى ان العبادات داخلة في هذه المقولة ايضاً، لانها عمل بالعدل في حق الخالق المنعم، واحسان الى النفس بتحصيل القرب لها.

□ العدل يصلح البرية:

(٤) الامام علي عليه السلام: العدل يصلح البرية.^١

(٥) الامام علي عليه السلام: بالعدل تصلح الرعية.^٢

□ العدل، ميزان الله تعالى:

(٦) الامام علي عليه السلام: ان العدل ميزان الله، الذي وضعه للخلق،

ونصبه لاقامة الحق، فلا تخالفه في ميزانه، ولا تعارضه في سلطانه.^٣

□ العدل رأس الإيمان وأعلى مراتبه:

(٧) الامام علي عليه السلام: العدل رأس الايمان، وجماع الاحسان،

وأعلى مراتب الايمان.^٤

□ العدل زينة الايمان:

(٨) الامام علي عليه السلام: العدل زينة الايمان.^٥

١ - غرر الحكم / ٣٢.

٢ - غرر الحكم / ١٤٦.

٣ - غرر الحكم / ١٠٣.

٤ - غرر الحكم / ٣٩.

٥ - البحار ٧٨ / ٨٠.

□ العدل حياة الأحكام:

٩) الامام علي عليه السلام: العدل حياة الأحكام.^١

□ العدل قوام الناس:

١٠) الامام علي عليه السلام: جعل الله سبحانه، العدل قواماً للانام.^٢

١١) الامام علي عليه السلام: العدل قوام الرعية.^٣

١٢) الامام علي عليه السلام: العدل قوام البرية.^٤

□ العدل خير السياسات:

١٣) الامام علي عليه السلام: خير السياسات العدل.^٥

١٤) الامام علي عليه السلام: لا رئاسة، كالعدل في السياسة.^٦

□ العدل سائنس عام

١٥) الامام علي عليه السلام - سئل علي عليه السلام: ايما افضل، العدل

أم الجود؟ فقال: العدل يضع الأمور مواضعها، والجود يخرجها من جهتها.

والعدل سائنس عام، والجود عارض خاص، فالعدل أشرفهما وأفضلهما.^٧

١ - غرر الحكم / ٣٠.

٢ - غرر الحكم / ١٦٥.

٣ - غرر الحكم / ١٩ و ٥٠.

٤ - غرر الحكم / ٢٠.

٥ - غرر الحكم ١٧١.

٦ - غرر الحكم / ٣٥٤.

٧ - نهج البلاغة / ١٢٩٠؛ عبده ٣/ ٢٥٨.

(١٦) الامام علي عليه السلام: كفى بالعدل سائساً^١.

□ العدل سعة وآفاق:

(١٧) الإمام الصادق عليه السلام: تبع حكيم حكيماً سبعة فرسخ، في سبع كلمات فمنها انه سأل: ما أوسع من الأرض؟ قال: العدل أوسع من الأرض^٢.

(١٨) الإمام الصادق عليه السلام: ... ما أوسع العدل اذا عُدل فيه، وان قل^٣!

□ العدل تسكين للقلوب وتنسيق لها:

(١٩) السيدة فاطمة سلام الله عليها - في خطبتها الشهيرة: والعدل تسكيناً للقلوب^٤.

* جاء في (الاحتجاج) (١/ ١٣٤): (تنسيقاً للقلوب)، والمعنى متقارب، فالعدل تسكين للقلوب وتنسيق وتوحيد لها. وان القلوب لا تتسق ولا تأتلف إلا بالعدل. فالتعليم الفاطمي هذا يشير الى امر رئيس هام في إصلاح المجتمع وتوحيد العزائم والصفوف. اذ القلوب اذا تنافرت تفرقت. واذا تفرقت تنكرت وتباغضت، وعندئذ فلا توجد بين الناس ألفة.

١ - غرر الحكم / ٢٤٢.

٢ - الخصال / ٣٤٨.

٣ - الكافي / ٢ / ١٤٦.

٤ - علل الشرائع / ٢٤٨.

ومما هو واضح ان للنظام الاقتصادي وكيفيته دوراً هاماً في ايجاد الإلفة والتلاحم بين الأفراد والقطاعات؛ فالعلماء والدعاة الذين يهتمون بتوحيد الكلمة وايجاد التلاحم الاجتماعي بين الجماهير، يجب عليهم ان يبدؤوا بإقامة (العدالة الاجتماعية والاقتصادية) في الناس، المنسقة للقلوب، الموحدة للصفوف، بنص تعاليمنا. وإلاّ فكيف يقع تلاحم أو وحدة بين من لا يجد شيئاً للمعيشة ومن لا يفقد شيئاً لها؟

□ العدل مقارنة ومقياس:

(٢٠) الامام علي عليه السلام: ان القبح في الظلم بقدر الحسن في العدل.^١

□ العدل وأثره الروحي في الشعب:

(٢١) الامام علي عليه السلام: الرعية سواد يستعبدهم العدل.^٢

* وهذا التعليم بدوره يدلّ على ان الظلم يحمل الناس على التمرّد والاستعصاء. وهذا واضح ومجرب. والاستعصاء إما مُعلن فيؤدي الى مفسد وفتن اجتماعية، وتضرر بدين الجماهير وأخلاقهم وأوقاتهم وأموالهم؛ وإما غير مُعلن فله مفسد وأضرار عظيمة تغمر حياة الشعب بأشكال مدهشة. لاحظ ايضاً الحديث التالي:

(٢٢) الإمام علي عليه السلام: قلوب الرعية خزائن راعيها، فما اودعها

١ - غرر الحكم / ١٠٣.

٢ - البحار ٧٨ / ٨٣.

من عدل أو جور وجده.^١

□ العدل ودوره في تنشيط الناس:

(٢٣) الإمام علي عليه السلام: ان الزهد في ولاية الظالم، بقدر الرغبة في ولاية العادل.^٢

□ العدل ودوره في اقامة الدين:

(٢٤) الإمام الصادق عليه السلام:.. ان في ولاية والي العدل وولايته إحياء كل حق وكل عدل، وإماتة كل ظلم وجور وفساد، فلذلك كان الساعي في تقوية سلطانه والمعين له على ولايته، ساعياً الى طاعة الله مقوياً لدينه.^٣

□ لا عمران إلا بالعدل:

(٢٥) الإمام علي عليه السلام: ما عُمِرَت البلدان بمثل العدل.^٤

□ البركات بالعدل:

(٢٦) الإمام علي عليه السلام: امام عادل، خير من مطر وابل.^٥

(٢٧) الإمام علي عليه السلام: زمان العادل خير الأزمنة.^٦

١ - غرر الحكم / ٢٣٧.

٢ - غرر الحكم ١٠٣.

٣ - تحف العقول / ٢٤٤.

٤ - غرر الحكم / ٣٠٩.

٥ - غرر الحكم / ٣٥ و ١٨٩.

٦ - ن. م.

□ العدل في القضاء:

(٢٨) الامام علي عليه السلام: ينبغي للحاكم ان يدع التلفت الى خصم دون خصم؛ وان يقسم النظر فيما بينهما بالعدل؛ ولا يدع خصماً يظهر بغياً على خصمه.^١

□ العدل القضائي ايناس للناس:

(٢٩) السيدة فاطمة سلام الله عليها: ... والعدل في الأحكام ايناساً للرعية.^٢

□ العدل في التربية والتعليم:

(٣٠) الإمام الصادق عليه السلام - عن حسان المعلم قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن التعليم فقال: (لا تأخذ على التعليم أجراً)^٣. قلت: فالشعر والرسائل وما أشبه ذلك أشارط عليه؟ قال: (نعم، بعد ان يكون الصبيان عندك سواء في التعليم، لا تفضل بعضهم على بعض).^٤

□ العدل في الأهلين:

(٣١) النبي صلى الله عليه وآله وسلم - روي ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لمن اعطى بعض اولاده شيئاً: (أكلّ ولدك أعطيت مثله؟)

١ - دعائم الإسلام ٢ / ٥٣٣.

٢ - علل الشرائع / ٢٤٨.

٣ - أي فيما يرجع الى الواجب.

٤ - الوسائل ١٢ / ١١٢.

قال: لا. قال: (فاتقوا الله واعدلوا بين اولادكم).

□ العدل في الأسواق (١)

- بيع الجيد والرديء معاً، بلا فرق بين المبتاعين

(٣٢) الإمام علي عليه السلام - انه كان يمشي في الأسواق، ويبيده درة يضرب بها من وجد من مطفف أو غاش في تجارة المسلمين. قال الأصمغ (ابن نباتة): قلت له يوماً: انا أكفيك هذا يا أمير المؤمنين واجلس في بيتك! قال: ما نصحتني يا أصمغ! وكان يركب بغلة رسول الله الشهباء ويطوف في الأسواق سوقاً سوقاً... ثم أتى الى التمارين فقال: اظهروا من رديء بيعكم ما تظهرون من جيده.^٢

□ العدل في الأسواق (٢)

- تشديد الأمر على من خان الناس في السوق

(٣٣) الإمام علي عليه السلام - انه استدرك على بن هرمة خيانة - وكان على سوق الأهواز - فكتب الى رفاعه (ابن شداد البجلي، عامله في الأهواز): اذا قرأت كتابي، فنحّ ابن هرمة عن السوق، وأوقفه للناس واسجنه وناد عليه؛ واكتب الى أهل عملك تعلمهم رأيي فيه. ولا تاخذك فيه غفلة ولا تفريط، فتهلك عند الله، واعزلك أخبث عزلة. وأعيذك بالله من ذلك. فاذا كان يوم الجمعة فاخرجه من السجن، واضربه خمسة وثلاثين سوطاً، وطّف به

١ - شرح اللمعة، كتاب (العطية)، الهبة.

٢ - دعائم الإسلام ٢/٥٣٨.

الى الأسواق، فمن اتى عليه بشاهد فحلفه مع شاهده، وادفع اليه من مكسبه ما شهد به عليه، ومر به الى السجن مهاناً مقبوحاً منبوحاً، واحزم رجله بحزام، واخرجه وقت الصلاة، ولا تحل بينه وبين من يأتيه بمطعم أو مشرب أو ملبس أو مفرش.

ولا تدع احداً يدخل اليه، ممن يُلقنه اللد ويرجّيه الخلوص. فان صحّ عندك ان احداً لقنه ما يضر به مسلماً فاضربه بالدرة فاحبسه حتى يتوب. ومُر باخراج أهل السجن في الليل الى الصحن ليتفرجوا غير ابن هرمة، إلا ان تخاف موته فتخرجه مع أهل السجن الى الصحن. فان رأيت به طاقة أو استطاعة، فاضربه بعد ثلاثين يوماً خمسةً وثلاثين سوطاً - بعد الخمسة والثلاثين الأولى - واكتب اليّ بما فعلت في السوق، ومن اخترت بعد الخائن، واقطع عن الخائن رزقه.

تنبيه هام

هذا من عظام تعاليم الإسلام الخالدة وغُرر أحكامه في صيانة حقوق الجماهير هنا وهناك، وقطع دابر الطواغيت الاقتصادية وعادية السوقين والمراقبين عليهم الخائنين ورفض التساهل عما يقع في الرقابة على الأسواق، من الخيانة الكبيرة بالنسبة الى حقوق الناس واموال الجماهير. ويُستشف من هذا النكال الشديد، بالخائن في الرقابة على الأسواق - بما فيها من السلع والأمتعة والأسعار والأرباح والمكايل والموازين - امور، منها:

- اهتمام الاسلام البالغ بامر الأسواق وتغلغل العدل والحق فيها
بتصحيح الصلات التبادلية بين الناس.

- حفظ أموال المشترين والمراجعين اليها، الذين هم بمنزلة الشياه بين
أيدي الذئاب - على حد قول الامام علي بن الحسين السجاد عليه السلام.^١
- تحصين المراقبين عليها ضد الخيانة وأخذ الرشوة من التجار
والمستوردين والمصافقين لإطلاق سراحهم في التسعير وتضخيم الربح
والغبن والغش والبخس والتدليس والاحتيال وما الى ذلك.

- رفض أي تساهل أو اهمال أو غفلة أو انحياز، في هذا المجال الحياتي،
الذي يجري فيه الوان وأشكال من الاعتداء والظلم، ولا سيما على الضعفاء
ومن اليهم.

فليتخذ هذا التعليم وأمثاله دستوراً حازماً لأيّ حكم يدّعي الإسلامية،
ومقياساً باتاً لاية فقاها ترى نفسها تابعة لتلكم التعاليم.
وهناك ناحيتان هامتان يمتصّ منهما الناس، ترجع احدهما الى جسمهم
فروحهم، والأخرى الى روحهم فجسمهم أيضاً:

الأولى: الطبابة والمعالجة والأدوية وأسعارها وكيفيةها النازلة أو الزائفة،
والمستشفيات ونفقات المعالجة فيها والعمليات الجراحية ونفقاتها وما
اليها..

الثانية: الكتب والمؤلفات والنشرات والاجاف العسوف الذي يقوم به
أكثر اصحاب المكتبات والناشرون.

ولا حياة للنصفة والعدل ولا قيمة للإرادة في مجتمع لا يسدّ فيه خلل
استغلال الناس من هاتين الناحيتين، بيد أهل الاختصاص والالتزام.

□ العدل صور ومناهج:

١ - وضع الأمور في مواضعها

(٣٤) الإمام علي عليه السلام: العدل يضع الأمور في مواضعها.

٢- التخلق بالعدل

(٣٥) الإمام علي عليه السلام: عليك بترك التبذير والاسراف، والتخلق
بالعدل والانصاف.^٢

٣- عليكم بالعدل

(٣٦) الإمام علي عليه السلام: عليكم بالاحسان الى العباد، والعدل في
البلاد.^٣

٤ - رفع العقيرة في وجه الجائرين

(٣٧) الإمام الحسن عليه السلام - سأله رجل عن السياسة فقال:
السياسة ان ترعى حقوق الله، وحقوق الأحياء والأموات. فأما حقوق الله
فأداء ما طلب والاجتناب عما نهى. وأما حقوق الأحياء فهي ان تقوم
بواجبك نحو إخوانك ولا تتأخر عن خدمة امتك، وان تُخلص لولي الأمر ما
أخلص لأمته، وترفع عقيرتك في وجهه اذا حاد عن الطريق السوي. وأما

١ - نهج البلاغة / ١٢٩٠: عبده ٣ / ٢٥٨.

٢ - غرر الحكم / ٢١٢.

٣ - غرر الحكم / ٢١٤.

حقوق الأموات فهي ان تذكر خيراتهم وتتغاضى عن مساوئهم، فان لهم رباً يُحاسبهم.^١

تعليمان عظيمان:

١- العدل حاجة الناس كافة

(٣٨) الإمام الصادق عليه السلام: ثلاثة أشياء يحتاج الناس طُراً اليها: الأمن، والعدل، والخصب.^٢

* هذا تعليم ببناء عظيم القاه الإمام الصادق عليه السلام على البشرية والتاريخ. ومقتضاه ان الناس اذا لم ينالوا ما يحتاجون اليه، لا يتغلغل فيهم وفي حياتهم أي اصلاح أو وعظ أو تثقيف. فاقامة العدل الاجتماعي والاقتصادي من أهم الأمور في الحركات البناءة.

وهذا واضح لدى من له المام بواقع حياة الناس وطبيعة المجتمع، ولم يكن متخلفاً محدود الأفق، ولم يُرد تغرير الجماهير.

٢- الملاكان لمعاملة الناس وكفاية أحدهما

(٣٩) الامام علي عليه السلام - من العهد الأشترى، من المقطع الذي علّمه فيه كيف يُعامل الناس وينظر اليهم... واشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللفظ بهم.. فانهم صنفان: اما أخ لك في الدين، واما نظير لك في الخلق..^٣

١ - سيرة الأئمة الاثني عشر ١/ ٥٢٥.

٢ - تحف العقول / ٢٣٦.

٣ - نهج البلاغة / ٩٩٣: عبده ٢/ ٩٣.

* فالأخوة الايمانية أحد الملاكين لحفظ حرمة الناس وكرامتهم وأداء حقوقهم وحبهم واللفظ بهم، وصيانة أموالهم وما الى ذلك، والملاك الآخر هو المشاركة في الإنسانية العامة.

ففي المجتمع الاسلامي وحكمه، يحافظ على الكرامات وتُراعى موازين العدل في التعامل مع كل أحد، من مسلم أو غير مسلم. ولقد قالوا في الفقه، في امتلاك الماء بالاحراز: (سواء كان المحرز مسلماً أو كافراً).^١

(٤٠) الامام علي عليه السلام - فيما يصفُ به الحكم الإسلامي وكيفية صنعه للمجتمع... ما عال فيكم عائل، ولا ظلم منكم مسلم أو معاهد.^٢

(٤١) الإمام الصادق عليه السلام... ومعرفة الواجب عليه (اي على الانسان)، من العدل على الناس كافة..^٣

تنبيهان هامان:

١ - لا ظلم على الأعداء

الكتاب

١ - ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَنْ لَا تَعْدِلُوا...﴾

١ - منهاج المتقين، للشيخ عبد الله المامقاني / ٤٥١، من الطبعة الحجرية.

٢ - الكافي ٨ / ٣٢.

٣ - البحار ٣ / ٨٣.

٤ - سورة المائدة (٥): ٨.

الحديث

(١) الإمام الصادق عليه السلام - فيما عدّ من مواصفات المؤمن: ... لا يظلم الأعداء..^١

٢ - التقوى بالعدل

الكتاب

﴿اعِدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى..﴾^٢

إلفات نظر

هناك في الناس سُذْجٌ يحسبون ان الاصلاحات التغييرية الاجتماعية ليست اموراً هامة، بعد ان اهتم الشخص بالتقوى الفردية والعمل على مقتضاها. وهم يظنون ان التقوى امر فردي لاصلة له بالناس والاهتمام بامورهم، والوقوف في وجه ما يدهمهم وابناءهم وبناتهم، باستيصال الأيادي التي تلتهم ثرواتهم وتحيك المؤامرات على حسابهم، وبالقيام بما يصلح كل ذلك، كل على حسب امكانياته.

وهذا وهمٌ فاسدٌ يُلقيه بعض البسطاء - البُعءاء عن فهم جوهر الدين وحقائق الحياة وواقع المجتمع - في أذهان امثالهم، فيعوقهم عن الحضور الاجتماعي النشط، والتدخل في الحركات الموقظة والبناءة، واتخاذ الموقف المناسب تجاه ما يُصلح المجتمع وما يُفسده؛ مع ان التعاليم الاسلامية تنفي

١ - الكافي ٢ / ٤٧.

٢ - سورة المائدة (٥): ٨.

التقوى الفردية وتسلب الإسلام والإيمان والنجاة عمّن يهتم بأمر نفسه ولا يهتم بأمور المسلمين، وعمّن يبیت شعبان كاسياً وجاره جائع عار، وعمّن لا يضع العلم عند غير ذوی الثروة والشرف، وما الى ذلك مما مرّ نموذج منه في الفصول.

ومن المدهش، ان قوماً ممن ينتمون الى الإسلام يحصرون - عملاً - هذا الدين الانساني، البناء للأفراد، المحيي للمجتمعات في عدّة مناسك فردية وعبادات شخصية - على مايزعمون - ويتخلّون عن نواصع أحكامه الاجتماعية ولوامع حدوده الاقتصادية، ويحسبون انهم يحسنون صنعا، ويرون أنفسهم عبّاداً ملتزمين ومتقين، وهيئات الأمر. ان أحب الخلق الى الله تعالى أنفعهم لعباده - كما في التعاليم - ولا نفع أعم وأشمل من السعي الجاد لاقامة العدل في الجماهير، حتى تزهر به حياتها فيأمن المظلومون من العباد، وتحيا الميته من البلاد، بحياة أحكام الدين فيها وانصهار أهلها بها - كما أشاد بهذا المقصد القرآني العظيم سيدنا أبو عبد الله الحسين سيد الشهداء عليه السلام، في كتبه وخطبه.

ولو كان الأمر كما يزعمه أولئك البسطاء واتباعهم، لوجب ان يُذكر في أحاديث المهدي المنتظر عليه السلام - وهو القائم بالحق والعدل، و محيي أحكام القرآن، ومظهر الايمان، والعامل بسنن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والسائر بسيرة علي بن أبي طالب عليه السلام، والمصلح النهائي للانسان والانسانية - انه يملأ الأرض تقوى وعبادة..^١ مع انه جاء فيها انه

١ - نريد بالكلمتين، ما يترأى من عمل الفرديين المتحجرين، لا أصل التقوى والعبادة الإسلاميتين اللتين كانتا في رأس تعاليم الإسلام؛ وستكونان في قمة الهرم به

يملأ الأرض قسطاً وعدلاً.

نعم، لا دين إلا بالعدل، ولا حياة للأحكام الإسلامية فعلية إلا بالعدل، ولا شيء أقرب إلى التقوى وتجسيده الشامل الفعلي في جميع القطاعات إلا بالعدل. وإن للأزدهار الاقتصادي مع العدل المعيشي، الأثر الحاسم في قيام القسط في الناس وقيام الناس بالقسط، وفي عملهم بأحكام الدين وتبنيهم لمقاييس التقوى والصدق، إذا أرشدوا ووجهوا بشكلٍ ناجع معقول.

فليكن المسلم العاقل على حذر من نفاث البسطاء أو الموهين، على انتباه من أن الإسلام دين اجتماعي إنساني عام لا يرى للتقوى مقيلاً من التجسيد إلا بالعدل في جميع قضايا حياة الإنسان الاجتماعية، وعلى مختلف المستويات الاقتصادية، من الانتاج والاستيراد والتسعين والتوزيع والامتلاك والاستهلاك.

تذييلات:

- ١ - روي أن علياً عليه السلام أمر قنبراً أن يضرب رجلاً جليداً، فغلط قنبر فزاد ثلاثة أسواط، فاقاده علي عليه السلام من قنبر ثلاثة أسواط.
- ٢ - قال علي بن أبي رافع، وكان على مال أمير المؤمنين: أخذت مني ابنته عقد لؤلؤ، عارية، مضمونة، مردودة، بعد ثلاثة أيام، في أيام الأضحى،

من تربية المهدي المنتظر عليه السلام للناس، بعد إقامته العدل والقسط الذين هما من أهم ما يوطئ التربة الصالحة لصنع الإنسان القرآني، العابد المتقي.

١ - سفينة البحار ٢ / ١٦٧.

فرآه عليها فرفعه وقال لي: (اتخون المسلمين؟) فقصصت عليه وقلت: قد ضمنته من مالي.

فقال: (ردّه من يومك هذا، وإياك أن تعود لمثل هذا فتتناك عقوبتي)، ثم قال: (لو كانت ابنتي أخذت العقد على غير عارية مضمونة، لكانت إذاً أول هاشمية قُطعت يدها على سرقة). فقالت ابنته في ذلك مقالاً، فقال: (يا بنت علي أبي طالب! لا تذهبن بنفسك عن الحق، أكل نساء المهاجرين تتزيّن في هذا العيد بمثل هذا؟).^١

٣ - كتب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الى بعض عماله: (أما بعد، فإني كنت أشركتك في أمانتي وجعلتك شعاري وبطانتي، ولم يكن في أهلي رجل أوثق منك في نفسي، لمواساتي وموازرتي وأداء الأمانة إليّ، فلما رأيت الزمان على ابن عمك قد كَلَب، والعدو قد حرب، وأمانة الناس قد خزيت، وهذه الأمة قد فتكت وشغرت، قلبت لابن عمك ظهر المجنّ، وفارقت مع المفارقين، وخذلت مع الخاذلين، وخنثت مع الخائنين، فلا ابن عمك آسيت، ولا الأمانة أديت. وكأنك لم تكن الله تريد بجهدك، وكأنك لم تكن على بينة من ربك، وكأنك إنما كنت تكيد هذه الأمة عن دنياهم، وتنوي غرّتهم عن فيئهم، فلما امكنتك الشدة في خيانة الأمة أسرعرت الكرة، وعاجلت الوثبة، واختطف ما قدرت عليه من أموالهم المصونة لأراملهم وإيتامهم اختطاف الذئب الأزل دامية المعزى الكسيرة! فحملته الى الحجاز رحيب الصدر بحمله، غير متأثم من أخذه كأنك - لا أباً لغيرك - حدرت الى

اهلك تراثك من أبيك وأمك؛ فسبحان الله! اما تؤمن بالمعاد؟ او ما تخاف نقاش الحساب؟ ايها المعداد كان عندنا من ذوي الألباب، كيف تُسيع شراباً وطعاماً وأنت تعلم انك تأكل حراماً وتشرب حراماً؟ وتبتاع الاماء وتنكح النساء من مال اليتامى والمساكين والمؤمنين المجاهدين الذين افاء الله عليهم هذه الأموال، وأحرز بهم هذه البلاد؟

فاتق الله واردد الى هؤلاء القوم اموالهم، فانك ان لم تفعل ثم امكنني الله منك لأعذرني الى الله فيك، ولاضربنك بسيفي الذي ما ضربت به أحد إلا دخل النار. ووالله لو ان الحسن والحسين فعلا مثل الذي فعلت ما كانت لهما عندي هوادة، ولا ظفرا مني بارادة، حتى آخذ الحق منهما، وأزيل الباطل عن مظلمتهما. واقسم بالله رب العالمين: ما يسرني ان ما أخذته من أموالهم حلال لي اتركه ميراثاً لمن بعدي. فَضَحْ رويداً، فكانك قد بلغت المدى، ودفنت تحت الثرى - وعُرضت عليك أعمالك بالمحل الذي ينادي الظالم فيه بالفسوة، ويتمنى المضيع فيه الرجعة، ولات حين مناص)

رؤية تحليلية

لقد تكلمنا عن العدل والعدالة، في الفصل السابق والنظرة اليه بتفصيل، فراجعهما بامعان. والآن نقول: ان ما جاء في هذا الفصل - كنماذج من التعاليم الإسلامية - فهو من أعظم الحجج على الذين يزعمون ان اصلاح الاجتماعي ممكن مع الغفلة أو التغافل عن العدالة وتطبيقها. فذلك ابتعاد عن مواكبة الواقع، اذ الرعية لا يُصلحها إلا العدل. وكذلك ترويج الدين

وبثّ تعاليمه وتطبيق أحكامه وتغلغله في النفوس والافوساط، لا يمكن إلاّ بالعدل وتطبيقه، اذ العدل حياة الأحكام، فلا حياة للأحكام بدون العدل. فالذين يؤكدون على تطبيق ظواهر أحكام الشرع، ويقومون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بصورة سطحية، من غير ان يأمرؤا الأغنياء وأصحاب الثروات الطائلة بالمعروف (ردّ حقوق المحرومين المختلفة) وينهونهم عن المنكر (اغتصاب الحقوق والأموال والارزاق)، وان ينطلقوا لاجراء العدالة الاجتماعية والاقتصادية والمعيشية، فهم لا يظفرون بتلك الغاية المنشودة من الدين وتجسيد أحكامه وتطبيع النفوس بأدابه. وهذه حقيقة قد بينتها التعاليم الإسلامية والتجارب الاجتماعية، غير ان كثيراً من علماء الدين يغفلون عنها. وان المتكاثرين لا يحبون ان يلتفت إليها رجال الدين أو الحكم الاسلامي. وما دامت الحقيقة المذكورة بقيت مغفولة، فلا يمكن ان يُعلّق انسان نابه املاً على قيام او نهضة أو عمل. واليك ايضاً مقتضباً لبعض ما جاء في الفصل:

١- الشعب لا يصلحه إلاّ العدل:

لماذا لا يُصلح الشعب إلاّ العدل؟ لأمرين:

أ) ان الفقر والتكاثر، وهما ضدا العدل، عاملان أصليان للفساد الخلقي والسقوط الانساني والتميع الاجتماعي، كما أوضحناه في محله، من الفصول الماضية.

ب) ان العدل الاقتصادي هو السبب لنشر ثقافة العدل واخلاقتها الفاضلة في المجتمع، كما ان الظلم سبب لنشر مبادئ الظلم وأخلاقتها

الرديئة. فالعدالة الاقتصادية تؤثر في التربية والأخلاق والثقافة العامة والخاصة، فهي كما تنبع من التربية والأخلاق تؤثر فيهما وفي نضجهما وسريانها في النفوس. ولذلك يقول الامام علي عليه السلام: (العدل رأس الايمان وجماع الاحسان)

ففي هذا الضوء، لا يمكن الظفر باصلاح اخلاقي واجتماعي، مع بقاء الظلم الاقتصادي في الناس. ولا ثورة واقعية ولا حركة تغييرية بدون العدل وتجسيده، ولا تُلصَق بالاسلام المحمدي اية ثورة اذا لم يكن العدل الاجتماعي والاقتصادي والقضائي ميزة رئيسة لها.

٢- العدل، سعة وآفاق:

قد أكدت التعاليم الاسلامية على سعة آفاق العدل وعمومها، فجاء فيها: (العدل سائس عام)، و(العدل أوسع من الأرض). وهنا أمران يجب ان نُمعن النظر فيهما:

أ) ان الحيف والافراط والتفريط في تقسيم المواهب والمعاش، يوجب الاثرة وتخصيص الامكانيات الطبيعية والثروات الاجتماعية بحفنة وحرمان الاكثرية منها. فهذا يؤدي الى تضيق دائرة التمتع بالمواهب. ويضاده العدل فهو يوسع على الكل ويمكّن كل الناس من أن يستفيدوا من النعم والمواهي، لأنه سائس عام وافق وسيع. وان سياسة الإسلام الاقتصادية، مبنية على العدل وآفاقه الواسعة الشاملة للجماهير من المستضعفين وغيرهم، لانها سياسة انسانية. وان سياسة الجور والظلم

الاقتصادي سياسة ضد الإنسانية. فالذي جاء في التعاليم من قول الامام الصادق عليه السلام: (ما أوسع العدل...)، يبيّن تلك الآفاق الشاملة الانسانية التي يفتحها العدل امام المجتمع البشري ويقلع بها جذور كل حرمان ودمع وألم ومكابدة وشقاء. فالعدالة الاجتماعية تعم الجماهير وتجعل النظام الاقتصادي جماهيرياً ويضاده كل حركة تؤدي الى الاثرة والتخصيص.

ب (يُستفاد من الاحاديث المذكورة في هذا الفصل وعدة أخرى من الآيات والأحاديث الواردة بصدد هذا الموضوع وما يمت إليه - بصورة كلية - ان العدل قانون مستقل حاكم على نظام الاسلام الاقتصادي، وان الآثار التي ذكرت للعدل، من اصلاح الرعية والبرية، واستغناء الناس وحياة الأحكام، وتسكين القلوب وتنسيقها و.. تدلّ على استقلال العدل كقانون عام وعلى حاكميته على النظام العام الاسلامي، فكل شيء لم يكن مطابقاً لهذا القانون فهو غير اسلامي البتة.

وهذا موضوع رئيسي يجب ان يوعى. وان وعي هذا الموضوع بصورة صحيحة، شرط واجب على كل من يروم ان يبحث عن مذهب الاسلام الاقتصادي وسياسته المالية، وبطريق أولى على كل من يروم ان يتفقه في الدين ويستنبط الاحكام.

٢ - العدل ودوره في تنشيط الناس:

جاء في التعليم العلوي المذكور في الفصل: (ان الزهد في ولاية الظالم بقدر

الرجبة في ولاية العادل).^١

والذي يُفهم من هذا الحديث وامثاله (كقول الامام علي عليه السلام: ان القبح في الظلم بقدر الحسن في العدل)^٢، ان العدل يلائم الفطرة الانسانية فينشط الانسان ويحضه على العمل والخدمة، وان الظلم يضاد الفطرة الانسانية فيثبّط الانسان عن العمل والخدمة وأداء ما وجب عليه. وبهذا الصدد يدعو الامام الصادق عليه السلام الى ان يُقام العدل على كل الناس، حتى يتوفقوا للعمل والسعي في مسيرة تكامل الفرد والمجتمع؛ ويشير الى ان هذا أمر فطري ينبع من طبع الانسان وفطرته، فيقول لتلميذه المفضل بن عمر الجعفي: (ذَكَرَ يا مفضل! فيما اعطي الانسان عمله وما مُنِع، فإنه أُعطي علم جميع ما فيه صلاح دينه ودنياه. فمما فيه صلاح دينه، معرفة الخالق - تبارك وتعالى - بالدلائل والشواهد القائمة في الخلق، ومعرفة الواجب عليه من العدل على الناس كافة، وبرّ الوالدين، وأداء الأمانة، ومؤاساة أهل الخلّة، وأشباه ذلك، مما قد توجد معرفته والاقرار والاعتراف به في الطبع والفطرة، من كل امة موافقة أو مخالفة).^٣

١ - غرر الحكم / ١٠٣.

٢ - غرر الحكم / ١٠٣.

٣ - البحار ٣ / ٨٢ - ٨٣.

المحتويات

مقدمة المحرر ٥

الفصل الاول

المساواة

مبدأ المساواة في الإسلام..... ١٣

الكتاب ١٣

الحديث ١٤

أ - ان الله تعالى يدعو الى المساواة..... ١٤

١ - في العهد النبوي..... ١٥

٢ - في العهد العلوي..... ١٦

إلفاتُ نظر..... ١٧

٣ - خطٌ ذهبيٌ في جبين التاريخ..... ١٩

تنبيهان هامّان..... ٢٠

٤ - شعاع إلهي على قمة الاعصار..... ٢١

٥ - تعاليم وهدايات..... ٢٢

من التعليم السجادي..... ٢٢

- ٢٣..... من التعليم الباقرى
- ٢٣..... من التعليم الصادقى
- ٢٤..... تنبيه
- ٢٨..... من التعليم الكاظمى
- ٢٨..... من التعليم الرضوى
- ٢٩..... * يُستفاد من هذا التعليم القيمّ امور
- ٣٠..... ٦ - في العهد المهدي
- ٣٠..... ح - معلم وضّاح (١)
- ٣١..... د - معلم وضّاح (٢)
- ٣٢..... هـ - الوضع المطلوب للنظام الاقتصادي في الاسلام
- ٣٣..... و - ايقاظ ديني وتربوي واجتماعي واصلاحي هام
- ٣٤..... إلفاتُ نظر
- ٣٥..... يُستفاد من هذه التربية العلوية البناءة امور
- ٣٦..... ز - الفقه القديم يؤكّد على تبني (مبدأ المساواة)
- ٣٧..... ح - الثورات الدامية تتبنّى (مبدأ المساواة)
- ٣٩..... ط - مثال أعلى
- ٤٠..... ي - أصلان تربويان عظيمان
- ٤٠..... الأصل الأول: المساواة في التعليم
- ٤١..... الأصل الثاني: المساكن ولزوم تعليمهم وتنقيفهم
- ٤٢..... رؤية تحليلية لمبدأ المساواة في الإسلام
- ٤٣..... الأصول الرئيسية التي تدعو الى (المساواة)

- ١ - اصل التوحيد ٤٤
- ٢ - اصل تساوي الناس في الخلق ٤٧
- ٣ - اصل كرامة الانسان ٤٨
- ٤ - أصل الأخوة الايمانية..... ٤٨
- ٥ - اصل محدودية الانسان في استغلال المواهب ٤٩
- ٦ - اصل رفض التكاثر..... ٤٩
- ٧ - اصل البُنة الاسلامية..... ٤٩
- ٨ - اصل شجب الأثرة والمُحاباة..... ٥٠
- ٩ - اصل تعميم المواهب المعيشية..... ٥٠
- ١٠ - اصل قوامية المال وتساويهما للكل..... ٥٠
- ١١ - اصل محدودية الامتلاك..... ٥٢
- ١٢ - اصل محدودية الاستهلاك..... ٥٢
- ١٣ - اصل الانفاق ٥٣
- ١٤ - اصل الاقتصاد في المعيشة..... ٥٣
- ١٥ - اصل العدل وتقريب مستوى العيش للجميع ٥٤
- ١٦ - اصل الاحسان (الانسجام المعيشي)..... ٥٤
- ١٧ - اصل اسناد الفضل والميزة الى التقوى..... ٥٤
- ١٨ - اصل رابطة العدل والتسوية..... ٥٥
- ١٩ - اصل رفض الاسراف والتبذير والتقتير ٥٥
- ٢٠ - اصل كفاح الفقر واستئصاله..... ٥٦
- ٢١ - اصل شجب الاستضعاف..... ٥٦

٢٢ - اصل تمويل الفقير لا يُلحق عياله بالناس ٥٧

تنبيه ٥٧

الفصل الثاني

القسط

الكتاب ٦١

الحديث ٦٢

تجسيد القسط القرآني ٦٤

١ - النبي والقسط ٦٤

الكتاب ٦٤

الحديث ٦٤

٢ - الإمام علي والقسط ٦٨

الحديث ٦٨

٣ - ثورة عاشوراء والقسط ٧٠

الحديث ٧١

٤ - الإمام الصادق والقسط ٧٦

الحديث ٧٧

٥ - الحكم المنتظر والقسط ٧٨

الكتاب ٧٨

الحديث ٧٨

إلماح الى سرّ كبير ٨٠

٨٠.....	الحديث
٨١.....	الحيث يدعو الى السيف
٨١.....	الحديث
٨٢.....	المقياس الفاصل بلا ريب
٨٢.....	الحديث
٨٥.....	رؤية تحليلية
٨٨.....	الحكم الاسلامي والقسط
٩٤.....	التقنين الإسلامى والقسط
٩٥.....	العدل والتوحيد علويان
٩٥.....	الايمان بالبعض والكفر بالبعض الآخر
٩٦.....	اهمية توعية الناس بواقع الدين
٩٧.....	القوامة بالقسط واجب من؟
٩٨.....	القرآن كله لا بعضه
١٠٣.....	الكتاب
١٠٥.....	الحديث
١١١.....	تنبيهات هامة
١١١.....	١- إشباع الجائعين، أصل وتعميم (١)
١١٢.....	٢ - اشباع الجائعين، أصل وتعميم (٢)
١١٣.....	٣ - اشباع الجائعين، صور فاضلة
١١٣.....	٤ - اشباع الجائعين ودوره في تحكيم الصلات الاجتماعية
١١٣.....	الحديث

- ٥ - اشباع الجائعين ودوره في صيانة الكيان السياسي..... ١١٤
- الحديث ١١٥
- ٦ - اشباع الجائعين الواجب الكبير ١١٥
- ٧ - اشباع الجائعين ودوره في بناء الانسان الخلقي ١١٦
- الحديث ١١٦
- ٨ - إشباع الجائعين ودوره في الكيان الديني..... ١١٧
- ٩ - اشباع الجائعين واطعام الآخرين، مكارم وآداب ١١٧
- الحديث ١١٧
- ١٠ - إشباع الجائعين، تجسيدٌ مستوعب ١١٨

الفصل الثالث

العدل

- الكتاب ١٢١
- الحديث ١٢٢
- عدل ساعة خير من عبادة سبعين سنة..... ١٢٢
- العدل الاقتراب من الله تعالى والرسول ١٢٢
- العدل إحراز الدين ١٢٣
- العدل أحد شرائع الدين الثلاثة..... ١٢٣
- العدل منطق القرآن ١٢٣
- العدل حياة..... ١٢٤
- العدل دوام القوة..... ١٢٥

العدل نظام الحكم.....	١٢٥
العدل ملاك السياسة.....	١٢٦
العدل قرّة عين الحكومات.....	١٢٦
العدل جمال الساسة والسياسة.....	١٢٦
العدل تحصين الحكم وثبات الدولة.....	١٢٦
العدل النصر الحاضر.....	١٢٧
العدل سيف.....	١٢٧
العدل عزّ واعتلاء.....	١٢٨
العدل عظمة واستغناء.....	١٢٨
العدل قوام العالم.....	١٢٨
العدل أقوى أساس.....	١٢٨
العدل من علامات العقل.....	١٢٨
العدل أسنى المواهب.....	١٢٩
العدل مضاعفة البركات.....	١٢٩
العدل نشر الرحمة.....	١٢٩
العدل راحة.....	١٢٩
العدل أحلى من العسل.....	١٢٩
العدل أحلى من الماء للظمآن.....	١٣١
العدل في القول.....	١٣٢
العدل في التبادل.....	١٣٢
العدل في كل الأحوال.....	١٣٣

العدل النفسي والشخصي.....	١٣٣
السعة في العدل.....	١٣٣
عافية الجماهير بالعدل.....	١٣٣
الاجهار بالعدل أفضل الأعمال.....	١٣٤
القيام بالسيف لإقامة العدل.....	١٣٤
لا يُمَيِّزُ الحكم في تجسيد العدل بين أحد وأحد.....	١٣٤
استفاضة العدل وتبجّح الحكم بها.....	١٣٥
لا ثقة للحكم من الناس إلاّ بالعدل.....	١٣٥
العدل على الحيوان.....	١٣٥
العدل العام.....	١٣٥
العدل سيرة معلومة فلا تغطية فيه ولا دجل.....	١٣٦
لزوم الإصحاح بالعدل أمام الجماهير إذا ظنّت بالحكم حيفاً.....	١٣٦
تعريف (المجتمع الإسلامي).....	١٣٧
قبسات.....	١٣٨
العزّة بطاعة الله.....	١٤٠
لا عوض من العدل.....	١٤٠
المساواة في تجسيد العدل.....	١٤٠
لزوم الإجهار بالعدل.....	١٤١
محو سنن العدل ظلم كبير.....	١٤١
اعدلوا ثم اهتفوا بالعدل.....	١٤١
الحكم العادل هو الحكم المشروع فقط.....	١٤١

- ١٤٢..... لا عدل بدون استغناء الناس.
- ١٤٣..... العدل: منهج تجسيده وتنفيذه.
- ١٤٣..... ١ - الالتزام الحاسم.
- ١٤٤..... ٢ - الصدق في التجسيد.
- ١٤٤..... ٣ - التناهي عن الظلم.
- ١٤٤..... ٤ - تأدية الحقوق المتقابلة.
- ١٤٥..... ٥ - مضادات الجور.
- ١٤٥..... ٦ - ترك بخس حقوق الناس وأشياءهم.
- ١٤٥..... ٧ - يأس العظماء وعدم يأس الضعفاء.
- ١٤٦..... ٨ - الاستقصاء في التجسيد.
- ١٤٦..... ٩ - السمو الخلقي وصلة العدل به.
- ١٤٦..... ١٠ - الاجتناب عن الخلط والتمويه.
- ١٤٨..... سلبيات ترك العدل.
- ١٤٨..... ١ - تارك العدل أهون الخلق.
- ١٤٨..... ٢ - تارك العدل أول من يدخل النار.
- ١٤٨..... ٣ - تارك العدل يضيّعه الله تعالى.
- ١٥٠..... ٤ - لا قداسة لشعب لا يجسد فيه العدل.
- ١٥٠..... ٥ - وهن الحكم والدولة.
- ١٥٠..... ٦ - الخراب والبوار.
- ١٥١..... تعليمان عظيمان.
- ١٥١..... ١ - لا يجوز مؤازرة الحكم غير العادل.

- ٢ - وجوب العدل على الناس كافة ١٥١
- مع الفجر في شروقه (١) ١٥٢
- مع الفجر في شروقه (٢) ١٥٢
- بيان اسلامي عام ١٥٣
- المائزان الرئيسان للمجتمعين الجاهلي والإسلامي ١٥٦
- الأول: العدل ١٥٦
- الثاني: المساواة ١٥٧
- إشارة الى (وعي توحيدي هام) ١٥٧
- المقياسان لصلاح المجتمع في الدنيا والدين ١٥٩
- تأسيس أصليين عظيمين في حياة الدين ١٦٠
- الأول: لا ثورة بلا تغيير ١٦٠
- الثاني: لا إهمال في التغيير ١٦١
- إشارات ١٦١
- الأولى: الثورة في وجه الظلم ظاهرة نبوية ١٦١
- الثانية: من العدل والى العدل ١٦٢
- الثالثة: طلب العدل امر فطري ١٦٣
- الرابعة: لا تطهير للمجتمع بدون العدل ١٦٣
- الخامسة: الحرب بين الغنى والفقر لإقامة العدل ١٦٥
- رؤية تحليلية ١٦٦
- ١ - أهمية موقع العدل والقسط في التصور الإسلامي ١٧٠
- ٢ - منشأ العدالة الاجتماعية في الإسلام ١٧٠

- ٣ - الميزان واقع وتفسير ١٧٢
- ٤ - كلمة القسط ١٧٧
- ٥ - الصلة الضرورية بين (الميزان) و(قيام الناس بالقسط)..... ١٧٨
- ٦ - ايضاح وبسط ١٧٩
- ٧ - الكتاب والحديد ودورهما في تركيز أسس التوازن ١٩٥
- ٨ - ضرورة تحديد الصلات الاقتصادية للحكم الإسلامي... ١٩٧
- إنذار عظيم ٢٠١

الفصل الرابع

لا يصلح المجتمع الا بالعدل

- الكتاب ٢٠٥
- الحديث ٢٠٥
- الشعب لا يصلحه إلا العدل ٢٠٥
- ليس لله إلا العدل والإحسان. ٢٠٧
- العدل يصلح البرية ٢٠٨
- العدل ميزان الله تعالى ٢٠٨
- العدل رأس الإيمان وأعلى مراتبه ٢٠٨
- العدل زينة الايمان ٢٠٨
- العدل حياة الأحكام ٢٠٩
- العدل قوام الناس ٢٠٩
- العدل خير السياسات ٢٠٩

العدل سائس عام	٢٠٩
العدل سعة وآفاق	٢١٠
العدل تسكين للقلوب وتنسيق لها	٢١٠
العدل مقارنة ومقياس	٢١١
العدل وأثره الروحي في الشعب	٢١٢
العدل ودوره في تنشيط الناس	٢١٢
العدل ودوره في اقامة الدين	٢١٢
لا عمران إلا بالعدل	٢١٢
البركات بالعدل	٢١٢
العدل في القضاء	٢١٣
العدل القضائي إيناس للناس	٢١٣
العدل في التربية والتعليم	٢١٣
العدل في الأهلين	٢١٣
العدل في الأسواق (١)	٢١٤
العدل في الأسواق (٢)	٢١٤
العدل صور ومناهج	٢١٧
تعليمان عظيمان	٢١٨
١- العدل حاجة الناس كافة	٢١٨
٢- الملاك لمعاملة الناس وكفاية أحدهما	٢١٨
تنبيهان هامان	٢١٩
١ - لا ظلم على الأعداء	٢١٩

٢١٩.....	الكتاب
٢٢٠.....	الحديث
٢٢٠.....	٢ - التقوى بالعدل
٢٢٠.....	الكتاب
٢٢٠.....	إلفات نظر
٢٢٢.....	تذييلات
٢٢٤.....	رؤية تحليلية
٢٢٥.....	١ - الشعب لا يصلحه إلا العدل
٢٢٦.....	٢ - العدل، سعة وآفاق
٢٢٧.....	٢ - العدل ودوره في تنشيط الناس

[illegible][illegible]